جامعة المنصورة
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها
الدراسات العليا

ظواهر التركيب في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم

(دراســـة نحويــة دلاليــة)

Structural Aspects of Guidance and Perversity (Verses) In The Holy Quran

A Syntactic and Semantic Study

بحثٌ مُقدمٌ لِنيلِ درجةِ المَاجستير في اللُّغـةِ العربيَّـةِ وآدابِهـا

تخصص (النحو والصرف)

الباحث:

حمــدي شعبــان محمــد عــوض

إشراف

أ.د/ وائل السيد البرعي

أستاذ النحو والصرف

ووكيل كلية الآداب لشئون التعليم والطلاب

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

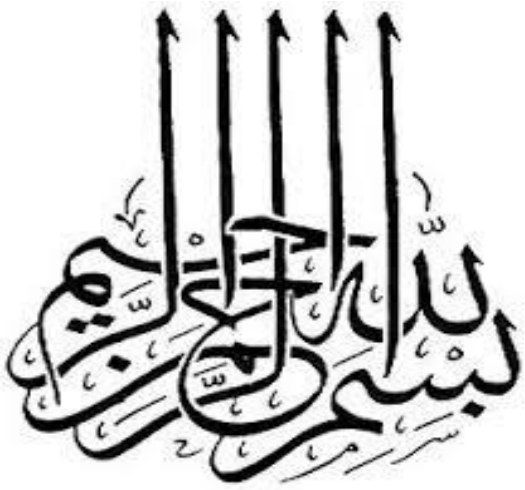

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1]

(١) طه ٢٠/١١٤.

المقدمة (أ)

شكر وتقديـــر

خالص الشكر والاعتراف بالجميل، للأستاذ الدكتور/ وائل السيد البرعي، أستاذ النحو والصرف، ووكيل كلية الآداب لشئون التعليم والطلاب، جامعة المنصورة، على إشرافه وتوجيهه السديد، وعونه الصادق، وعلمه الوافر.

والأستاذ الدكتور/ حسن محمد نور المبارك، رئيس قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة قناة السويس؛ لتفضلهما بقبول قراءة هذه الدراسة ومناقشتها وتقويم اعوجاجها، فبارك الله عمرهما، وأدام عطاءهما وجزاهما عنِّي وعن طلاب العلم خير الجزاء.

كما أتقدم بوافر الشكر وعظيم التقدير إلى أستاذَي الجليلين عضوَي لجنة المناقشة والحكم، الأستاذ الدكتور/ السيد على خضر، أستاذ النحو والصرف، كلية التربية، جامعة المنصورة.

كما أتقدم بالشكر وخالص العرفان بالجميل إلى أبي على جميل حلمه وحسن رفقته وتشجعيه لي دائمًا وبذله طوال عمره قصارى جهده من أجلي، فقد أعطى بلا حدود، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر وخالص العرفان بالجميل إلى التي أعطت بلا حدود ولا أعيش سعيدًا إلا بدعائها، إلى والدتي الغالية، أسأل الله أن يسعدها في الدنيا والآخرة، كما أتقدم بالشكر وخالص العرفان إلى أخي الذي دائمًا يشد من أزري، كما أتقدم بالشكر وخالص العرفان إلى من أشرقت حياتي بمشاركتها، رفيقة الدرب زوجتي، كما أتقدم بالشكر وخالص العرفان إلى نبعي العطاء والدي زوجتي، جزاهما الله عني خير الجزاء، كما أتقدم بالشكر وخالص العرفان بالجميل إلى كل من قدم لي يد العون بطريقة أو بأخرى لإتمام هذا البحث.

والعلم فيه مواعظ كثيرة، فهو كما قال العماد الأصفهاني: "إني رأيت أنه لا يكتب أحدٌ كتابًا في يومه إلا قال في غده، لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، هذه عبر عظيمة ما تدل إلا على استحواذ النقص على سائر البشر.

المقدمــة (ب)

الحمد لله فالق الحبِّ والنوى، الحمد لله الذي على عرشه استوى، سبحانه سبحانه، لا إله إلا هو، والصلاة والسلام على أشرفِ خلق الله، سيدنا محمد بن عبد الله، المبعوث رحمةً للعالمين، النبيُّ الأميُّ، خير الأنام، عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وبَعدُ...

فقد منَّ الله على الباحث، فيسر له سبيل البحث في هذه الدراسة، المعنونة بـ(ظواهر التركيب في آيات الهدى والضلال، دراسةٌ نحويةٌ دلاليةٌ).

وإن النحو العربي ذو تراثية جليلة، وقد اهتم النحو العربي منذ نشأته بالمعنى، حيث تُبنى القاعدة على المعنى المدرك، وقديما كانت العلاقة الوظيفية النحوية والدلالية في المعاجم ترتكز على اللفظ المفرد الذي يُستخدم في معنى معين، فتتفاعل وظيفة النحو والدلالة، ولكن في العصر الحديث لم يقتصر في فهم المعنى على ذلك فقط بل صار المعنى يُدرك من الجملة كلها، فالنحو أشبه بالقلب لجسم الإنسان- كما يقول تشومسكي- وإذا كان القلب يَمُدُّ جسم الإنسان بالدم حتى يحيا الإنسان؛ فإن النحو يمد الجملة بالمعنى الأساسي حتى تكون صحيحة، ويتحدد معناها[1].

- أهمية الموضوع:

١- ربط النحو بالدلالة المدركة من الجملة كلها لا كالقديم بإدراك المعنى من اللفظ المفرد بواسطة المعجم.

٢-كون الدراسة جامعة بين علمي النحو والدلالة في ضوء أجلِّ الكتب- القرآن الكريم- كتاب الله المعظَّم.

٣- مواجهة الخلط والعدول من قِبَلِ بعض العلماء؛ لتطويع نص قرآني لقاعدة أو معنى خاص به.

٤-الوقوف على آراء النحاة والبلاغيين والمفسرين، والأغراض الدلالية في الظواهر التركيبية الخمس في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم.

---

(١) النحو والدلالة، د.محمد حماسة عبد اللطيف، ط:دار الشروق، الطبعة الثانية، ص١٩.

- أهـداف الموضوع:

١- الوقوف على مفهوم الظواهر التركيبية (التقديم والتأخير، والحذف، والزيادة، والتضمين، والتوسع) لدى علماء النحو والبلاغة والتفسير؛ في ضوء آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم.

٢-الوقوف على الأغراض النحوية والدلالية في الظواهر التركيبية الخمس في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم.

٣-الوقوف على التناوب الدلالي في آيات الهدى والضلال.

٤- معرفة حدود ورود لفظي (الهدى والضلال) ودلالاتهما في القرآن الكريم.

- حـدود الـدراسـة:

وحدود البحث هي دراسة آيات: (الهدى والضلال) في القرآن الكريم، حيث وردتا في (٥٠٧) خمسمائة وسبع آيات، حيث وردت لفظة (الهدى) في (٣١٦) ثلاثمائةٍ وستَ عشرةَ آيةً، ووردت لفظة (الضلال) في (١٩١) مائةٍ وإحدى وتسعين آيةً.

وأما ما ورد في معنيهما في القرآن الكريم، فقد وردت لفظتا (الهدى والضلال) في (٣٧٣٥) ثلاثِ آلافٍ وسبعمائةٍ وخمسٍ وثلاثينَ آيةً، حيث ورد معنى لفظة (الهدى) في (١٧٥٠) ألفٍ وسبعمائةٍ وخمسينَ آيةً، وورد معنى لفظة (الضلال) في (١٩٨٥) ألفٍ وتسعمائةٍ وخمسٍ وثمانينَ آيةً؛ وتأتي الدراسة في تناول ما جاء لفظًا لا معنى؛ لتعدد مواضعه بكثرة.

- الدراسات السابقة:

- أولا: دراسات تناولت ظواهر التركيب:

١- التقديم والتأخير بين النحو والبلاغة، رسالة ماجستير، إعداد: مي إليان الأحمر، كلية الآداب والعلوم في الجامعة الأمريكية في بيروت، نوقشت وأجيزت بتاريخ ٢٠٠١/٦/١٢م.

وخطة هذه الرسالة أنها تنقسم إلى ثلاثة فصول:الأول: تناول المقدمة، والثاني: تناول التقديم والتأخير في النحو، والثالث: تناول التقديم والتأخير في البلاغة عند الجرجاني.

٢- الحذف والتقدير في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، إعداد: مرشد سعيد أحمد محمود، نوقشت وأجيزت في جامعة لاهور -بنجاب- باكستان، عام ١٩٩٥م.

وخطة هذه الرسالة أنها تنقسم إلى أربعة فصول: الأول: تناول مفهوم الحذف ومفهوم التقدير عند علماء اللغة والبلاغة، والثاني: تناول حذف الحرف في القرآن الكريم، والثالث: تناول حذف الأسماء، والرابع: تناول حذف الفعل، ثم حذف الفعل مع فاعله ثم حذف المقدرات ثم حذف جوابات الشرط ثم حذف جملة القسم وجملة جواب القسم.

٣- الزيادة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إعداد: سهير إبراهيم أحمد سيف، نوقشت وأجيزت في الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، عام ٢٠٠٠م.

وخطة هذه الرسالة أنها تنقسم إلى ثلاثة أبواب: الباب الأول: ينقسم إلى أربعة فصول: الأول: تناول مفهوم الزيادة عند النحاة والبلاغيين والمفسرين، والثاني: تناول تناول آراء النحاة في الزيادة، ومواطن الخلاف بينهم وبين المفسرين، والثالث: تناول الزوائد عند النحاة ومواضع زيادتها، الرابع: تناول حصر الزائد في القرآن الكريم، وتناول الباب الثاني: أسباب القول بالزيادة عند النحاة والمفسرين، وتناول الباب الثالث: الأثر البلاغي لدخول الزيادات في النص القرآني.

٤- التضمين وأثره في تفسير القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إعداد: محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله البليمي، **نوقشت وأجيزت في جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين بقسم التفسير، عام ١٤٢٨هـ.**

وهي تنقسم إلى بابين: الباب الأول: التضمين عند البلاغيين والمفسرين، ويندرج تحته ثلاثة فصول: تناول الفصل الأول: التضمين عند البلاغيين والنحويين وأثره في التفسير،وتناول الفصل الثاني: التضمين في الأفعال والأسماء والحروف، وتناول الفصل الثالث: التضمين عند المفسرين، صوره وأهدافه، وتناول الباب الثاني: الدراسة التطبيقية وفيه الآيات التي ذكر فيها التضمين حسب ترتيب السور القرآنية.

ثمة فروق عديدة بين الدراسات السابقة وهذه الدراسة، حيث تناولت الدراسة الأولى من الدراسات السابقة: ظاهرة التقديم والتأخير عند سيبويه والجرجاني، والثانية: تناولت ظاهرة الحذف في القرآن الكريم لكل قسم من أقسام الكلمة، والثالثة: تناولت آراء النحاة والمفسرين في الزيادة والخلاف بينهم في ظاهرة الزيادة، وأثر الزيادة بلاغة في القرآن الكريم، والرابعة: تناولت ظاهرة التضمين في أقسام الكلمة نحوًا وبلاغة وأثره في التفسير، ولكن هذه الدراسة تجمع خمس ظواهر في

ضوء آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم نحوًا ودلالة، كما أن السياق ومنهجية البحث تختلف- أيضًا- عن هذه الدراسات، حيث رصد كل ظاهرة، في الجملة الاسمية والفعلية والشرطية، وتحديد عدد ورودها في آيات الهدى والضلال، وذكر آراء النحاة والبلاغيين والمفسرين؛ لاستنباط الأثر الدلالي من وراء ذلك في فصول هذه الدراسة.

ثانيًا: دراسات تناولت (الهدى والضلال):

هناك دراسة واحدة بعنوان: ألفاظ الهداية والضلال في القرآن الكريم في ضوء تفسيري القرطبي والشعراوي (دراسة صرفية، نحوية، دلالية) رسالة ماجستير، إعداد: سائد فايز محمود جرار، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، نوقشت وأجيزت بتاريخ ٢٠١٤/١/١٦م.

وهذه الرسالة تختلف عن رسالتي من حيث إنها تناولت: المقدمة، والتمهيد الذي تناول: موجز سيرتي القرطبي والشعراوي، ثم أثر اللغة والنحو في تفسيري القرطبي والشعراوي، وتلى التمهيد ثلاثة فصول، وتناول الفصل الأول: الدراسة الصرفية (البنى الصرفية لألفاظ الهداية والضلال)، ويندرج تحته ثلاثة مباحث: الأول: الفعل وأقسامه الصرفية، والثانى: المصدر واسمه فى ألفاظ الهداية والضلال، والثالث: المشتقات في ألفاظ الهداية والضلال، وتناول الفصل الثاني: الدراسة النحوية فى ألفاظ الهداية والضلال، وتناول الفصل الثالث: الدراسة الدلالية في ألفاظ الهداية والضلال، الأول: قضايا دلالية لفظية في آيات ألفاظ الهداية والضلال، الثاني: قضايا دلالية غير لفظية في ألفاظ الهدى والضلال.

وتلك الدراسة لاتتصل بموضوع بحثي، حيث تعد تصنيفية، كما أنها تناولت أنماط التركيب في ضوء تفسيري القرطبي والشعراوي، هذا بالإضافة إلى أنها تناولت ظاهرتي التقديم والتأخير في صفحات لا تتجاوز العشرة؛ وفي ضوء تفسيرين فقط، بينما دراستي تناولت خمس ظواهر، وهم: التقديم والتأخير، والحذف، والزيادة، والتوسع، والتضمين في ضوء تفاسير عديدة، منها: الكشاف للزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ومفاتيح الغيب للرازي (ت٦٠٦هـ)، وروح المعاني للألوسي (ت١٢٧٠هـ)، وجامع البيان في تأويل القرآن للطبري (ت٣١٠هـ)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت٣١١)، والدر المصون للسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، وفتح القدير للشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، والمحرر الوجيز لابن عطية (ت٥٤٢هـ)، والبحر المحيط في التفسير لأبي حيان (ت٧٤٥ هـ).

المنهـج المتبـع:

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي الذي يعتمد على رصد الظاهرة اللغوية في زمانها ومكانها المحددين؛ لتكون الملاحظة والاستقراء، ثم يتبعهما التصنيف والإحصاء، ثم يتبعهما التوصيف والتحليل للأسس التي يَبني عليها الباحث نتائجه؛ فيتم استخلاص ظواهر التركيب في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم، ومن ثَمَّ فهو منهج لغوي لا يفارق التركيب وما تكوَّن منه، ويكون الوصف والإحصاء والتحليل والتفسير؛ كاشفًا عن الظواهر الواردة في هذه الدراسة، ويكون –أيضًا– كاشفًا عن الأبعاد الدلالية لكل ظاهرة.

خطـة الدراسة:

اشتملت الدراسة على مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، وذلك كما يلي:

- **المقدمة:** تناولت أهمية الموضوع، وأهداف الموضوع، وحدود الدراسة، والدراسات السابقة التي تناولت ظواهر التركيب، والدراسات التي تناولت الهدى والضلال، والمنهج المتبع، وخطة الدراسة.
- **التمهيد: وتناول أولا:** ظواهر التركيب بين المصطلح والمفهوم، **ثانيًا:** ظواهر التركيب بين النحو والبلاغة، **ثالثًا:** مصطلحا (الهدى والضلال) في القرآن الكريم.
- وتلا التمهيد خمسة فصول، حيث **تناول الفصـل الأول:** ظاهرة التقديم والتأخير في آيات الهدى والضلال.
- **واشتمل على ثلاثة مباحث: الأول:** ظاهرة التقديم والتأخير في الجملة الاسمية، **الثاني:** ظاهرة التقديم والتأخير في الجملة الفعلية، **والثالث:** ظاهرة التقديم والتأخير في الجملة الشرطية.

- **وتناول الفصل الثاني:** ظاهرة الحذف في آيات الهدى والضلال، واشتمل على **ثلاثة مباحث: الأول:** ظاهرة الحذف في الجملة الاسمية، **والثاني:** ظاهرة الحذف في الجملة الفعلية، **الثالث:** ظاهرة الحذف في الجملة الشرطية.
- **وتناول الفصل الثالث:** ظاهرة الزيادة فى آيات الهدى والضلال، **ويشتمل على مباحث:الأول:** ظاهرة الزيادة في الجملة الاسمية، **والثاني:** ظاهرة الزيادة في الجملة الفعلية، **والثالث:** ظاهرة الزيادة في الجملة الشرطية.
- **وتناول الفصل الرابع:** ظاهرة التضمين فى آيات الهدى والضلال، **واشتمل على ثلاثة مباحث: الأول:** ظاهرة التضمين في الجملة الاسمية، **والثاني:** ظاهرة التضمين في الجملة الفعلية، **والثالث:** ظاهرة التضمين في الجملة الشرطية.
- **وتناول الفصل الخامس:** ظاهرة التوسع في آيات الهدى والضلال، **واشتمل على ثلاثة مباحث: الأول:** ظاهرة التوسع في الجملة الاسمية، **والثاني:** ظاهرة التوسع في الجملة الفعلية، **والثالث:** ظاهرة التوسع في الجملة الشرطية.
- **الخاتمة:** وتتناول أهم النتائج التي توصل إليها البحث.
- **المصادر والمراجع.**

التمهيـــد

مصطلح الظواهر:

من خلال العلاقة اللغوية والاصطلاحية لمصطلح (الظواهر) ، ندرك أن **الظواهر لغةً:** جمع ظاهرة ، والظواهر، ما ظهر من الشيء وتكرر ظهوره، فقد ورد في لسان العرب "والظاهرةُ: أَن تَرِدَ كُلَّ يَوْمٍ"[1] أي تكرر الورود.

الظواهر اصطلاحًا:

مصطلح استخدمه الباحثون من مصطلحات تلازم دراسة التركيب اللغوي، منها: (الظواهر، والخصائص، والعوارض)، ومصطلح الظواهر أعم وأشمل من مصطلحي الخصائص والعوارض؛ فمصطلح الخصائص يركز على الظواهر التي ترددت في النص بنسبة عالية؛ فتتبدل من كونها ظاهرة إلى خصيصة يركز عليها الكاتب ويكررها، أما مصطلح الظواهر فيركز على كل ظواهر التركيب، مهما كانت نسبة ترددها في النص.

مصطلح التركيب:

والتركيب لغةً: مصدر للفعل (ركَّبَ)، و"ركبَّه تركيبًا: وضع بعضه على بعضٍ فتركَّب وتَراكَبَ"[2]، وترد دلالة المصطلح اللغوية، في المعجم الوسيط ممزوجة بدلالته الاصطلاحية، فـ"ركَّب الشيءَ: وضع بعضه على بعض وضمه إِلَى غَيره فَصَارَ شَيْئًا وَاحِدًا فِي المنظر"[3].

والتركيب اصطلاحًا: هو ضم لفظة مفردة إلى أخرى، كالتركيب الإضافي، أو أنك تجعل التركيب إسناديًّا، كأن تسند خبر إلى مبتدأ، أو فاعل إلى فعل، فيتكون التركيب الذي يترتب عليه الغرض والدلالة.

وفي التراث النحوي ذكر ابن السراج (ت٣١٦هـ): عن التركيب أنه "ضم مفرد إلى مفرد"[1]، وزاد ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) في تفسير معنى التركيب ونَوْعَيْهِ، فقال: "المركب على ضربين: تركيب إفراد،

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ط: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ٥٢٥/٤.

(٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م، مادة (ر ك ب) ٧٥/١.

(٣) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م، مادة :(ر ك ب) ٣٦٨/١.

وتركيب إسناد، فتركيب الإفراد أن تأتي بكلمتين، فتركبهما، وتجعلهما كلمة واحدة، بإزاء حقيقة واحدة، بعد أن كانتا بإزاء حقيقتين... وتركيب الإسناد أن تركب كلمة مع كلمة، وينسب إحداهما إلى الأخرى"[٢].

وأشار ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) إلى تركيب الإفراد بأنه يعتمد على اللفظ التي تركب من جزأين، لكل جزء منهما معنى ينفرد به، كالأسماء المركبة تركيبًا مزجيًّا؛ نحو: معدي كرب، وحضر موت، وبعض الحروف المركبة؛ نحو: (لوما).

ويُكوَّن تركيب الإسناد بإسناد كلمة إلى أخرى؛ نحو: إسناد المبتدأ إلى الخبر، والفعل إلى الفاعل، ومن ثم ليتم بهما تركيب مستقل "به يحسن موقع الخبر، وتمام الفائدة"[٣]، ومن ثم يدرك أن تركيب الإسناد يُعْنَى به بناء جملة مفيدة يحسن السكوت عليها.

وحديثًا ترد دلالة مصطلح (التركيب) – اصطلاحًا – مرتبطة إلى حد كبير بما ذكره ابن يعيش، فمصطلح (التركيب) "في النحو يُعنى به: الجملة، ويكون اللفظ فيها مقصودًا بجزء منه الدلالة على جزء معناه "[٤].

ومن خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي لمصطلحي (الظواهر والتركيب) ندرك أن العلاقة بينهما متجانسة؛ حيث إن تناولَ الظواهر في هذه الدراسة قائم على تحليل ما نلمسه من الظواهر اللغوية: (التقديم والتأخير)، أو (الحذف)، أو (الزيادة)، أو (التضمين)، أو (التوسع)، وما ينتج عنها من دلالات لا تدرك إلا بها، وفي لغتنا العربية المرنة، شاع استخدام تلك الظواهر للعديد من الأغراض التي يريدها المتكلم، فقد يوجز أو يؤكد أو يشكك أو يخصص...، فكل ذلك مرتبط بإعطاء دلالات لغوية يقصدها المتكلم من خلال لجوئه إلى مثل هذه الظواهر.

---

(١) الأصول في النحو، ابن السراج ١١١/٢.

(٢) شرح المفصل، ابن يعيش ٧٢/١.

(٣) المرجع السابق: ٢٠/١.

(٤) قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، د. إميل يعقوب، ود. بسام بركة، ومي شيخاني، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ص١٢٠.

مفهوم (الهدى والضلال) في القرآن الكريم:

أولًا: مفهــوم الهدى:

يلحظ في معنى الهداية معنى الهداية، حيث إنها الدلالة بلطف على مايوصل للمراد، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿**ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ**﴾[1]، فإن قيل كيف جعلت الهداية دلالة بلطف؟ وكيف يتوصل إلى ماهو مراد؟ وقد ذكر في القرآن أن هناك هداية إلى صراط الجحيم، حيث قال تعالى: ﴿**مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ**﴾[2]، ولكن استعمال اللّفظ في هذه الآية كان على سبيل التّهكّم والسخرية، قصدًا إلى المبالغة في المعنى، وذلك كما ورد في قوله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[3].

ثانيًا: مفهــوم الضلال:

يدور معنى الضلال في القرآن الكريم حول العدول عن الصواب، والميل إلى الرغبات والشهوات، والابتعاد عن طرق الاستقامة، فلا يكاد الإنسان يصل إلى مراده؛ إما لجور وبُعد عن الدين، وانتهاك حرمات الله، وإما التيه عن الطرق الموصلة إلى السعادة في الدنيا والنعيم بالآخرة، تلك هي الغاية الأسمى التي يجب أن تكون غاية كل إنسان؛ ومن لم يطرق أبواب التوبة دائمًا ويبعد عن الضلال وكل ما يقرب إليه فيكون خاسرًا هالكًا، فاللهم ارض عنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.

---

(١) الفاتحة ٦/١.

(٢) الصافات ٢٣/٣٧.

(٣) التوبة ٣٤/٩.

ألفاظ (الهدى والضلال) فى القرآن الكريم:

وردت معاني ألفاظ (الهدى والضلال) فى القرآن الكريم بمعانٍ خاصة عديدة، حيث إن لفظة (الهدى): يدور معناها حول شدة التعلق بالله والإيمان به؛ ومنها: قوله تعالى:﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [1]، كما يدور معناها حول مراعاة تعاليم الله والثبات على تطبيقها؛ ليظل المؤمن على الصراط المستقيم، فيسعد في الدنيا وينعم بالآخرة، وقد ذكر الطبري (ت٣١٠هـ) في تفسير قوله تعالى﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[2]، أن المراد بالهدي في هذا الموضع: "وَفِّقْنا للثبات عليه"[3]، ومنها: الإسلام والحث على تطبيق تعاليمه؛ نحو قوله تعالى﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [4]، وذكر ابن عباس (ت٦٨هـ) في تفسير هذه الآية: أن المرء يكون "على دين قَائِم يرضاه هُوَ الْإِسْلَام"[5].

وأما لفظة (الضلال) فقد تعددت معانيها في القرآن الكريم، ومن هذه المعاني: الغواية والحض على الفسق واتباع الهوى، ويمثل ذلك قوله تعالى :﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾[6]، ومنها: بطلان التدبير، الخسران، وبئس المصير، ومنه قوله

---

(١) الكهف ١٣/١٨.

(٢) الفاتحة ٦/١.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تح: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، د.عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ١ /١٦٦.

(٤) الحج ٦٧/٢٢

(٥) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، عبد الله بن عباس، جمعه: الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، لبنان ٢٨٣/١ .

(٦) يس ٦٠/٣٦.

تعالى:﴿وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾[1]، أي: "وما تدبيرهم ومكرهم إلا في خسرانٍ وهلاك"[2].

(١) غافر ٢٥/٤٠.

(٢) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ٩٢/٣ .

آيات (الهدى والضلال) فى القرآن الكريم:

تشير آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم إلى إنَّ هداية الله –تعالى– للإنسان رُوحيًا هي أبرز عن كونها مادية، والاهتمام بالجانب الروحي يلحظ من أن عدد الآيات التي تحدثت عن الهداية ماديا لا تتخطى بضع آيات، في حين أن الحديث عن الهداية روحيًّا تصل إلى قرابة مائتي آية؛ ولذلك أنزل الله الكتب والرسل، وألزم الخلق اتباع الرسل والعمل بما يدعون، والسعي إلى ابتغاء مرضات الله، كما يجب على البشر أن يدركوا أن الهداية الحقيقة أن يعرف الخلق الله –تعالى– وصفاته العظيمة، كما يجب أن يتبعوا منهجه ، وأن يقتفوا أثر النبي – صلى الله عليه وسلم– وأن يعرضوا عن كل طرق الغواية التي هي مخالفة لمنهج الله ونبيه؛ ولذا كان إرشاد الله –تعالى– للنبي ﷺ والعباد أن يسألوا الله التوفيق لهم، واتباع سبل الهداية.

ووردت ظواهر التركيب في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم، في (٨٥٣) ثمانمائة وثلاثة وخمسين موضعًا، أمكن تصنيفهم في الفصول والمباحث التالية:

الفصل الأول

التقديم والتأخير في آيات

الهدى والضلال في القرآن الكريم

توطئة:

إن اللغة العربية تتميز بكثير من المميزات دون سائر اللغات، حيث المرونة أثناء التعبير عن مراد المتكلم، وتظهر تلك المرونة في لماذا يقدم ويؤخر المتكلم؟ ولماذا يرفع وينصب؟ ويتم ذلك وفق القواعد اللغوية الواضحة التي تضمن سلامة المعنى تبعًا لما يريد إضفاءه على الكلام من معانٍ، وعلى الرُّغْم من ذلك يوجد حالات يمتنع فيها التقديم، وتناول علماء النحو والبلاغة مصطلح التقديم والتأخير بالدراسة المستفيضة لأهميته اللغوية والدلالية، وأطلق بعضهم عليه مصطلح الرتبة.

يُعَدُّ أسلوب التقديم والتأخير من خصائص اللغة العربية، ومن ثَمَّ تظهر"أهمية الإعراب الذي يحافظ على حرية التعبير، ولولاه لأصبحت اللغة جامدة"(١)، لا تسمح إلا بنظام لثابت لا يتغير، ولا يحيد عنه المتكلم.

والتقديم والتأخير غير مرتبط بالإعراب فحسب، بل إنه يرتبط بالمعنى أيضًا ، ويظهر ذلك في الفرق المعنوي بين جملة (محمد جاء) وجملة (جاء محمد)، فالأولى كانت دلالتها على أن الذي جاء هو محمد وليس غيره، والثانية تدل على الإخبار عن مجيئه إخبارًا لا يشاركه فى المعنى شيء آخر.

وقد كثر كلام القدماء والمحدثين في باب (التقديم والتأخير) إلى بيان دور المُقدَّم –دون المؤخر– في أداء المعنى، "للعناية والاهتمام، أو لِعِظَمِهِ والاهتمام به أو لإرادة معنى الاختصاص أو لأن الخاطر ملتفت إليه والهمة معقودة به"(٢).

---

(١) ظاهرة التقديم والتأخير في اللغة العربية، فضل الله النور علي، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية اللغات، مجلة العلوم والفنون، ص١٨٠، نوفمبر ٢٠١٢م.

(٢) من دلالات التأخير في العربية، د. محروس السيد بُريك، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الخامس، محرم ١٤٣٢هـ– يناير ٢٠١١م، ص٢٣.

التقديم والتأخير لغة واصطلاحًا:

التقديم والتأخير لغة: يدور معنى التقديم لغة حول تقديم شيء على الآخر، ومنه مقدمة الجيش، ويدور معنى التأخير لغة حول كل مؤخر دون الأشياء؛ فالمصطلحان متضادان فيما يعطيانه من معنى[١].

اصطلاحًا: فقد تناول النحاة ظاهرة التقديم والتأخير من ناحية المستحسن تقديمه أوالمستقبح، كذلك الواجب في التقديم والتأخير، أو الجواز في التقديم والتأخير، وحسن التقديم في مواضع بشرط أمن اللبس في الفهم، فقال سيبويه (ت١٨٠هـ): "وزعم الخليل –رحمه الله– أنه يستقبح أن يقول قائم زيد، وذاك إذا لم تجعل قائمًا مقدمًا مبنيًا على المبتدإ، كما تؤخِّر وتقدِّم فتقول: ضرب زيدًا عمرٌو، وعمرٌو على ضَرَبَ مرتفعٌ. وكان الحدُّ أن يكون مقدَّما ويكون زيدٌ مؤخَّرا. وكذلك هذا، الحدُّ فيه أن يكون الابتداء (فيه) مقدَّما. وهذا عربيٌ جيد"[٢].

وأشار ابن جني (ت٣٩٢هـ) إلى انتشار ظاهرة التقديم والتأخير في اللغة العربية عامة والقرآن الكريم خاصة بقوله: "والأمر في كثرة تقديم المفعول على الفاعل في القرآن وفصيح الكلام متعالَم غير مستنكر"[٣]، يضاف إلى ذلك أنه حدد مواضع جواز التقديم "ومما يصح ويجوز تقديمه خبر المبتدأ على المبتدأ؛ نحو: قائم أخوك، وفي الدار صاحبك. وكذلك خبر كان وأخواتها على أسمائها، وعليها أنفسها، وكذلك خبر ليس؛ نحو: زيدًا ليس أخوك"[٤].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (ق د م)، والقاموس المحيط، مجد الدين محمد الفيروزآباديّ، مادة (ق د م)، والقاموس المحيط، مجدالدين محمد الفيروزآباديّ، مادة (أ خ ر).

(٢) الكتاب، سيبويه، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، تح: عبد السلام محمد هارون ١٢٧/٢.

(٣) الخصائص، ابن جني، تح: محمد علي النجار، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م، ٢٩٧/١.

(٤) الخصائص، ابن جني ٣٨٢/٢.

وللخبر عند ابن هشام (ت٧٦٢هـ) ، ثلاث حالات، فقد "يتأخر وجوبًا وهو الأصل في أربع حالات، وقد يتقدم وجوبًا في أربعة مواضع...، وأما الحالة الثالثة: فهي جواز التقديم والتأخير، وذلك فيما فُقِدَ فيه موجبهما"[١].

وأشار جمهور النحاة إلى وجوب حفظ الرتبة لكل من المبتدأ والخبر في مواضع معينة، وباستقراء هذه المواضع في آيات الهدى والضلال نرى أن المبتدأ وجب تقديمه على الخبر[٢]، إذا أوهم التقديم ابتدائية الخبر، حيث يكونا معرفتين أو نكرتين متساويتين، ولا قرينة؛ كقولك: زيد أخوك، وقد ورد ذلك في عدة مواضع، ويمثل ذلك قول الله تعالى:﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ﴾[٣]، كذلك إذا كان الخبر فعلا؛ نحو: زيدٌ قام، وورد ذلك في قوله تعالى:﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[٤].

وأيضًا إذا كان الخبر محصورًا بـ(إنما، وإلا)؛ نحو قوله تعالى:﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[٥]؛ ونحو قوله تعالى:﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾[٦]، ومنها: إذا كان المبتدأ لازم الصدارة في الجملة، كما في أسماء الاستفهام والشرط؛ نحو:أيهم أفضل؟، ومن يقم أقم، وقد ورد ذلك في آيات الهدى والضلال في عدة مواضع، يمثل ذلك قوله تعالى:﴿وَمَن

---

(١) أوضح المسالك، ابن هشام ١/٢٠٦-٢١٦.

(٢) همع الهوامع، السيوطي، تح: عبد الحميد الهنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر ١/٣٢٩.

(٣) البقرة ٢/١٢٠.

(٤) البقرة ٢/٢١٣.

(٥) البقرة ٢/١٣٧.

(٦) النور ٢٤/٥٤.

يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1]، ومنها: إذا كان المبتدأ مقرونًا فالفاء، أو الخبر مقترنًا بالباء الزائدة؛ نحو:ما زيدٌ بقائم، ورد ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ﴾[2].

فالحالة التي تقتضي تأخير المسند هي:"إذا كان المسند إليه أهم... وأما الحالة المقتضية لتقديمه: فهي أن يكون متضمنًا للاستفهام؛ نحو: كيف زيد؟...، والقانون الثاني موضع تقريره؛ أو أن يكون المراد تخصيصه بالمسند إليه كقوله عز وعلا: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾[3].

وذهب جمهور النحاة إلى وجوب مخالفة هذا الأصل بتقديم الخبر وتأخير المبتدأ في مواضع، منها: أن يقصد حصر المبتدأ: المحصور يكون ثانيًا، فإذا أردنا حصر المبتدأ فإن الخبر يجب أن يتقدم عليه؛ لئلا يلتبس المحصور بالمحصور عليه؛ نحو: ما بنا إلا الإيمان، أو أن يوقع تأخير الخبر في لبس معنوي: وعندها يفهم عدم إتمام المعنى؛ وذلك نحو قولك: في القاعة طلاب، فلو تأخر الخبر لتوهم نقصان بالجملة، وقد يفهم أن شبه الجملة نعت للمبتدأ، وورد ذلك في مواضع كثيرة، ويمثل ذلك قوله تعالى:﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾[4].

أو أن يكون الخبر واجب الصدارة في الجملة: وذلك مثل اسم الاستفهام الذي يكون في محل رفع خبر؛ نحو: أين اخوك؟، حيث تعرب لفظة (أين) اسم استفهام مبنٍ على الفتح في محل رفع خبر مقدم وجوبًا، وشبه الجملة في محل رفع مبتدأ مؤخر؛ ويمثل ذلك قوله تعالى:﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ

---

(١) آل عمران ١٠١/٣.

(٢) النمل ٨١/٢٧.

(٣) الكافرون ٦/١٠٩.

(٤) البقرة ١٢٠/٢.

رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾[1].

ومنها: أن يكون الخبر اسم إشارة ظرفًا؛ وذلك نحو: ثَمَّ صديقي، أي: هناك صديقي، حيث أن (ثَمَّ) اسم إشارة ظرفي، أو ظرف مكان إشاري مبني على الفتح في محل نصب، وشبه الجملة (ثَمَّ) في محل رفع خبر مقدم؛ نحو قولك: هنا القاهرة، ويمثل ذلك قوله تعالى:﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[2].

أو أن يكون المبتدأ مصدرًا مؤولًا من (أنَّ) المفتوحةِ الهمزة المشددة النون ومعموليها: وحينها يتقدم الخبر على المبتدأ حتى لا يلتبس بـ(إنَّ) المكسورةِ الهمزة التي لها الصدارة والابتداء بالجملة؛ نحو قوله تعالى:﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾[3].

وفي هذه الدراسة سينتج لنا دلالات أخرى غير هذه من وراء ظاهرة التقديم والتأخير؛ فليس كل تقديم وتأخير كانت غايته صرف الانتباه إلى المقدم دون المؤخر فحسب؛ فقد يُقَدَّم المقدم ويُؤخَّر المؤخر لا لأهمية المقدم والعناية به فحسب.

كذلك فقد يؤخَر المبتدأ –وجوبًا– حتي يمكن الابتداء بالنكرة؛ وذلك قصدًا إلى إفادات عديدة، منها: التعظيم، أو الإحاطة والشمول، كذلك يتأخر العنصر النحوي إذا قُصد بالاختصاص والحصر بـ(ما وإلا، أو إنما)، أو نحو ذلك من معانٍ[4].

---

(١) الأعراف ٣٧/٧.

(٢) البقرة ١١٥/٢.

(٣) يس ٤١/٣٦.

(٤) الأصول في النحو، ابن السراج ٥٩/١–٦٢، والمفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري، تح:د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، ص ٤٤، وهمع الهوامع، السيوطي ٣٦٦/١.

وقد نوَّه كثير من النحاة والبلاغيين القدماء والمحدثون وكثير من المفسرين إلى دلالات التقديم وأغراضه، كما نصوا على "أثر تقديم المقدم في الدلالة، على اعتبار أن كل تقديم يقتضي تأخيرًا، وأن غرض التقديم لا يعدو أن يكون هو نفسه غرض التأخير"[(١)]، وقد يخفى معنى أحد ركني الجملة لينحصر المعنى في الآخر، ويزيد اهتمامًا وتخصيصًا بالمراد.

وظاهرة التقديم والتأخير فيها غايات دلالية تتمحور حول مايلي[(٢)]:

١- العناية بالمتقدم والاهتمام به.
٢- تخصيص المسند بالمسند إليه.
٣- التشويق إلى ذكر المسند.
٤- تمكن الخبر لدى السامع.

وزيادة في إدراك دلالة التقديم والتأخير، نلحظ المقارنة بين الآيتين الكريمتين التاليتين؛ نحو قوله تعالى:﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[(٣)]؛ ونحو قوله تعالي:﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[(٤)].

ففي الآية الأولى يعني أنه جاء من أقصى المدينة، أي: من أبعد مكان فيها، بينما في الآية الثانية ليس بالضرورة أن مجيئه من أبعد مكان، بل التركيز على الرجل وغرض مجيئه إلى سيدنا موسى – عليه السلام– حيث التوضيح لما أراد الملأ أن يفعلوه بسيدنا موسى.

(١) من دلالات التأخير في العربية، د. محروس السيد بُريك، ص٢٥.
(٢) الكتاب، سيبويه ٤٥/١، ومفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، ٣٢١، وانظر الايضاح، القزويني، ١٦٢/٢، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيي بن حمزة بن علي بن إبراهيم، العلوي اليمني، ٦٥/٢ .
(٣) يس ٢٠/٣٦.
(٤) القصص ٢٠/٢٨.

مواضع امتناع التقديم[1]:

١- الصلة على الموصول.

٢- المضمر على الظاهر في اللفظ والمعنى إلا ما جاء منه على شريطة التفسير.

٣- الصفة وما اتصل بها على الموصوف وجميع توابع الأسماء.

٤- المضاف إليه وما اتصل به على المضاف.

٥- ما عمل فيه حرف أو اتصل به لا يقدم على الحرف و ما شابهه من هذه الحروف مما اتصل بالفعل فنصب و رفع، فلا يقدم مرفوعها على منصوبها.

٦- الفاعل لا يقدم على الفعل.

٧- الأفعال التي لا تتصرف لا يقدم عليها ما بعدها.

٨- الصفات المشبهة بأسماء الفاعلين، والصفات التي لا تشبه أسماء الفاعلين لا يقدم عليها ما عملت فيه.

٩- الحروف التي لها الصدارة في الكلام لا يقدم ما بعدها على ما قبلها.

١٠-ما عمل فيه معنى الفعل فلا يقدم المنصوب عليه.

١١-و لا يقدم التمييز وما بعد (إلا) على ناصبه.

١٢-حروف الاستثناء لا تعمل فيما قبلها.

١٣-العامل لا يقدم منصوبه على مرفوعه، ولا يفرق بين العامل و المعمول فيه بشيء لم يعمل فيه العامل إلا الاعتراضات.

وفي غير مواضع وجوب تقديم المبتدأ وتأخير الخبر، ومواضع تقديم الخبر وتأخير المبتدأ السابقة، يجوز تقديم الخبر وتأخير المبتدأ، وتقتصر الدراسة علي التقديم والتأخير الجائز فقط؛ لأن التقديم والتأخير الجائز هو ما يكون فيه نوع من الاختيار، ومن ثمّ يمكن أن يكون هناك بُعد دلالي لهذا الاختيار؛ تحقيقًا لغاية دلالية.

ووردت ظاهرة التقديم والتأخير في آيات الهدى والضلال في(٥٢) اثنين وخمسين موضعًا، أمكن تناولهم في المباحث والأنماط التالية:

---

(١) اللمع في العربية، ابن جني،تح: فائز فارس، ط: دار الكتب الثقافية – الكويت، ص١٩١، والأصول في النحو، ابن السراج، ٢ /٢٢٢.

المبحث الأول

التقديم والتأخير في الجملة الاسمية

في آيات الهدى والضلال

وردت ظاهرة التقديم والتأخير الجائز في الجملة الاسمية في آيات الهدى والضلال وفق المفهوم السابق، في (٣١) واحد وثلاثين موضعًا، أمكن تصنيفها في الأنماط التالية:

النمط الأول: {خبر شبه جملة (مقدم) + مبتدأ (مؤخر)}

ورد هذا النمط في(٢٨) ثمانية وعشرين موضعًا، أمكن تصنيفهم في الصور التالية:

الصورة الأولى: جملة اسمية {خبر مقدم شبه جملة (جار ومجرور) + مبتدأ مؤخر (معرف بالألف واللام)}

وردت هذه الصورة في آيات الهدى والضلال في (٧) سبعة مواضع[١]، يمثل ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ﴾[٢].

أشار سيبويه (ت١٨٠هـ) إلى ظاهرة تقديم الخبر على المبتدأ في باب بعنوان: "هذا باب ما يقع موقع الاسم المبتدأ ويسد مسده؛ لأنه مستقر لما بعده"[٣]، وذلك يدل على جواز تقديم الخبر شبه الجملة على المبتدأ المعرفة، وهي الحالة الثالثة من حالات تقديم الخبر وتأخيره عند ابن هشام[٤].

---

(١) ينظر المواضع التالية: البقرة ١٤٢/٢، وآل عمران ١٠/٣، وآل عمران ٢٠/٣، والنساء ١٧٦/٤، والزمر ٣/٣٩، وغافر ٢٩/٤٠.

(٢) البقرة ٢٨٢/٢.

(٣) الكتاب، سيبويه ٢/ ١٢٨.

(٤) أوضح المسالك، ابن هشام ٢٠٦/١-٢١٦.

ووافق النحاة سيبويه[١]، عدا الكوفيين، حيث رفضوا تقديم المبتدأ على الخبر؛ لما فيه من تقديم ضمير الاسم على ظاهره في قولك: قائم زيد، ولكنه رأي ضعيف لكثرة مخالفته في كلام العرب؛ ولأن الخبر متأخر في المعنى والتقدير ولو تقدم لفظًا[٢].

يلحظ من الآية الكريمة حال المُدايَنَة الواقعة بين الناس بعد بيان حال الربا، والأمر من الله بكتابة الدَّيْنِ، يكتبه "كاتب مأمون على ما يكتب ، يكتب بالسوية والاحتياط"[٣]، وفي تحديد أحكام الدَّيْنِ فوائد عديدة، كانت كتابة الدين"سَبَبًا لِمَصَالِحِ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ"[٤].

وفي تقدم الخبر على المبتدأ المعرف بالألف واللام (الحق) دلالة التخصيص والتوكيد للمبتدأ دون غيره، هذا بالإضافة إلى أننا نلمس من الآية التنبيه للأمم اللاحقة، والدعوة إلى الالتزام بأوامر الله و نواهية، ومن ثم يجب على كل إنسان أن يقتدي بما أمر الله، وينتهي عما نهى عنه اعتبارًا بما جرى في الأمم المتقدمة.

---

(١) شرح المفصل، ابن يعيش ٢٣٤/١، والكافية في علم النحو، ابن الحاجب ١٥/١، وشرح التصريح، الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ١٩٠/١، وهمع الهوامع، السيوطي ٣٣٣/١.

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ابن الأنباري، تح: د.جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ص٦١.

(٣) الكشاف، الزمخشري، الطبعة: الثالثة دار الكتاب العربي – بيروت ٣٢٥/١.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ٩٠/٧.

الصورة الثانية: [جملة اسمية: {خبر شبه جملة مقدم (جار ومجرور) + مبتدأ مؤخر (معرف بالإضافة)}]

وردت هذه الصورة في آيات الهدى و الضلال في (٦) ستة مواضع[١]، يمثل ذلك قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[٢].

أشار سيبويه (ت١٨٠هـ) إلى ظاهرة تقديم الخبر على المبتدأ في باب بعنوان:"هذا باب ما يقع موقع الاسم المبتدأ ويسد مسده؛ لأنه مستقر لما بعده ، وذلك كقولك: فيها عبدُ الله"[٣].

يلحظ في الشاهد السابق أن الخبر ورد شبه جملة (إلى الله) مقدما على المبتدأ (المسند إليه) المعرف بالإضافة (مَرْجِعُكُمْ)، وتغاير طبيعة الجملة الاسمية حدث لغرض دلالي اقتضاه السياق، يستنبط القارئ هذا الغرض من الآية الكريمة، ولكن الأهم أن لازَمَ الخبر المبتدأ، ومن هذين الشاهدين يدرك أن شبه الجملة مع المبتدأ المعرفة إلا جارًا ومجرورًا.

يُلْحَظ في الآية الكريمة اتساق التقديم مع السياق الذي يقصد إلى التخصيص والتأكيد على وجوب العمل بطاعة الله واجتناب معصيته، ووجوب أن يكونوا "مُصِرِّينَ عَلَى دِينِهِمْ، وَأَنْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَضُرُّهُمْ جَهْلُ أُولَئِكَ الْجَاهِلِينَ إِذَا كَانُوا رَاسِخِينَ فِي دِينِهِمْ ثَابِتِينَ فِيهِ"[٤]؛ ولا يلتفتون إلى جهل الضالين، وكأن المراد أن المؤمنين مختصون بذلك لا غيرهم، ومن ثم ندرك أن تقديم الجار والمجرور كان قصدًا إلى التخصيص والقصر لامتناع العطف على الجار والمجرور عندئذٍ.

---

(١) ينظر المواضع التالية: النساء ٤/ ١٧٦، والنساء ١٧٦/٤، والأعراف ١٥٨/٧، والنحل ٩/١٦، وغافر ٢٨/٤٠.

(٢) المائدة ١٠٥/٥.

(٣) الكتاب، سيبويه ١٢٨/٢.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي ٤٤٩/١٢.

الصورة الثالثة: [جملة اسمية: {خبر شبه جملة مقدم (جار ومجرور)+ مبتدأ مؤخر معرفة (اسم موصول)}]

وردت هذه الصورة في آيات الهدى والضلال في (٦) ستة مواضع[١]، ويمثل ذلك قوله تعالى:﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾[٢].

ورد المسند والمسند إليه مخالفين الترتيب الطبيعي للجملة الاسمية، حيث جاء الخبر(المسند) شبه جملة (منهم) مقدم على المبتدأ المؤخر(مَن) المعرفة، وأشار سيبويه إلى صحة وقوع الاسم الموصول مبتدأ بقوله:"هذا باب ما يقع موقع الاسم المبتدأ ويسد مسده؛ لأنه مستقر لما بعده"[٣]، وأما عن تقدم الخبر على المبتدإ يجعل الترتيب مخالف طبيعة الجملة الاسمية، إلا أن ذلك ليس بمؤثر بالسلب في المعنى فيَضْعُفُ أو يصبح السامع في حيرة من المعنى أو غير ذلك.

يرد التقديم والتأخير في الجملة وفق السياق، وله دلالات رائعة لا تنتهي قط؛ لأن التقديم والتأخير"باب كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفترُّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة"[٤]، فالآية الكريمة تشير إلى أصناف البشر، فمنهم من يتدبر ويعقل ويؤمن بالله، ومنهم من ينظر إلى الهدى النبوي، وعاينوا أدلة صدق الأنبياء ولكنهم لا يصدقون، واجتماع "العمى مع الحمق فجهد البلاء"[٥]، يخص الله – تعالى – في الآية نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم– بالخطاب، ويلحظ من هذا الخطاب التخصيص والتوكيد على الوجوب أن يدرك النبي وسائر البشر–من بعده– أن

(١) ينظر المواضع التالية: النحل ٣٦/١٦، والنور ٥٤/٢٤، ولقمان ٣١ / ٢٠، والأحزاب ٣٣/ ٢٣، والحج ٨/٢٢.
(٢) يونس ٤٣/١٠.
(٣) الكتاب، سيبويه ١٢٨/٢.
(٤) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود شاكر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ص١٠٦.
(٥) الكشاف، الزمخشري، ٣٤٩/٢.

هداية الخلق لا تكون إلا باللجوء إلى الله تعالى دائمًا، وأن القدرة على هدايتهم ورد العمى والسمع والبصر و...، ليس كلٌّ إلا لله وحده.

الصورة الرابعة: [جملة اسمية: {خبر شبه مقدم جملة (جار ومجرور) + مبتدأ مؤخر (نكرة مخصصة)}]

وردت هذه الصورة في آيات الهدى والضلال في (٩) تسعة مواضع[١]، يمثل ذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢].

أشار النحاة إلى أن المبتدأ إذا كان نكرة وكان الخبر شبه جملة، لزم تقديم الخبر على المبتدأ وجوبًا[٣]، ويلحظ من ذلك أن المبتدأ النكرة يتطلب التخصيص بالوصف الذي يدفع إلى تقديم الخبر، أشار ابن هشام إلى ذلك بقوله:"فَإِن طلب النكرَة الْوَصْف لتختص بِهِ طلب حثيث فالتزم تَقْدِيمه دفعا لهَذَا الْوَهم"[٤].

يلحظ في الشاهد السابق أن المبتدأ نكرة مخصصة، وقد خصص هنا بالنعت[٥]، وتقدم الخبر عليه جائز لأمن اللبس بينه وبين النعت، ففي قوله: (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) تقدم الخبر (المسند) شبه الجملة (لَهُمْ) على المبتدأ (المسند إليه)(عَذَابٌ) المبتدأ النكرة المخصص بالوصف (النعت المفرد) (أَلِيمٌ). وهذا التقديم يعني القصد إلى تحقيق غاية دلالية، هي التخصيص والتوكيد على سوء العاقبة للكافرين المكذبين، والله –تعالى– "يعلم الله منهم أنهم لا يؤمنون لا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ لا يلطف بهم؛ لأنهم من أهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة، لا من أهل اللطف والثواب"[٦]؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ إِنَّ نبينا مُحَمَّدًا ﷺ ذكر

---

(١) ينظر المواضع التالية: البقرة ٢/٢، والبقرة ١٥٧/٢، البقرة ١٩٦/٢، وآل عمران ٤/٣، والأنعام ٧١/٦، والأعراف ١٥٩/٧، والأحزاب ٣٣/ ٢٣، ص ٢٦/٣٨.

(٢) النحل ١٠٤/١٦.

(٣) شرح المفصل، ابن يعيش ٩٢/١،وقطر الندى، ابن هشام، ص١٢٤، همع الهوامع، السيوطى ١٠٢/١-١٠٣.

(٤) قطر الندى، ابن هشام، ص١٢٤.

(٥) ظواهر التركيب في ديوان أبي إسحاق الإلبيري، رسالة ماجستير، مروان أكرم أحمد، جامعة المنصورة، ص١٣٩.

(٦) الكشاف، الزمخشري ٦٣٥/٢.

هذه القصص والكلمات التي تعلمها من إنسان آخر، فكان مصير هؤلاء المحقرين سيئًا من جراء أنهم "تَرَكُوا الْإِيمَانَ بِاللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ إِلَى الْجَنَّةِ بَلْ يَسُوقُهُمْ إِلَى النَّار"[1].

النمط الثاني: [جملة اسمية: {فعل ناسخ+ خبر شبه جملة (مقدم) + المبتدأ(مؤخر)}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم في (٦) ستة مواضع، أمكن تصنيفهم في الصور التالية:

الصورة الأولى: [جملة اسمية: {فعل ناسخ+ خبر شبه جملة (جار ومجرور)+ المبتدأ(معرف بالألف واللام)}]

وردت هذه الصورة بتركيبها السابق في آيات الهدى والضلال في (١) موضع واحد، وهو قوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[2].

إن النظم الصواب للجملة تكون فيه ألفاظ الجملة مرتبة بصورة تابعة للمعنى المراد التعبير عنه، والسياق يحدد دلالة اللفظ المستعمل في جمل مختلفة، ومعانٍ مختلفة.

وينسخ الفعل (كان) الجملة الاسمية، ويكثر ورود اسم الفعل الناسخ أولا ثم خبر الفعل الناسخ، ولكن قد يرد في الجملة التقديم والتأخير، وفي ذلك أشار النحاة إلى جواز تقديم أخبار كان وأخواتها على اسمها[3].

---

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٠/٢٧٢.

(٢) الأحزاب ٣٣/ ٣٦.

(٣) الكتاب، سيبويه ١/٤٥، و شرح المفصل، ابن يعيش ٤/٣٤٥، و أوضح المسالك، ابن هشام ١/٢٤٤.

يلحظ في الشاهد السابق أن وردت الجملة الاسمية منسوخة بالفعل (يَكُونَ) الذي دخل على الخبر المقدم شبه الجملة(لَهُمُ) المكون من حرف الجر (اللام)، ومن الضمير (هم)، وتأخر اسم الفعل الناسخ المعرف بالألف واللام (الْخِيَرَةُ)؛ وذلك لتوجيه المؤمنين لاتباع أحكام الله ونبيه بكل ما في هذه الأحكام، فلا يكون لمؤمن ولا مؤمنة "اخْتِيَارٌ عِنْدَ حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَمَا أَمَرَ الله وهو الْمُتَّبَعُ"[١]، فيجب على كل الخلق اتباع هَدْي النبي – صلى الله عليه وسلم– والعمل بما أمر للنجاة في الدنيا والآخرة.

الصورة الثانية: [جملة اسمية: {فعل ناسخ + خبر مقدم شبه جملة (جار ومجرور) + المبتدأ (معرف بالإضافة)}]

وردت هذه الصورة بتركيبها السابق في آيات الهدى والضلال في (٢) موضعين[٢]، ويمثل ذلك قوله تعالى:﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٣].

يُعرَّف الاسم إما بالألف واللام أو يُعَرَّف بالإضافة إلى اسم ظاهر، والمعرف بالإضافة لا يجوز أن يعرف بالألف واللام ، فلا يجوز أن تقول: "جَاءَنِي الْغُلَام زيد لِأَن الْغُلَام معرف بِالْإِضَافَة...؛ لِأَن الْمُضَاف إِنَّمَا يعرفهُ مَا يُضَاف إِلَيْهِ "[٤]، ومن التعريف بالإضافة قول ذي الرمة من **[بحر الطويل]**[٥]:

"أمَنْزِلتيْ ميّ سَلَامٌ عَلَيكُما هَلِ الأزْمُنُ اللائي مَضَيْنَ رواجِعُ"

وفي تقدم خبر الفعل الناسخ على اسمه أشار النحاة إلى جواز أن تتقدم أخبار كان وأخواتها على اسمها[١]، بل منهم من أجاز تقديم خبر كان وأخواتها على اسمها وعليها نفسها.

---

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ١٦٩/٢٥.

(٢) ينظر الموضع الآخر: البقرة ٢٧٢/٢.

(٣) القصص ٣٧/٢٨.

(٤) المقتضب، المبرد ١٧٥/٢.

(٥) ديوان ذي الرمة، ص ٧٨.

يلحظ في الشاهد السابق أن ورد الفعل (وقال) الواقع جوابًا لقول الله – تعالى– المتقدم على هذا الشاهد، وهو:﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى﴾[٢]، معطوف بواو، رُغم أن الجواب لا يعطف أبدًا، والواو "إثباتُها وحَذْفُها واضحان، وهو الذي يسميِّه أهلُ البيان الوصلَ والفصلَ"[٣]، ووجه العطف هنا على أن "المراد حكاية القولين؛ ليوازن الناظر المحكي له بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد"[٤].

كما يلحظ أن الجملة الاسمية وردت منسوخة بالفعل (تَكُونُ)، الذي دخل على الخبر شبه الجملة (لَهُ)، المكون من حرف الجر (اللام) المبني على الفتح لا محل له من الإعراب، ومن الضمير (الهاء) المبني على الضم في محل جر بعد اللام، فصارت شبه الجملة في محل نصب خبر مقدم للفعل الناسخ (تَكُونُ)، وتأخر اسم الفعل الناسخ المعرف بالإضافة (عَاقِبَةُ الدَّارِ)، فالاسم (عَاقِبَةُ) مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة؛ وذلك للتخصيص والتوكيد على أن البشر سيعودون لله وحده، وأن مآل الظالمين غاية السوء.

---

(١) الكتاب، سيبويه ٤٥/١، وشرح المفصل، ابن يعيش ٣٤٥/٤، وأوضح المسالك، ابن هشام ٢٤٤/١.

(٢) القصص: ٣٦.

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبى، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق ٨٧٦/٨.

(٤) روح المعاني، الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٨٧/١٠.

الصورة الثالثة: [جملة اسمية: {فعل ناسخ + خبر مقدم شبه جملة (جار ومجرور) + المبتدأ (مصدر مؤول)}]

وردت هذه الصورة بتركيبها السابق في آيات الهدى والضلال في (١) موضع واحد، تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[١].

يرى النحاة جواز أن يتقدم خبر كان وأخواتها على اسمها[٢]، وهذا التقدم لا يعني اختلالا في بناء الجملة، طالما النظم ترتبت فيه ألفاظ الجملة بصورة تابعة للمعنى المراد التعبير عنه، والسامع يفهم مراد المتكلم ويحدد دلالة اللفظ المستعمل في جمل مختلفة، ومعانٍ مختلفة.

يلحظ في الشاهد السابق أن وردت الجملة الاسمية منسوخة بالفعل (كانَ) الذي دخل على الخبر المقدم شبه الجملة (لِمُؤْمِنٍ) المكون من حرف الجر (اللام)، ومن الاسم المجرور (مُؤْمِنٍ)، وتأخر اسم الفعل الناسخ المعرف بكونه مصدرًا مؤولًا (أن يكون لهم الخيرة)، الذي تركب من أداة النصب (أنْ) والفعل المضارع المنصوب (يَكُونَ)؛ وذلك للتوكيد على وجوب توجيه المؤمنين لاتباع أحكام الله ونبيه بكل ما في هذه الأحكام، فلا يكون لمؤمن ولا مؤمنة "اخْتِيَارٌ عِنْدَ حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَمَا أَمَرَ الله وهو الْمُتَّبَعُ"[٣]، كما يلحظ من الآية إبطال التبني في شريعة الإسلام.

---

(١) الأحزاب ٣٦/٣٣.

(٢) الكتاب، سيبويه ٤٥/١، وشرح المفصل، ابن يعيش ٣٤٥/٤، وأوضح المسالك، ابن هشام ٢٤٤/١.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي ١٦٩/٢٥.

الصورة الرابعة: [جملة اسمية: {فعل ناسخ+ خبر مقدم شبه جملة (جار ومجرور)+ المبتدأ (نكرة مخصصة)}]

وردت هذه الصورة بتركيبها السابق في آيات الهدى والضلال في (٢) موضعين[١]، يمثل ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾[٢].

أشار النحاة إلى أنه يجوز أن يتقدم خبر كان وأخواتها على اسمها[٣]، بل منهم من أجاز تقديم خبر كان وأخواتها على اسمها عند البصريين والفراء، وأجازه بقية الكوفيين[٤].

يلحظ في الشاهد السابق أن وردت الجملة الاسمية منسوخة بالحرف المشبه بالفعل الناسخ (لَيْسَ)، الذي دخل على الخبر المقدم شبه الجملة (عَلَيْكُمْ)، المكون من حرف الجر (على)، المبني على السكون لا محل له من الإعراب، ومن الضمير (كُمْ) المبني في محل جر بعد (على)، وتأخر اسم الفعل الناسخ النكرة المخصصة (جُنَاحٌ)، وهو مخصص بوصف بالمصدر المؤول(أَنْ تَبْتَغُوا) الذي تركب من أداة النصب (أَنْ) والفعل المضارع المنصوب (يَكُونَ)؛ وذلك للتخصيص والتوكيد على عدم حرمة التجارة خلال الحج؛ حيث أن المراد من قوله: (فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ) "عطاء منه وتفضلا، وهو النفع والربح بالتجارة"[٥]، ولكن يجب الامتناع عن كل ما يعطل عن العبادة أثناء الحج والتفرغ التام.

---

(١) ينظر الموضع الآخر: يوسف ١١١/١٢.

(٢) البقرة ١٩٨/٢.

(٣) الكتاب، سيبويه ٤٥/١، وشرح المفصل، ابن يعيش ٣٤٥/٤، وأوضح المسالك، ابن هشام ٢٤٤/١.

(٤) أوضح المسالك، ابن هشام ٢٤٦/١.

(٥) الكشاف، الزمخشري ٢٤٥/١.

النمط الثالث: [جملة اسمية: {حرف ناسخ+ خبر شبه جملة (مقدم) + المبتدأ(مؤخر)}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في أربعة (٤) مواضع، أمكن تصنيفهم في الصور التالية:

الصورة الأولى: [جملة اسمية: {حرف ناسخ+ خبر مقدم شبه جملة (جار ومجرور) + المبتدأ(معرف بالألف واللام)}]

وردت هذه الصورة بتركيبها السابق في آيات الهدى والضلال في (١) موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾[١].

أشار النحاة إلى أنه لا يجوز أن يقدم خبر (إنَّ) وأخواتها ولا اسمهم على (إنَّ) وأخواتها ؛ لأنهم حروف مشبهة بالفعل لفظًا ومعنًى، و لو قُدِّم المرفوع على المنصوب؛ لم يعلم هل هي حروف، أم أفعال، ولا يجوز أيضًا أن تفصل بينهما وبين اسمها بخبرها، إلا أن يكون الخبر ظرفًا، فيجوز تقدمه على اسم إن وأخواتها؛ لأن الظرف ليس مما تعمل فيه (إنَّ) لوقوع غيرها فيه، ولكثرة الظرف في الاستعمال اللغوي، فلا يجوز (إن منطلق زيدًا)، وإنما يجوز (إنَّ في الدار زيدًا)[٢]، ولإفادة التخصيص يجب تقديم الظرف، وإلا فلا تكون الإفادة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾[٣]، كذلك لو قلت: "إن في الدار زيدا، لم يدل ذلك على أن غيره ليس في الدار، وكذلك لو قلت وعمرا لم يتناقض الكلام"[٤].

---

(١) الليل ١٢/٩٢.

(٢) المقتضب، المبرد ١٠٩/٤- ١١٠، والأصول في النحو، ابن السراج ٢٣١/١، واللمع في العربية، ابن جني، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية،الكويت، ٤١/١، والمفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري ٤٨/١، وشرح شذور الذهب، شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي، تح: نواف بن جزاء الحارثي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، أصل الكتاب: رسالة ماجستير للمحقق، الطبعة الأولى ٣٨٣/١.

(٣) الغاشية ٢٥/٨٨.

(٤) الفلك الدائر على المثل السائر، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر ٢٧٥/٤.

يلحظ في الشاهد السابق أن الجملة الاسمية وردت منسوخة بالحرف الناسخ المشبه بالفعل (إِنَّ) حيث دخل على الخبر المقدم شبه الجملة (عَلَيْنَا) المكون من حرف الجر (على)، المبني على السكون المقدرة لا محل له من الإعراب، ومن الضمير المتصل (نَا) المبني على السكون المقدرة في محل جر بعد (على)، وتأخر اسم الحرف الناسخ المعرف بالألف واللام (لَلْهُدَى)؛ وذلك لقصد التخصيص والتوكيد على أن الأنبياء أدوا رسالتهم فـ"الإرشاد إلى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع"[1]، مما يوجب على البشر اتباع أحكام الله ونبيه بكل ما في هذه الأحكام.

(١) الكشاف، الزمخشري ٧٦٣/٤.

الصورة الثانية: [جملة اسمية: {حرف ناسخ + خبر مقدم شبه جملة (ظرف) + المبتدأ (معرف بالإضافة)}]

وردت هذه الصورة بتركيبها السابق في آيات الهدى والضلال في (١) موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾[١].

يُعرَّف الاسم إما بالألف واللام، أو يُعَرَّف بالإضافة إلى اسم ظاهر، والمعرف بالإضافة لايجوز أن يعرف بالألف واللام فلا يجوز "أن تَقول جَاءَنِي الْغُلَام زيد لِأَن الْغُلَام معرف بِالْإِضَافَة...؛ وذلك لِأَن الْمُضَاف إِنَّمَا يعرفهُ مَا يُضَاف إِلَيْهِ"[٢]، وبناء على تعريف المبتدأ أو تنكيره، وبناء على صورة الخبر يكون لكل منهما قاعدة نحوية من حيث التقديم والتأخير وجوبًا أو جوازًا.

أشار النحاة إلى أنه لا يجوز أن يقدم خبر إنَّ وأخواتها على اسمها، ولا يجوز أن يتقدم اسمهم على إنَّ وأخواتها إلا أن يكون الخبر ظرفًا، فيجوز التقديم والتأخير؛ وذلك لأن الظرف ليس مما تعمل فيه (إنَّ) لوقوع غيرها فيه، ولكثرة الظرف في الاستعمال اللغوي، فلا يجوز (إن منطلق زيدًا)، وإنما يجوز (إنَّ في الدار زيدًا)[٣].

يلحظ في الشاهد السابق أن الجملة الاسمية وردت منسوخة بالحرف الناسخ المشبه بالفعل (إنَّ)، الذى دخل على الخبر المقدم شبه الجملة الظرف(مَعِيَ)، المكون من الظرف(مَعِ)، وهو ظرف منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة في محل رفع خبر مقدم لـ(إنَّ)، واتصل به الضمير(يَ) المبنى على الفتح الظاهر في محل جر مضاف إليه، وتأخر اسم الحرف الناسخ المعرف بالإضافة)؛ لقصد التخصيص والتوكيد على أن قوم موسى جهلوا علم الآخرة، ولكنه قال لهم: "كَلَّا وَذَلِكَ كَالْمَنْعِ مِمَّا تَوَهَّمُوهُ، ثُمَّ قَوَّى

---

(١) الشعراء ٦٢/٢٦.

(٢) المقتضب، المبرد ١٧٥/٢.

(٣) المقتضب، المبرد ١٠٩/٤- ١١٠، والأصول في النحو، ابن السراج ٢٣١/١، واللمع في العربية، ابن جني ٤١/١، المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري ٤٨/١، وشرح شذور الذهب، شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي ٣٨٣/١.

نُفُوسَهُمْ بِأَمْرَيْنِ: **أَحَدُهُمَا:** إِنَّ مَعِي رَبِّي وَهَذَا دَلَالَةُ النُّصْرَةِ وَالتَّكَفُّلِ بِالْمَعُونَةِ، **وَالثَّانِي:** قَوْلُهُ: سَيَهْدِينِ وَالْهُدَى هُوَ طَرِيقُ النَّجَاةِ وَالْخَلَاصِ"[1]، وقد أدي الأنبياء رسالتهم فـ"الإرشاد إلى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع"[2]؛ مما يوجب على البشر اتباع أحكام الله ونبيه بكل ما في هذه الأحكام؛ لتحقيق النجاة والفوز بالجنة.

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ٥٠٧/٢٤.

(٢) الكشاف، الزمخشري ٧٦٣/٤.

الصورة الثالثة: [جملة اسمية: {حرف ناسخ + خبر مقدم شبه جملة (جار ومجرور) + المبتدأ (نكرة مخصصة)}]

وردت هذه الصورة بتركيبها السابق في آيات الهدى والضلال في (٢) موضعين[١]، يمثل ذلك قوله تعالى:﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[٢].

الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة، ولا يكون نكرة إلا في مواضع خاصة، ولذا فالابتداء بالنكرة له مسوغات عديدة، تعود المسوغات كما ذكر ابن هشام (ت٧٦٢هـ) بأن بعضهم زعم عودتها إما إلى الخصوص، أو تعود إلى العموم، والوصف من هذه المسوغات، وهو المسوغ في الشاهد؛ نحو"رجل من الكرام عندنا"[٣]، ومنه قوله تعالى:﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾[٤].

أشار النحاة إلى أنه لا يجوز أن يقدم خبر إنَّ وأخواتها ولا اسمهم على إنَّ وأخواتها إلا أن يكون الخبر ظرفًا، فيجوز تقدمه على اسم إن وأخواتها؛ لأن الظرف ليس مما تعمل فيه (إنَّ)؛ وذلك لوقوع غيرها فيه، ولكثرة الظرف في الاستعمال اللغوي، فلا يجوز (إنَّ منطلقٌ زيدًا)، وإنما يجوز: (إنَّ في الدار زيدًا)[٥].

---

(١) ينظر الموضع الآخر: طه ١٢٨/٢٠.

(٢) الإسراء ٩/١٩.

(٣) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام، تح: عبد الغني الدقر، الناشر: الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا ٢٣٤/١، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث، القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة: العشرون، ١٤٠٠ هـ،١٩٨٠م، ٢١٨/١.

(٤) البقرة ٢٢١/٢.

(٥) المقتضب، المبرد ١٠٩/٤- ١١٠، والأصول في النحو، ابن السراج ٢٣١/١، واللمع في العربية، ابن جني ٤١/١، والمفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري ٤٨/١، وشرح شذور الذهب، شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري ٣٨٣/١.

يلحظ في الشاهد السابق أن وردت الجملة الاسمية منسوخة بـ(إنَّ)، وهو حرف مشبه بالفعل، ودخل الحرف الناسخ على الخبر المقدم شبه الجملة الجار والمجرور (لَهُم) المكون من حرف الجر (اللام)، المبني على الفتح لا محل له من الإعراب، ومن الضمير المتصل(هم) المبنى على السكون الظاهر في محل جر بعد اللام، وتأخر اسم الحرف الناسخ النكرة المخصصة(أَجْرًا)، وخصص المبتدأ بالوصف، وهو قوله:(كَبِيرًا)؛ وذلك لقصد التخصيص والتوكيد على أنه –تعالى– أرسل الرسل، وأتى منهم بالمعجزات، وكان ذلك كفيلًا بأن تكون عاقبة من اتبع تعاليم كتاب الله، والنبي ﷺ أن يكون له حسن الثواب، ومن أبي فله سوء العقاب للكافرين، وذكر الزمخشري(ت٥٣٨هـ) في اتباع طريق الإيمان والرشاد تبيشر لـ"المؤمنين ببشارتين اثنتين: بثوابهم، وبعقاب أعدائهم ويجوز أن يراد: ويخبر بأن الذين لا يؤمنون معذبون"[١].

ويعد عصيان الكافرين المتمردين "تَسْلِيطُ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ عَلَيْهِمْ، كَانَ ذَلِكَ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ طَاعَةَ اللَّهِ تُوجِبُ كُلَّ خَيْرٍ وَكَرَامَةٍ وَمَعْصِيَتَهُ تُوجِبُ كُلَّ بَلِيَّةٍ وَغَرَامَةٍ"[٢]، مما يوجب على البشر اتباع أحكام الله ونبيه بكل ما في هذه الأحكام؛ لتحقيق النجاة والفوز بالجنة.

(١) الكشاف، الزمخشري ٦٥١/٢.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٣٠٣/٢٠.

المبحث الثاني

التقديم والتأخير في الجملة الفعلية في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم

التقديم والتأخير في الجملة الفعلية:

يتناول هذا المبحث ظاهرة (التقديم والتأخير) في الجملة الفعلية في آيات الهدى والضلال دراسة نحوية دلالية، وأعني بظاهرة (التقديم والتأخير) في هذا المبحث أن ينقل عنصر من عناصر بناء الجملة الفعلية من موقعه الأصلي الذي أشار إليه النحاة، والذي يرد عليه عادة داخل التركيب، إلى موقع آخر، فيغيِّر بذلك رتبة عناصر بناء الجملة الفعلية؛ وذلك لتحقيق دلالات جديدة لا تتحقق إلا بالتقديم والتأخير.

انتهت دراسة النحاة في ظاهرة (التقديم والتأخير) في الجملة الفعلية إلى أن الأصل في ترتيب عناصرها، أن يلي الفاعل الفعل؛ لأنه منزل منه منزلة الجزء[١]، ثم يلي الفاعل المفعول به[٢]، إن كان الفعل متعديا، ثم تأتي فضلات الجملة، إن وجدت.

أما الرتبة بين الفعل والفاعل فقد ذهب جمهور النحاة إلى ضرورة حفظ الرتبة[٣]، فلا يجوز أن يتقدم الفاعلُ الفعلَ، فإن وجد ما ظاهره أنه فاعل تقدم على الفعل وجب تقدير الفاعل، عندئذ، ضميرًا مستترًا، أما المقدم فيجوز أن يكون مبتدأ، وخبره ما بعده؛ نحو: زيد قام، ويجوز أن يكون المقدم فاعلا لفعل محذوف، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[٤]، وقد اختلف النحاة في إعراب (أحد)[٥].

---

(١) شرح الكافية، الاستراباذي ٧١/١، وشرح التصريح، الأزهري ٢٨١/١، وهمع الهوامع، السيوطي ١٦١/١، وحاشية الصبان، الصبان ٥٥/٢.

(٢) الكتاب، سيبويه ٣٤/١، والمقتضب، المبرد ٣/ ٩٥-٩٦، وشرح كتاب سيبويه، السيرافي ٢٦٥،٢٧٢/٢ – ٢٧٣، والخصائص، ابن جنى ٣٨٤/٢، وشرح الكافية، الاستراباذي ٧١/١-٧٢، وشرح التصريح، الأزهري، ٢٨١/١-٢٨٤، وهمع الهوامع، السيوطي ١٦١/١.

(٣) الكتاب، سيبويه ٣١/١، والمقتضب، المبرد، ١٢٨/٤، واللمع، ابن جني، ص١١٥، وأسرار العربية، ابن الأنباري، الناشر: دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠-١٩٩٩م، ص٧٩-٨٣، وشذور الذهب، ابن هشام، ص١٥٨، وهمع الهوامع، السيوطي ١٦٠/١، وحاشية الصبان، الصبان ٤٥/٢.

(٤) التوبة ٦/٩.

(٥) يرى الأخفش والكوفيون أنه يجوز أن يكون (أحد) في الآية الكريمة مبتدأ، وسوغ ذلك التقدم الشرط عليه، أو نعت المبتدأ بالجار والمجرور بعده.

أما الرتبة بين الفاعل والمفعول به، فيوجب جمهور النحاة أن يتقدم الفاعل ويتأخر المفعول به في المواضع التالية: إذا خُشِي اللبس، وليست هناك قرينة تُعَيِّن الفاعل من المفعول عند خفاء الإعراب؛ نحو: ضرب موسى عيسى، ولم يرد ذلك في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم.

ويوجب جمهور النحاة أن يتقدم المفعول به على الفاعل فيما يلي:

إذا كان الفاعل ضميرًا متصلا، وكان المفعول به ظاهرًا؛ نحو: ضربت زيدا، أو ضميرا متصلا؛ نحو:ضربْتُهُ، وقد ورد ذلك في آيات الهدى والضلال؛ ويمثل ذلك قول الله تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾(١).

ويوجب جمهور النحاة أن يتقدم المفعول به على الفاعل في المواضع التالية:

١- إذا اتصل بالفاعل ضمير عائد على المفعول به؛ نحو قوله تعالى:﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢).

٢- إذا حصر المفعول به بـ(إنما)، أو بـ(إلا)(٣)؛ نحو: إنما ضرب زيد عمرًا، وما ضرب زيد إلا عمرا، وقد ورد المفعول به محصورًا بـ(إنما) في آيات الهدى والضلال؛ نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ

---

(١) الفرقان ٣١/٢٥.

(٢) البقرة ١٢٤/٢.

(٣) يرى أبو موسى الجزولي، ومجموعة من المتأخرين وجوب تقديم الفاعل على المفعول به المحصور بـ(إلا) على أساس أن رتبة المحصور دائما التأخير، بينما أجاز البصريون، والكسائي، والفراء، وابن الأنباري تقديم المفعول به عندئذ.

وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[1].

ويوجب النحاة ذلك لئلا يعود الضمير على متأخر لفظًا ورتبة، ولم يرد ذلك في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم.

٣- إذا حصر الفاعل بـ(إنما) أو بـ(إلا)، كما في قوله تعالى:﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ﴾[2].

ورتبة المحصور دائمًا هي التأخير سواء أ كان فاعلا أو مفعولا به، ولكن ذلك لم يرد ذلك في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم.

٤- إذا كان المفعول به ضميرًا متصلا، وكان الفاعل ظاهرًا؛ نحو: ضَرَبَكَ زيدٌ، وقد ورد ذلك في آيات الهدى والضلال، يمثل ذلك قوله تعالى:﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا﴾[3].

(١) التوبة ١٨/٩.
(٢) فاطر ٢٨/٣٥.
(٣) الكهف ٢٤/١٨.

وأما الرتبة بين المفعول به وفعله فيوجب النحاة حفظ رتبة المفعول به وعدم تقدمه على الفعل:

إذا كان المفعول به مصدرًا مؤولا؛ نحو: عرفت أنك منطلق، وقد ورد ذلك في آيات الهدى والضلال، في قوله تعالى:﴿وَنَزَعۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا فَقُلۡنَا هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾[1].

ويوجب جمهور النحاة أن يتقدم المفعول به على الفعل في المواضع التالية:

١- إذا كان المفعول به مما له الصدارة؛ نحو: أسماء الاستفهام والشرط، كما في قوله تعالى:﴿وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾[2].

٢- إذا كان عامل المفعول به واقعًا بعد الفاء الواقعة بعد (أمَّا) ظاهرة، كما في قوله تعالى:﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾[3]،أو مقدرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾[4]، ولكن النحاة أجازوا في غير المواضع السابقة أن يتقدم المفعول به على الفاعل، وأن يتقدم على الفعل وفاعله معًا، وقياسا على المفعول به تقاس بقية فضلات الجملة الفعلية، ويُعنى هذا المبحث بمواضع التقديم الجائز، على أساس أن ذلك هو ما يتحقق فيه قدر من الاختيار.

---

(١) القصص ٧٥/٢٨.

(٢) غافر ٨١/٤٠.

(٣) الضحى ٩/٩٣-١١.

(٤) المدثر ٣/٧٤-٥.

وردت ظاهرة التقديم والتأخير الجائز في الجملة الفعلية في آيات الهدى والضلال وفق المفهوم السابق في (٢١) واحد وعشرين موضعًا، أمكن تصنيفها في الأنماط التالية:

النمط الأول: {جملة فعلية: فعل + مفعول به (مقدم) + فاعل (مؤخر)}

ورد هذا النمط في (٣) ثلاثة مواضع[١]، يمثل ذلك قوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[٢].

أشار النحاة إلى أن الأصل في ترتيب عناصر بناء الجملة الفعلية، ذات الفعل المتعدي، أن يرد الفعل أولًا، يليه الفاعل ثم المفعول به[٣]، ويجيزون أن يتقدم المفعول به على الفاعل إذا أُمِن اللبس، كأن يكون الكلام دالا على المعنى، حيث يدل الإعراب على الفاعل والمفعول؛ نحو: ضرب عمرًا زيد، وكما في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِ﴾[٤].

أما إذا لم يؤمن اللبس بخفاء الإعراب؛ نحو: ضرب موسى عيسى، فيوجبون مراعاة الأصل في الترتيب؛ إذ لا دليل عندئذ على تعيين الفاعل من المفعول.

يلحظ في شاهد هذا النمط أن المفعول به لفظ الجلالة المنصوب على التعظيم (اللهَ)، هو محور الاهتمام معنًى؛ لذا تقدم على الفاعل (لُحُومُهَا)، حيث أن الغاية في الشاهد تقوى الله؛ لأن الَّذِي يَصِلُ إِلَى

---

(١) ينظر الموضعان الآخران: التوبة ٩ /١٨، و الزمر ٨/٣٩.

(٢) الحج ٣٧/٢٢.

(٣) الكتاب، سيبويه ٣٤/١، والمقتضب، المبرد ٩٥/٣-٩٦، وشرح كتاب سيبويه، السيرافي ٢٦٥/٢، ٢٧٢-٢٧٣، والخصائص، ابن جني ٣٨٤/٢، شرح الكافية، الاستراباذي ٧١/١-٧٢، وشرح التصريح، الأزهري ٢٨١/١-٢٨٤، وهمع الهوامع، السيوطي ١٦١/١.

(٤) يوسف ٣٦/١٢.

حَضْرَةِ اللَّه لَيْسَ إِلَّا التَّقْوَى"[1]، كما أن الله –تعالى– لا يرغب أن يصله من عباده الله إلا الإخلاص، حيث "إِخْلَاصُكُمْ لَهُ وَإِرَادَتُكُمْ بِذَلِكَ وَجْهَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُهُ اللَّهُ وَيُجَازِي عَلَيْهِ"[2].

والغاية الأسمى من تقدم المفعول به على الفاعل مدى العناية بالمتقدم؛ لغاية مرجوة من وراء هذا التقدم الذي يستوجب إخلاص النية لله –تعالى– ودوام تقوى القلب هو جُلُّ الخير.

وأشار النحاة إلى أن البعد الدلالي المقصود من تقديم المفعول به على الفاعل يتلخص في معظم الأحوال هي الاهتمام بالمتقدم، وذكر الجرجاني (ت٤٧١هـ) في شأن التقديم يقول: "كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم"[3]، وذلك يشير إلى جمال لغتنا العربية، ومما يظهر قدر اهتمام الجرجاني بالنحو أنه دافع عنه لما كرهه الناس وابتعدوا عنه فقد "راح يدعوهم إلى تجاوز ما يجدونه من (نحو) قد اعتكرت مادته وصدأ معدنه، والرجوع ثانية إلى كتب النحاة الأوائل، لأخذ (النحو) من أصل مصبه ومعدنه"[4].

---

(١) الكشاف،الزمخشري ٣/ ١٥٩، ومفاتيح الغيب، الرازي ١١/ ٣٣٨، وروح المعاني، الألوسي ٩/ ١٥١.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ٥٣٨/٣.

(٣) الكتاب، سيبويه ٣٤/١، وشرح كتاب سيبويه، السيرافي ٢٧٢/٢، ودلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص١٠٧.

(٤) الجملة الطلبية، د.وائل السيد البرعي،ط: دار الفجر، ص٣٢.

النمط الثاني: {جملة فعلية: مفعول به (مقدم) + فعل + فاعل(مؤخران)}

ورد هذا النمط في (٥) خمسة مواضع[١]، وهو قوله تعالى:﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾[٢].

أشار النحاة إلى أن الأصل في ترتيب عناصر بناء الجملة الفعلية، ذات الفعل المتعدي، أن يرد الفعل أولا، يليه الفاعل ثم المفعول به[٣]، ويجيزون أن يتقدم المفعول به على كل من الفعل والفاعل[٤]، ولا يجوز ذلك إلا إذا أُمِن اللبس.

ويأتي التركيب في بعض الأحيان على خلاف الأصل، فيتقدم المفعول به على الفعل والفاعل، وقد أجاز النحويون تقدم المفعول به على الفعل والفاعل[٥]، كما في قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ

(١) ينظر المواضع التالية: الأنعام ٨٤/٦، والأنعام ٨٤/٦، والأنعام ١٤٤/٦، والفرقان ١٧/٢٥.

(٢) الأحزاب ٢٦/٣٣.

(٣) الكتاب، سيبويه، ٣٤/١، والمقتضب، المبرد ٩٥/٣-٩٦، وشرح كتاب سيبويه، السيرافي، ٢٧٢/٢، ٢٦٥-٢٣٧، والخصائص، ابن جني ٣٨٤/٢، والتسهيل، ابن مالك، ص٧٨، وشرح التصريح، الأزهري ٢٨١/١-٢٨٤، وهمع الهوامع، السيوطي ١٦١/١.

(٤) شرح التصريح، الأزهري ٢٨٤/١، وهمع الهوامع، السيوطي، ١٦٦/١، وحاشية الصبان، الصبان ٥٥/٢.

(٥) أوضح المسالك، ابن هشام ١٣٣/٢، وشرح التصريح، الأزهري ٤١٨/١، واهمع الهوامع، السيوطي ٧/٢، والنحو الوافي، عباس حسن، ١٧٧/٢.

بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾[1].

يلحظ في شاهد هذا النمط أن تقدم المفعول به(فَرِيقًا) قد قُدم على الفعل والفاعل؛ لشدة الاهتمام ببيان المفعول به، حيث أن"الْقَائِلَ يَبْدَأُ بِالْأَهَمِّ فَالْأَهَمِّ وَالْأَعْرَفِ فَالْأَعْرَفِ وَالْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ، وَالرِّجَالُ كَانُوا مَشْهُورِينَ فَكَانَ الْقَتْلُ وَارِدًا عَلَيْهِمْ"[2].

ولما كان القتل واقعا على الرجال المشهورين، كان الاعتناء بحالهم أهم دون المأسورين، وقد قيل أن المفعول به في الجملة الأولي مقدم؛ لأن "مساق الكلام لتفصيله وأخر في الثانية لمراعاة الفواصل، وقيل التقديم لذلك وأما التأخير فلئلا يفصل بين القتل وأخيه وهو الأسر فاصل..."[3].

---

(١) البقرة ٢/٨٧.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٥/ ١٦٤.

(٣) روح المعاني، الألوسي ١١/ ١٧٢.

النمط الثالث: {جملة فعلية: فعل+ فاعل + مفعول به ثانٍ (شبه جملة مقدم) + مفعول به أول(مؤخر)}

ورد هذا النمط في (١٠) عشرة مواضع[١]، ويمثل ذلك قوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٢].

ما ينطبق على تقديم الخبر على المبتدأ ينطبق –أيضًا– على تقديم المفعول به الثاني على المفعول به الأول، خاصة إن كان المفعولان لفعل ينصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر؛ فالأفعال الناصبة لمفعولين يكون أصلهما المبتدأ والخبر، وما انطبق على المبتدأ والخبر من مواضع وحالات تقديم الخبر على المبتدأ ينطبق على تقديم المفعول الثاني على المفعول الأول.

أجاز سيبويه (ت١٨٠هـ) تقدم المفعول به الثاني على الأول؛ وذلك في قوله: "كُسِيَ عبدُ الله الثوب، وأُعْطَى عبدُ الله المالَ... وإن شئتَ قدّمتَ وأخّرتَ فقلتَ كُسِيَ الثوبَ زيدٌ، وأُعْطِيَ المالَ عبدُ الله"[٣].

ومن أغراض التقديم في هذا الموضع ما ذكره الزركشي (ت٧٩٤هـ) من عظمته و"الِاهْتِمَامِ بِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ الْفُصَحَاءِ... يَبْدَءُونَ بِالْأَهَمِّ وَالْأَوْلَى"[٤].

---

(١) ينظر المواضع التالية: البقرة ١٧٠/٢، والإسراء ٢/١٧، والكهف ١٣/١٨، والكهف ١٨/ ١٧، والكهف ٥٧/١٨، والأنبياء ٣١/٢١، والأنبياء٣١/٢١، والفرقان ٢٥/ ٣١، والأحزاب ٤/٣٣.

(٢) السجدة ٢٤/٣٢.

(٣) الكتاب، سيبويه ٤١/١-٤٢.

(٤) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م، ٢٣٥/٣.

وقد ذكر المحدثون أن "التقديم والتأخير سمة أسلوبية لها عظيم الأثر في روعة الأسلوب وبلاغته، ومن أهم مباحث علم المعاني الذي يبحث في بناء الجمـل، وصيـاغة العبـارات، ويتأمل التراكيب؛ لكي يبرز ما يكمن وراءها من أسرار ومزايا بلاغية[١].

يلحظ في الشاهد السابق أن الله تعالى جعل لبني إسرائيل هداة، حيث "جعل الله التوراة هدى لبني إسرائيل خاصة، ولم يتعبد بما فيها ولد إسماعيل عليه السلام يفصل بينهم يقضي، فيميز المحق في دينه من المبطل"[٢]، يهدونهم إلى الخير بما أمرهم الله، سواء أكانوا الأنبياء من بني إسرائيل، أم دعاة اقتدوا بالأنبياء[٣]، وقد ورد التقديم بالآية الكريمة؛ تخصيصًا وتوكيدًا على عظيم أجرهم، والدرجات العالية؛ نتيجة لما صبروا عليه من تركهم الدنيا، والزهد فيها[٤]؛ لنشر الدعوة في بني إسرائيل، وقد كلفوا بما لم يطيقوا من العمل في مصر، هذا نتيجة اتباعهم سيدنا موسى υ فقد آمنوا بالآيات التسع.

---

(١) التقديم والتأخير في النظم القرآني الكريم بلاغته ودلالاته، د. سامي عطا حسن، صحيفة دنيا الوطن الإلكترونية، ١-٤-٢٠١٣م.

(٢) الكشاف، الزمخشري ٣/ ٥١٦.

(٣) روح المعاني، الألوسي ١١/ ١٣٥.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي ٧/ ١٦٦، وروح المعاني، الألوسي ١١/ ١٣٥.

النمط الرابع: {جملة فعلية: مفعول به ثانٍ (شبه جمله مقدم) + فعل+ فاعل+ مفعول به أول (مؤخر)}

ورد هذا النمط في (١) موضع واحد، وهو قوله تعالى:﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾[١].

أشار النحاة إلى أن الأصل في ترتيب عناصر الجملة الفعلية، ذات الفعل المتعدي، أن يرد الفعل أولًا يليه الفاعل ثم المفعول به[٢]، ويجيز النحاة تقدم المفعول به على الفاعل إذا أمن اللبس[٣]، حيث يدل الإعراب على الفاعل والمفعول به؛ نحو: ضربَ زيدًا عليٌ، أما إذا لم يؤمن اللبس بخفاء الإعراب؛ نحو: ضرب عيسى موسى، فإنه يتوجب الإبقاء على الأصل في تقدم الفاعل على المفعول به.

يلحظ في الشاهد السابق تقدم المفعول به الثاني شبه الجملة (لكل) على الفعل والفاعل والمفعول به الأول(منسكًا)؛ للتخصيص والتوكيد على أن "لِكُلِّ قَرْنٍ مِنَ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ وَضَعْنَا شَرِيعَةً خَاصَّةً"[٤]، وقد ذكر الزركشي أن الغرض"الِاخْتِصَاصُ، وَذَلِكَ بِتَقْدِيمِ الْمَفْعُولِ...على الفعل؛ نحو قوله تعالى:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٥]،أي: نَخُصُّكَ بِالْعِبَادَةِ فَلَا نَعْبُدُ غَيْرَكَ"[٦]، كما أن الله يؤكد على النبي– صلى الله عليه وسلم– أن يستمر في تبليغ دعوته، ولا يلتفت إلى أي منازع،

---

(١) الحج٢٢/٦٧.

(٢) الكتاب، سيبويه ٣٤/١،والمقتضب، المبرد ٩٥/٣، والخصائص، ابن جني ٣٨٤/٢، ودلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص١٢٦، وشرح التصريح، الأزهري ٤١٢/١، وهمع الهوامع، السيوطي ٥١٥/١.

(٣) أوضح المسالك، ابن هشام ١٢٤/٢، وهمع الهوامع، السيوطي ٥١٥/١.

(٤) فتح القدير، الشوكاني ٣/ ٥٥٢.

(٥) الفاتحة ٤/٢.

(٦) البرهان في علوم القرآن، الزركشي ٢٣٦/٣.

ونستنتج من ذلك دلالة النظم فهو: "ترتيب الألفاظ في النطق تبعًا لترتيب المعاني في النفس، ومن هنا فقد يكون الكلام واحدًا في مادته وحروفه، ولكن قد تختلف صيغته وترتيب كلماته من متكلم لآخر، بل عند المتكلم الواحد، إذا اختلف المعنى في نفسه"[1].

(١) البلاغة فنونها وأفنانها، د. فضل حسن عباس، ص٢٠٧.

النمط الخامس: {جملة فعلية: مفعول مطلق شبه جملة (مقدم) + فعل + فاعل (مؤخران)}

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (٢) موضعين[١]، يمثل ذلك النمط قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾[٢].

أشار النحاة إلى أن الأصل في ترتيب عناصر الجملة الفعلية، ذات الفعل المتعدي، أن يرد الفعل أولًا يليه الفاعل ثم المفعول...[٣]، لكن الجملة قد تخالف ترتيبها لغرض من الأغراض.

يلحظ في هذا شاهد النمط أن الله تعالى أراد تسلية رسوله ﷺ متأسيا بالرسل السابقين، وفسر الفراء (ت٢٠٧هـ) الآية السابقة بقوله: "جعلنا بعض أمة كل نبي أشدَّ عَلَيْهِ من بعض وَكَانَ الشديد العداوة للنبي ﷺ أَبُو جهل بن هشام"[٤].

والله –تعالى– يخاطب نبيه بالصبر على ما يلقاه من قومه كما صبر الأنبياء قبله؛ لذلك تقدم المفعول المطلق شبه الجملة (كذلك) على عامله (جَعَلْنَا)؛ للاهتمام والتخصيص والتوكيد على وجوب صبر نبينا محمد ﷺ على المعاناة خلال الدعوة كما صبر الأنبياء السابقون، حيث إنك لست "يَا مُحَمَّدُ بِأَوَّلِ مَنْ أَرْسَلْنَاهُ فَكُذِّبَ"[٥]، والمعنى:"وكذلك شياطين الجن والإنس أعداءِ للأنبياءِ وأممهم"[٦].

---

(١) البقرة ١٤٣/٢.

(٢) الفرقان ٢٥ / ٣١.

(٣) الكتاب، سيبويه ٣٤/١، والمقتضب، المبرد ٩٥/٣، والخصائص، ابن جني ٣٨٤/٢، ودلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص١٢٦، وشرح التصريح، الأزهري ٤١٢/١، وهمع الهوامع، السيوطي ٥١٥/١.

(٤) معاني القرآن، الفراء، تح: محمد علي النجار، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة: الأولى ٢٦٧/٢.

(٥) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٤/ ٤٥٨، وروح المعاني، الألوسي ١٥/١٠.

(٦) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م-١٠٨هـ، ٢/ ٢٨٤.

المبحث الثالث

التقديم والتأخير في التركيب الشرطي

في آيات الهـدي والضـلال

التقديم والتأخير في التركيب الشرطي:

يتناول هذا المبحث ظاهرة التقديم والتأخير في التركيب الشرطي في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم، وأعني بظاهرة التقديم والتأخير في تركيب الجملة الشرطية تقديم عنصر ما من العناصر المكونة للتركيب الشرطي، والتي رأى النحاة ضرورة ورودها على الترتيب التالي: (أداة الشرط+ جملة الشرط+ جملة جواب الشرط)، ويكون تقدم أي عنصر من عناصرها؛ تحقيقًا لغاية دلالية معينة شريطة ألا تتأثر التركيب الشرطي نحوًا.

وأداة الشرط مرتبطة دائمًا بجملة الشرط؛ لكونهما تابعان لبعضهما، حيث ترد الأداة أولًا، وتليها جملة الشرط ثانيًا، وقد تذكر جملة الجواب بعدهما، وقد تسبقهما، وقد يتوسطانها، وفي كل حالة تكون أداة الشرط وجملة الشرط متلازمتين، فلا يصح أن يُقال: (تذكرني) ويقصد بهذه الجملة جملة الشرط، ولكن لابد من ارتباطها بأداة شرط، وجواب الشرط يكون مترتب على فعل الشرط، والذي يربط بين فعل الشرط وفعل جواب الشرط هو الأداة، أي: إن أداة الشرط تربط بين الحدثين ربطًا يقوم على الترتيب والتعليق، فعندما تقول: إن تزرني أزرك، نلحظ أن الإكرام المتمثل في جملة الجواب متعلق حدوثه ومتراتب على الإتيان، وترتبط أداة الشرط بجملة الشرط ارتباطًا كليًا، وكأنهما معًا بمثابة أحد ركني الجملة التامة، وجملة الجواب بمثابة الركن الثاني معنويًا ولفظيًا[1].

وأما عن شواهد ظاهرة التقديم والتأخير في التركيب الشرطي في آيات الهدى والضلال فلم يرد لهذه الظاهرة شواهد.

(١) النحو العربي، د. إبراهيم بركات ٣٣٥/٥.

الفصل الثاني

ظاهرة الحـذف في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم

توطئة:

يتناول هذا الفصل ظاهرة الحذف في آيات الهدى والضلال، وذلك في الجملة الاسمية، والجملة الفعلية، والتركيب الشرطي دراسة نحوية دلالية، وانتشرت ظاهرة (الحذفِ) في اللغة العربية؛ لميل العرب للحذف شريطة ألَّا يخل بالمعنى، ويلجأ العرب إلى الحذف لأغراض عديدة، منها: الإيجاز، أو التخفيف، أو لغير ذلك.

وظاهرة (الحذف) ظاهرةٌ لُغوية عامَّة، وتستخدم لعدة أسباب، أبرزها الاختصار، أو حذف ما قد يُمكن للسامع فَهْمه اعتمادًا على القرائن المصاحبة، وظاهرة (الحذف) ظاهرةٌ اهتم بها النحويون والبلاغيون اهتمامًا كبيرًا، حتى أن الكثير منهم قد خصَّصوا لها أبوابًا كاملة في مؤلَّفاتهم وكُتبهم، وإن اختَلفوا في طريقة التفسير والتحليل، وكذلك في الجانب الذي اتَّخذوه مجالاً للدرس والتفسير، فالنحاة مثلا انطَلقوا من المنطق الإعرابي، معتمدين على بعض التأويلات النحوية؛ مثل: التقدير الإعرابي، والإضمار، والاستتار؛ لدراسته والبحث فيه[1]، وغرض النحاة في ذلك دراسة التركيب والعلاقات النحويَّة، فتناول ظاهرة الحذف يمكن وصفها بأنها شائقة؛ نظرًا لشيوعها، كما توصف بأنها شائكة؛ لتعدد مواقعها، كأنها خفية في جلاء.

والنحاةُ درسوا ظاهرة (الحذف) من حيث بناء التركيب اللغويّ القائم على طرفين أساسيين همّا: (المسند) و(المسند إليه)، فإذا استغنى المتكلّم عن أحدهما في كلامه، كان المستغنى عنه مقُدّرًا محذوفاً؛ لتتمّ به الفائدة أو الجملة[2].

ويتناول هذا المبحث دراسة ظاهرة (الحذف)، في الجملة الاسمية في آيات الهدى والضلال دراسة نحوية دلالية، ويدخل في نطاق هذا المبحث الجملة الاسمية، والجملة الاسمية المنسوخة بالأفعال الناسخة (كان) وأخواتها، التي أضمر اسمهم، والجملة الفعلية، والتركيب الشرطي.

---

(١) مقال: الحذف في القرآن الكريم، عبد الكريم حميد، تاريخ النشر ٢٠١١/٧/٥، تاريخ النقل ٢٠١٥/٧/٥.

(٢) ظاهرة الحذف ودورها في تحقيق التماسك النّصّي، دراسة تطبيقية على سورة البقرة، د.إسلام محمد عبد السلام، ص١.

الحذف لغةً واصطلاحًا :

تناولت المعاجم العربية (الحذف) بعدة معانٍ مختلفة، **ويدور المعنى اللغوي للحذف حول**: "القطع وقطف الشيء من الطرف خاصة، ومنها: الإسقاط، ومنها: الطرح أي: الرمي عن جانب..."[١].

تناول النحاة القدامي مصطلح (الحذف) على قسمين، حيث تناوله معظم النحاة تناولا لغويا بحتا، وقسموه إلى حذف واجب أو جائز، أما البلاغيون فقد اهتموا برصد ظاهرة (الحذف) في اللغة العربية بدلالاته وأسبابه، وسيبويه(ت١٨٠هـ) من أول النحاة الذين تناولوا مصطلح (الحذف)، فذكر في كتابه: أن الأصل في الكلام عدم الحذف ، فالأصل الثابت هو التمام والكمال وهو ما عبر عنه سيبويه بقوله: "اعلم أنَّهم مما يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك"[٢].

كثيرًا ما يرد الحذف في الكلمة أو الجملة؛ وذلك وفقا لما يتطلبه السياق أو الموقف، ومع كثرة الاستعمال نعتقد خطأً أن الأصل في الكلام الإسقاط، والأصل هو التمام، ولكن العرب استعملوه في كلامهم كثيرًا؛ حتى صارت بعض الألفاظ مهملة استخدامًا مع مرور الوقت، وصار اللسان معتادًا لذلك، كذلك قد تناول علماء البلاغة (الحذف) بالدراسة والتحليل الدلالي الدقيق، حيث أفاضوا في ذكر معنى (الحذف) ومواضعه، وأسبابه، ودلالاته المختلفة التي يؤديها في كلامنا، تلك الإفاضة تجعلنا نكاد لا نطالع كتابا بلاغيا إلا وكانت ظاهرة الحذف متناولة فيه بالدراسة والتحليل.

تناول سيبويه (ت١٨٠هـ) ظاهرة (الحذف) تناولا دقيقا في باب: (ما يكون في اللفظ من الأعراض)، وشرح السيرافي (ت٣٦٨هـ) مايعنيه سيبويه فقال:"يعني ما يعرض في الكلام فيجيءعلى غير ما ينبغي أن يكون عليه قياسه"[٣]، فالحذف ظاهرة من الظواهر التي تتعرض لها الجملة العربية حينًا، لكنَّها ظاهرة تسقط إذا عدنا للأصل، ألا وهو الذكر والاستعمال.

---

(١) معجم العين، الخليل بن أحمد، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ٢٠١/٣، والمحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، ٢٩١/٣، والمصباح المنير، الفيومي ١٢٦/١، ولسان العرب، ابن منظور ٣٩/٩.

(٢) الكتاب، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تح: الأستاذ عبدالسلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة ١٩٨٨م، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ٢٤/١.

(٣) الكتاب، سيبويه ٢٤/١، الهامش رقم٢.

أمَّا المبرد (ت٢٨٥هـ)، تناول الحذف موضحًا أهم أسبابه، ومنها: أننا نحذف من الكلام "إذا علم المخاطب ماذا تعني"[١]، أي: يفهمه الطرفان فحذفه جائز، إذا لم يؤد الحذف إلى التباس في الفهم، والحذف جائز أيضًا إذا كان معلومًا جاريًا، متعارف عليه بين الناس في كلامهم "فكل ما كان معلومًا في القول جاريًا عند الناس فحذفه جائز لعلم المخاطب فعلى هذا فأجره"[٢]، ومما سبق يتضح أن (الحذف) عنده لايحدث إلا بشرط، وهو أن يكون المخاطب على علم بما حُذف.

وأشار ابن جني (ت٣٩٢هـ)، إلى أن العرب تميل إلى (الحذف والإيجاز) بقوله: "إنهم إذا كانوا في حال إكثارهم وتوكيدهم مستوحشين منه، مصانعين عنه علم أنهم إلى الإيجاز أميل، وبه أعنى، وفيه أرغب"[٣]، ثم أشار إلى أنواع الحذف فقال: "قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحروف، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"[٤]، وقد تناول (الحذف) بادئا بحذف الجملة كاملة، ثم حذف الاسم المفرد، ثم حذف الحرف، على أن يكون في الجملة دليل على المحذوف، حتى يكون (الحذف) مستساغًا.

وذهب الزمخشري (ت٥٣٨هـ) إلى أن (الحذف) أوْلَى من الذكر، حيث قال: "وكان الحذف أولى من الإثبات لما فيه من الوجازة"[٥]، مشيرًا إلى أن الحذف يحدث غالبًا للإيجاز.

وقد ربط ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) بين المبتدأ والخبر والفوائد الناتجة عنهما في الكلام، حيث قال: "اعلم أن المبتدأ والخبر جملة مفيدة تحصل الفائدة بمجموعهما فالمبتدأ معتمد الفائدة والخبر محل الفائدة فلابد منهما إلا أنه قد توجد قرينة لفظية أو حالية تغني عن النطق بأحدهما فيحذف لدلالتها عليه"[٦].

وابن الحاجب (ت٦٤٦هـ) وافق رأى ابن يعيش، مشترطًا وجود قرينة على حذف المبتدأ جوازًا، حيث قال: "وقد يُحذف المبتدأ لقيام قرينة جوازًا"[١]، فلا يجوز الحذف إلا إن كانت الجملة مفهومة لدى الطرفين.

---

(١) المقتضب، المبرد ١٣٠/٤.
(٢) السابق: ٢٥٤/٣.
(٣) الخصائص، ابن جني ٨٧/١.
(٤) السابق: ٣٦٠/٢.
(٥) الكشاف، الزمخشري ١٩٢/١.
(٦) شرح المفصل، ابن يعيش ٩٤/١.

وتناول النحاة ظاهرة (الحذف) مفرقين بينه وبين الإضمار، ولكنه يقدر المحذوف؛ لأن الحذف مشروط بالتدليل الواضح عليه، وإلا فيمتنع (الحذف)؛ لعدم سهولة تقديره، وقد ينتج اللبس عن ذلك.

ويتضح مما تقدم أن (الحذف) في اللغة العربية هو إسقاط بعمد لأحد أركان الجملة بأنواعها، أو حذف أكثر من ركن، حيث تدفع دلالة السياق المتكلمَ كثيرًا إلى الاختصار عن طريق الحذف من العناصر المكونة للجملة[٢].

و(الحذف) مطلب استعمالي لغويا، حيث يحذف أحد العناصر المكونة لبناء الجمل، وذلك يتم إذا أغنى دلاليا ما تبقى من عناصر في الجملة بعد حدوث الحذف، وكان كافيًا في أداء المعنى، وقد يحذف أحد العناصر لوجود قرينة دالة عليه بعد حذفه، ويكون في حذفه دلالة أسمي من ذكره، وهو المسمى نحويا بالحذف الجائز[٣]، ولا يأتي (الحذف) عبثا في الكلام، بل له فوائد ودلالات يؤديها، بالإضافة إلى أنه يحدث في العبارة نوعًا من الجمال الذي يتذوق ، وكأنه شيء ذو طعم ورائحة[٤]، وتناول النحويون مصطلح (الحذف) بدلالة واحدة مأخوذة من معناه اللغوي، وهو ترك ما يقتضي الكلام ذكره بحكم الأصل إمّا من جهة الطلب اللفظي أو المعنوي، سواء بقي لما ترك من العناصر أثر في الإعراب لفظًا أم لم يبق[٥].

وتناول البلاغيون ظاهرة (الحذف) في الجملة العربية تناولًا واعيًا؛ فتحدثوا عن معناه ودلالاته، وأسبابه، حتى أن أحدُهم حصر البلاغةَ في الحذف، مما يدل على أهميته، فها هو ذا أبو هلال العسكري

---

(١) الكافية في علم النحو والشافية في علمي التصريف والخط، ابن الحاجب، تح: د.صالح عبدالعظيم الشاعر، مكتبة الآداب بالقاهرة، ص١٦.

(٢) النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي والدلالي، د. محمد حماسة عبداللطيف، ط:دار الشروق، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، ص١٣٠.

(٣) بناء الجملة العربية، د.محمد حماسة عبداللطيف، دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م، ص٢٥٩.

(٤) حذف المرفوعات والمنصوبات في سورة هود، دراسة نحوية دلالية، د. يوسف الرفاعي، ص٣٥٤، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد الخامس والعشرون، أيلول ٢٠١١.

(٥) مصطلحا الإضمار والحذف عند النحويين، دراسة في دلالتهما، والفرق بينهما، د.رفيع غازي السلمي، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز :الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد ١٩، العدد ٢، ٢٠١١م، ص٢٢٩.

(ت٣٨٢هـ) قد أجمل البلاغة في حذف الفضول فقال عن (الحذف) في باب الإيجاز: "قيل لبعضهم ما البلاغة؟ فقال: الإيجاز، قيل: ما الإيجاز؟ قال حذف الفضول وتقريب البعيد"[١].

وربط ابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ) بين (الحذف) وما يؤديه من فوائد في الكلام، فقال: "وفي هذا الحذف في الكلام مع الدلالة على المراد فائدة؛ لأن النفس تذهب فيه كل مذهب"[٢]، ورغم قلة مصطلحات الحذف إلا أنها دلت على آثار الحذف في نفس السامع، حيث إثارة الانتباه، وتحريك الذهن.

وأشار الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) إلى أن (الحذف) من أروع ظواهر البلاغة العربية حيث قال: "باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أوضح من الذك، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تبن"[٣]، ويدرك مما ذكره الجرجاني دلالة كبرى من وراء (الحذف) في الجملة، فهو يستحوذ على انتباهك من حيث لا تدري كالسحر، وبه يكون الكلام أوضح من الذكر، والصمت أبلغ من الحديث في توضيح الجملة، وإبراز فصاحة العبارة وجمال رونقها.

وتناول علماء علوم القرآن الكريم ظاهرة (الحذف)، حيث ذكر الزركشي(ت٧٩٤هـ) في معناه: "مِن حذفت الشيء قطعته"[٤]، فإذا قطعت عنصرًا مما تركبت به الجملة يكون قطع لفظي فقط، بينما هو مقدرٌ في المعنى، تدرك دلالته من خلال السياق والمعنى، فالحذف عنده قائم على المفهوم من خلال السياق الذي ورد فيه.

وقرائن الحذف من مباحث الجملة التي عُني بها علماء البلاغة، فإن كل كلمة أو جملة يمكن أن يُفهم المعنى بدونها؛ لوجود قرائن تدل على (الحذف) حريٌّ بها أن تحذف، (فالحذف) مزية يزدان بها

---

(١) الصناعتين: الكتابة والشعر، أبي هلال العسكري، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٩٥٢م، ص ١٧٣.

(٢) سر الفصاحة، الأمير أبي محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م، ص ٢١٠.

(٣) دلائل الإعجاز،عبد القاهر الجرجاني، مطبعة المدني، تح: محمود محمد شاكر، ص ١٤٦.

(٤) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تح:محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٠٣/٣.

الكلام حسنًا، ويحمل رونقًا، ويكون أكثر رواء[1]، فشرط (الحذف) وجود ما يدل على حذفه؛ كي لا يلتبس المعنى ويختلُّ الفهم.

فإذا أُريد إفادة السامع حُكمًا فأيُّ لفظ يدل على معنى فيه فالأصل ذكره، وأي لفظ عُلم من الكلام لدلالة باقِيهِ عليه فالأصل حذفه، وإذا تعارض هذان الأصلان فلا يُعدَل عن مُقتضى أحدهما إلى الآخر إلا لداعٍ[2]، أي: أن الهدف الرئيس من (الحذف) يكون الايجاز والاختصار؛ لئلا يعاد على السامع ما علمه من قبل.

كان (الحذف) من عادات العرب في كلامهم بكل صورة من صور الحذف، سواء أكان حذف حرف أو اسم أو فعل أو جملة بأنواعها؛ لكون الحذف من دقائق اللغة وعجيب سرها، وبديع أساليبها؛ وذلك لأنك ترى الجمال والروعة تتجلى في الكلام إذا أنت حذفت أحد ركني الجملة، أو شيئًا من متعلقاتها، فإن قدرت ذلك المحذوف، وأبرزته صار الكلام إلى ركيك لا صلة بينه وبين ما كان عليه أولًا[3].

(١) البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، د.فضل حسن عباس، دار الفرقان، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، ص٢٤٧.

(٢) دروس البلاغة، تأليف حفني ناصف – محمد دياب – سلطان محمد – مصطفى طمُّوم، شرح الشيخ: محمد بن صالح العثيمين، مكتبة اهل الأثر، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، ص٦١.

(٣) علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع، أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، ص٨٩.

شروط الحذف:

وضع النحاة شروطًا لـ(الحذف)، وذلك إذا أُمِن اللبسُ، وإذا دل دليل على المحذوف إن كان عمدة، وإن كان فضلة فيشترط ألا يكون في حذفه ضرر، فإذا حذف أحد أركان الجملة يحدث خللا في الفهم؛ لذا وجب مصاحبة الحذف لدليل، كما اشترطوا ألا يكون ما يحذف كالجزء، فلا يحذف الفاعل ولا نائبه ولا ما يشبهه، وألا يكون مؤكدًا، وألا يؤدي حذفه إلى اختصار المختصر، أن لا يؤدي حذف المفعول إلى تهيئة العامل للعمل وقطعه عنه(١).

ونخلص من ذلك إلى أن ظاهرة (الحذف) لا ترد اعتباطًا في الجملة العربية، بل هي ظاهرة مشروطة، ولها ضوابط دقيقة يجب الالتزام بها؛ لئلا يؤدي الخلل في أي شرط منها إلى خلل في التراكيب اللغوية والنحوية(٢).

أسباب الحذف ودلالاته:

تنوعت وتعددت آراء العلماء في دلالات (الحذف) في الجملة العربية، أبرزها: الحذف لدلالة المعنى السياقي، وذلك إذا لم يوجد لفظ في النص المذكور مسبقًا أشار إلى المحذوف ومكَّننا من أن نفهم التقدير، وذلك التقدير يعتمد على فهم القارئ.

وأشار(الجرجاني) إلى أن (الحذف) يكون لغرض المتكلم بقوله: "أن يكون امتناع تركه على ظاهره لأمر يرجع إلى غرض المتكلم"(٣)، فالربط هنا بين الحذف ودلالته يعود إلى غرض المتكلم من وراء (الحذف).

---

(١) الأصول في النحو، ابن السراج، ٦٦/١-٧٠، واللمع في العربية، ابن جنى، دار الكتب الثقافية – الكويت، تح: فائز فارس، ص٣٠، ومغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، تح: الدكتور عبداللطيف محمد الخطيب، الطبعة الأولى، الكويت، السلسلة التراثية، ٢٠٠٢م، ٣١٧/٦ : ٣٥١.

(٢) أسلوب الحذف على ضوء الدراسات القرآنية والنحوية، د.محمد وليد سيف الدين حلاق، مجلة جامعة ذمار للدراسات والبحوث، اليمن، جمادى الثاني ١٤٣١هـ – مايو ٢٠١٠م، العدد ١٢، ص٢٥٨.

(٣) كتاب أسرار البلاغة، لأبي بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني النحوي(ت٤٧١هـ)، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م، ص ٤٢١.

و(الحذف) قد يرد لغة للاختصار؛ وذلك لشيوع العلم به، أو لوجود دليل عليه، كما في حذف الجواب من الجملة الشرطية، ومنه قوله تعالى:﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]، والمحذوف هنا مصحوب بدليل، وهو ما تقدم عليه من الأفعال المضارعة المجزومة.

ومما ورد (الحذف) لأجله الحذف في القرآن الكريم التعميم، ومنه قوله تعالى:﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[2]، فالعموم هنا في الإعطاء؛ لأنه من الأفعال التي تنصب مفعولين، والتقدير: ولسوف يعطيك ربك الخير فترضى، فإخفاء الفعل(يعطي) هنا أفاد العموم والشمول؛ ليشمل كل ما يمكن أن يرضى به.

كما ورد(الحذف) للتخفيف، كالتخلص من اجتماع همزتين في الفعل المضاع؛ لئلا يحدث ثقلا باجتماع الهمزتين، فتحذف إحداهما، أو تكرار الحرف مثل:(ظلت أو أمست)، فالأصل فيهما:(ظللت ومسست)، والتخفيف هنا لكثرة الاستعمال، فكثرة الاستعمال للكلمات تتطلب الخفة وتجنب الثقل.

وقد ورد (الحذف) كثيرًا في اللغة العربية؛ لتوالي الأمثال، ومنه قوله تعالى:﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[3]، وذلك لأن العرب كرهوا توالي الأمثال في كلامهم، فالأصل إننا لله، ولكن لتوالي وتتابع ثلاث نونات؛ كان (الحذف) لإحداها مستساغًا ومقبولًا.

وقد يكون (الحذف) لتحقير المحذوف، وذلك بإسناد الفعل إلى نائب الفاعل ، وحذف الفاعل تحقيرًا لشأنه، وهو كثيرٌ في اللغة العربية؛ نحو: كتب محمد الدرس فتصبح: كُتِبَ الدرسُ.

---

(١) آل عمران ١٣٩/٣.

(٢) الضحى ٥/٩٣.

(٣) البقرة ١٥٦/٢.

كما ورد (الحذف) للتفخيم، أو للتعظيم، أو للتهويل، وذلك كحذف جواب الشرط في قوله تعالى:﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1]، فلم يأت الجواب لهول الموقف يوم القيامة.

ومن أغراض الحذف للمبتدأ، أن يحذف للاحتراز عن العبث، أولضيق المقام عن إطالة الكلام، إما لتوجع، وإما لخوف فوات فرصة، أو لتعجيل المسرَّة بالمسند، أو إنشاء المدح أو الذم أو الترحم[2].

وقد ورد الحذف في آيات الهدى والضلال في مائة وستة موضعًا، أمكن تصنيفهم حسب الجملة الاسمية، والفعلية، والشرطية، أتناولهم دراسة في أنماط المباحث التالية:

(١) الأنعام ٢٧/٦

(٢) حذف المرفوعات والمنصوبات في سورة هود، دراسة نحوية دلالية، دكتور يوسف الرفاعي، ص٣٥٤.

المبحث الأول

ظاهرة الحذف في الجملة الاسمية

في آيات الهدى والضلال

توطئـــة:

يتناول هذا المبحث دراسة ظاهرة الحذف في الجملة الاسمية في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم، وأعني بالحذف في هذا المبحث، حذف أي من العنصرين الأساسيين المكونين للجملة الاسمية، وهما: المبتدأ، أو الخبر، أو حذف العنصرين معًا.

أشار النحاة إلى أن الحذف الذي يقع في بنية الجملة الاسمية قد يكون حذفًا واجبًا، أو حذفًا جائزًا، والحذف الواجب حذف لا يمكن فيه إظهار المحذوف نطقًا؛ لئلا يخرج المنطوق عن الصحة النحوية إلى درجة الخطأ، ولكن المحذوف يكون مقدرًا أو معلوما لدى كل من المتكلم والمخاطب دون الإفصاح والتلفظ به، ويتمثل ذلك لدى النحاة، في حذف المبتدأ وجوبًا، وحذف الخبر وجوبًا.

وباستقراء مواضع حذف كل من المبتدأ والخبر وجوبًا في الجملة الاسمية، وملاحظة ما ورد من ذلك في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم نرى أن النحاة **يشيرون إلى أن المبتدأ يحذف وجوبًا من الجملة الاسمية في المواضع التالية**[1]:

١- إذا أخبر عنه بنعت مقطوع للنصب؛ نحو قوله تعالى:﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾[2]،

ولم يرد قطع النعت في آيات الهدى والضلال.

٢- إذا أخبر عنه بمصدر جاء بدلا من اللفظ بفعله؛ نحو: سمعٌ وطاعةٌ، وقد ورد ذلك في آيات الهدى والضلال في قوله تعالى:﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾[3].

٣- إذا أخبر عنه بمخصوص في إفادة المدح والذم؛ نحو: نِعْمَ الرجل زيد، وقد ورد ذلك في آيات الهدى والضلال في قوله تعالى:﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ

---

(١) شرح المفصل،ابن يعيش ٩٤/١-٩٥، شرح الكافية، الاستراباذي ١٠٣/١-١٠٥، وشرح التصريح،الأزهري ١٧٦/١-١٧٧، وهمع الهوامع،السيوطي ١٠٣/١-١٠٤، وحاشية الصبان ٢٢٠/١-٢٢١.

(٢) المسد ١١١/٣.

(٣) آل عمران ١٩٧/٣.

ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

٤- إذا اخبر عنه بقسم صريح؛ نحو: في ذمتي لأفعلن، ولم يرد ذلك في آيات الهدى والضلال.

٥- إذا ورد الخبر في قولهم: من أنت زيد؟، والتقدير: مذكورك زيد، ولم يرد ذلك في آيات الهدى والضلال.

٦- إذا ورد الخبر بعد المصدر المبين فاعله أو مفعوله بحرف؛ نحو: شكرًا لك، ولم يرد ذلك في آيات الهدى والضلال.

أما حذف الخبر وجوبًا من بنية الجملة الاسمية فيكون في المواضع التالية[2]:

٧- بعد (لولا) الامتناعية؛ نحو: لولا زيدُلأكرمتك، وقد ورد ذلك في قوله تعالى:﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾[3].

٨- إذا كان المبتدأ صريحًا في القسم، ويصلح للابتداء به؛ نحو قوله تعالى:﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾[4]، ولم يرد ذلك في آيات الهدى والضلال.

٩- بعد (واو) المصاحبة الصريحة المذكورة بعد مبتدأ؛ نحو: كل رجل وضيعته، ولم يرد ذلك في آيات الهدى والضلال.

---

(١) الجمعة ٥/٦٢.

(٢) شرح التصريح، الأزهري ١/١٧٩-١٨٠، وهمع الهوامع، السيوطي ١/١٠٤-١٠٥.

(٣) النساء ٤/١١٣.

(٤) الحجر ١٥/٧٢.

١٠- أن يذكر المصدر مكررًا بدلا من فعله الخبر المحذوف؛ نحو: أنت سيرًا سيرًا، ولم يرد ذلك في آيات الهدى والضلال.

وتقتصر الدراسة في هذا المبحث على الحذف الجائز، دون الواجب؛ لأن الحذف الجائز هو ما يكون فيه نوع من الاختيار، ومن ثم يمكن أن يكون هناك تحقيقًا لغاية دلالية، يضاف إلى ذلك ما قد يخالف فيه القواعد المعيارية فقد يرد اللجوء إلى ذكر واجب الحذف، أو حذف واجب الذكر من المبتدأ أو الخبر؛ حيث يكون ذلك تحقيقًا لأبعاد دلالية من وراء ذلك.

وقد ورد الحذف في الجملة الاسمية في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم في (٣١) واحد وثلاثين موضعًا، أمكن تصنيفها في الأنماط التالية:

النمط الأول: [جملة اسمية: {فاء رابطة + مبتدأ (محذوف) + خبر}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم في (١٦) ستة عشر موضعا[١]، يمثل ذلك قوله تعالى:﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾[٢].

أشار النحاة إلى أن الجملة الاسمية تتكون من عنصرين أساسيين هما: المبتدأ والخبر،"فالابتداء لا يكون إلا بمبني عليه، فالمبتدأ الأول، والمبني عليه ما بعده، فهو مسند ومسند إليه"[٣]؛ ولذا قيل: إن "المبتدأ معتمد الفائدة، والخبر محل الفائدة"[٤]، والمبتدأ هو: "كل اسم ابتدئ ليبني عليه الكلام"[٥] الذي يقتضي خبرًا؛ لتتم بهما معنى الجملة.

ولا يجوز حذف عنصر أساسي من عناصر الجملة الاسمية إلا "عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضربٌ من تكليف علم الغيب في معرفته"[٦]، ومن الأدلة على حذف المبتدأ قد يكون فاء الجزاء والجواب التي خبر لمبتدأ محذوف لغاية دلالية مرجو والعمل بها خاصة إذا كان الحذف في آيات القرآن الكريم.

---

(١) ينظر المواضع التالية: االبقرة ٢٧٢/٢، والبقرة ٢٨٢/٢، والمائدة ٦٠/٥، والمائدة ٩٥/٥، والأعراف ١٨٥/٧، وطه ١٢٣/٢٠، والحج ٤/٢٢، والنور ٣٥/٢٤، والنمل ٢/٢٧، وسبأ ٥٠/٣٤، وص ٢٢/٣٨، والزمر ٤١/٣٩، وفصلت ٤٤/٤١، ومحمد ٤/٤٧، والجن ١٣/٧٢.

(٢) البقرة ٢٨٢/٢.

(٣) الجمل في النحو، الزجاجي، تح: الدكتور/ على توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥. ١٩٩٦م، ص٣٦، الكتاب، سيبويه ١٢٦/٢، والمقتضب، المبرد ١٢٦/٤، والأصول في اللحو،ابن السراج ٥٨/١، ٢٧٢/٢، واللمع في العربية، ابن جني، ص ١١٠-١١١، وشرح المفصل،ابن يعيش ٨٣/١، وشرح التصريح، الأزهري ١٥٤/١-١٥٥.

(٤) شرح المفصل،ابن يعيش ٩٤/١.

(٥) الكتاب، سيبويه ١٢٦/٢.

(٦) الخصائص، ابن جني ٣٦٢/٢.

وحذف المبتدأ نحوًا له ارتباط وتأثير بلاغي، وقد تحدث الجرجاني عن حذف المبتدأ فقال أنه: "ممّا اعتيد فيه أن يجيء خبرًا قد بُني على مبتدأ محذوفٍ قولهم بعد أن يذكروا الرجل: فتى من صفته كذا، وأغرُّ من صفته كيت وكيت..."(١).

يلحظ في الشاهد السابق أن المبتدأ قد حذف جوازًا؛ لوقوعه بعد فاء الجزاء والجواب، وقد حذف لوجوب إقامة الشهود إقامة تشمل جميع المعاملات، والآية الكريمة ليس فيها إلا شهادة رجلين، أو رجل وامرأتين، ومن ثم ندرك أن الله تعالى يرشد عباده إلى حفظ حقوقهم، وذلك بأكمل الطرق وأقواها، ألا وهي الشهادة للاحتراز، والتحفظ التام في جميع المعاملات بين العباد.

(١) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، ص ١٤٩-١٥١.

النمط الثاني: [جملة اسمية" {فعل ناسخ + اسمه (محذوف) + خبر الناسخ}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم في (١) موضع واحد، وهو قوله تعالى:﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[١].

أشار النحاة إلى أن أنه يقل حذف المبتدأ المنسوخ بفعل ناسخ في الجملة العربية، ويكون المبتدأ مضمرًا في الفعل الناسخ[٢]، والتقدير في الآية الكريمة (ما كان هو)، وقد حذف المبتدأ المنسوخ وصرح بالخبر لعلم السامعين بما أضمر من خلال السياق.

ولا يجوز حذف عنصر أساسي من عناصر الجملة الاسمية إلا "عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضربٌ من تكليف علم الغيب في معرفته"[٣]، ومما دل على حذف المبتدأ أن يقع بعد القول، فيحذف المبتدأ، للإيجاز، وللاهتمام بالخبر.

يلحظ في الشاهد السابق أن المبتدأ قد حذف جوازًا في الشاهد السابق؛ لوقوعه بعد القول، وذلك تخصيصًا لليهود والنصارى الذين سفهوا أنفسهم وانتحلوا الأنبياء ونسبوهم إلى اليهودية والنصرانية، ولكن الله أعلمهم بـ"أنهم كانوا على الحنيفية والإسلام، وقال لهم على جهة التقريع والتوبيخ: أشهدتم يعقوب وعلمتم بما أوصى فتدعون عن علم؟"[٤]، ولم يقصد في آية التخيير بين أن يكونوا هودًا أو نصارى؛ لأن"المعلوم من حال اليهود أنها لا تجوز اختيار النصرانية على اليهودية، بل تزعم أنه كفر[٥]، فكل من

---

(١) البقرة ١٣٥/٢.

(٢) الكتاب، سيبويه ٧٠/١، ومغني اللبيب، ابن هشام، ٥٦٦/٣، وظواهر التركيب في ديوان أبي إسحاق الإلبيري الأندلسي، دراسة نحوية دلالية، رسالة ماجستير، إعداد الباحث /مروان أكرم، كلية الآداب، جامعة المنصورة، قسم اللغة العربية، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م، ص٣٨.

(٣) الخصائص، ابن جني ٣٦٢/٢.

(٤) المحرر الوجيز، ابن عطية ٢١٣/١، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى.

(٥) مفاتيح الغيب، الرازي ٧٠/٤، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة.

زعموا أنهم مهتدون، وغيرهم الذين على ضلال، سيدركون أن للكون إله واحد، والطريق إلى الله طريق هداية، والإعراض عنه كفر وغواية.

النمط الثالث: [جملة اسمية: {حرف ناسخ (إنْ المخففة من الثقيلة) + اسمها (محذوف) + خبرها}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم في (١) موضع واحد، وهو قوله تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[١]،

والتقدير: وإنْ هم كانوا في ضلال مبين.

وردت (إنْ) المخففة من الثقيلة في الشاهد السابقة مضمر اسمها، ضمير الشأن المحذوف، وهي ترد مخففة في أربعة مواضع[٢]، منها: أن تكون مخففة من الثقيلة، وما بعدها مرفوع، وحينئذ يلزم أن تدخل اللام على الخبر، ولم يجز غير ذلك، ومنه قوله تعالى:﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ﴾[٣]، وإن نصبت بها لم تحتج إلى اللام إلا أن دخولها فيه توكيد كما يكون في (إنَّ) الثقيلة؛ وفي ذلك إزالة لبس.

واختلف النحاة في (إنْ) من حيث معناها، ومعنى اللام بعدها، ومن ثم الإعراب، حيث ذهب الكوفيون إلى أنَّ (إنْ) إذا جاءت بعدها اللام تكون بمعنى (ما) واللام بمعنى(إلا)؛ نظرًا لورود الكثير من ذلك في القرآن الكريم، وكلام العرب، ومثال ذلك من القرآن الكريم، قوله تعالى:﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ إِلَّا

---

(١) الجمعة ٢/٦٢.

(٢) الأصول في النحو، ابن السراج،ط: مؤسسة الرسالة –لبنان، تح:عبد الحسين الفتلي ٢٣٦/١، والمقتضب، المبرد، ط: عالم الكتب – بيروت، تح: محمد عبد الخالق عظيمة ٣٦٣/٢.

(٣) الصافات ١٦٧/٣٧.

قَلِيلاً﴾[1]، أي: وما كادوا إلا يستفزونك، ومن كلام العرب، قول عاتكة بنت زيد العدوية، ترثي فيه زوجها الزبير بن العوام:

وقد قلته ابن جرموز وهو منصرف من وقعة الجمل من **[الكامل]**[2]:

"شـــلّت يمينُـــك إن قَتَلْـــت لَمُسْـــلِمَا كُتِبَـــتْ عليـــك عُقُوبَـــةُ المُتَعَمِّـــدِ"

أي: ما قتلت إلا مسلمًا، وحذف النفي والاستثناء بإلا من الأدلة على أن الحذف في كلام العرب كثير، وورد في الإنصاف أنها المخفّفة من الثقيلة، واللام بعدها هي لام التوكيد؛ حيث استدلوا بوجود نظير لذلك في كلام العرب، أما كونها بمعنى (إلا) فهو شيء ليس له نظير في كلامهم؛ "لأنَّ (إنْ) التي بمعنى ما لا تجيء اللام معها"[3]، وأشاروا لذلك بقوله تعالى:﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾[4]، وأما اللام في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾[5]، وغير ذلك من المواضع، على أن اللام بمنزلة (إلا)، وذهب البصريون إلى فساد ذلك؛ لأنه لو جاز أن يقال: "أن اللام تستعمل بمعنى إلا لكان ينبغي أن يجوز القول "جاءني القوم لَزَيْدًا" بمعنى: إلا زيدًا، وإنما جاءت هذه اللام مع (إن) المخففة من الثقيلة فارقة؛ لأن (إن) المخففة لفظًا يراد بها النفي؛ وذلك دفعا لئلا تلتبس بإن التي للجحد، أو للنفي فتقول: إن زيدا لقائم فتكون إيجابا، فإن قلت: إن زيد قائم، كان نفيا، ووافق البصريين في ذلك ابن قاسم المرادي، حيث كان القسم الخامس للام عنده، هو اللام الفارقة؛ حيث هي فارقة بين (إنْ) المخففة من الثقيلة و(إنْ) النافية[6].

---

(١) الإسراء ٧٦/١٧.

(٢)البيت من شواهد ابن يعيش في شرح المفصل "ص١١٢٨"، وعند رضي الدين في باب الحروف المشبهة بالفعل من شرح الكافية، وشرحه البغدادي في الخزانة "٤/ ٣٤٨، وابن هشام في مغني اللبيب، رقم ٢٢، وفي أوضح المسالك، رقم ١٤٧، والأشموني،رقم ٢٧٩، وابن عقيل، رقم ١٠٤، وابن الناظم في باب إن وأخواتها من شرح الألفية، وشرحه العيني، ٢/ ٢٧٨، بهامش الخزانة .

(٣) الإنصاف، ابن الأنباري، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى ٥٢٧/٢.

(٤) الملك ٢٠/٦٧.

(٥) القلم ٥١/٦٨.

(٦) الإنصاف، ابن الأنباري ٥٢٦/٢-٥٢٧، والجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي، تح: د فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٣٣/١ -١٣٤.

يلحظ في الشاهد السابق أن اسم (إنْ) المخففة من الثقيلة قد حذف جوازًا في الشاهد السابق؛ لغرض الاختصار والوصل إلى الجملة الاسمية، والتي تؤكد أن أكبر وأصل النعم على العرب خاصة أن أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق، فمنَّ الله على المؤمنين وقت بعثه؛ حيث تلا آيات الذكر الحكيم على الكفار بعدما كانوا أهل جاهلية، لم يسمعوا وحيًا، وكان الغرض من تلاوته القرآن أن "يزكيهم ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات وسائر الخبائث"[1]، وضلالهم كان من قبل ظاهرًا مجردًا من الشبهات.

(١) الكشاف، الزمخشري ٤٣٦/١، وفتح القدير، الشوكاني ٤٥٣/١.

النمط الرابع: [جملة اسمية: {مبتدأ + خبر (محذوف)}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم في (١٢) اثني عشر موضعًا[١]، ويمثل ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدِۭ﴾[٢]، والتقدير: أولئك مستقرون في ضلال بعيد.

إن خبر المبتدأ هو الذي يتم به معنى المبتدأ، ويصير كلامًا، وبالخبر يقع التصديق والتكذيب، وخبر المبتدأ ينقسم إلى قسمين: الأول: أن يكون هو الأول في المعنى غير ظاهر فيه ضميره، كقولك: زيد أخوك، فالخبر هو الأول في المعنى، أو يكون غير الأول ويظهر فيه ضميره، كقولك: عمرو ضربته وزيد رأيت أباه، وإن لم يكن الخبر على هذين القسمين، فليس ذلك بكلام تام الفائدة.

أشار النحاة إلى أن "حذف الخبر يكون إذا دَلَّ عليه دليل"[٣]، ويكون السامع لديه علم بما حذف، وذلك كقول الله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ﴾[٤]، والتقدير: وظلها دائم، ، ومنه قول قيسِ بن الخَطيم من **[المنسرح]**[٥]:

---

(١) ينظر المواضع التالية: البقرة ١٩٦/٢، والبقرة ١٩٦/٢، والمائدة ٩٥/٥، والأنعام ٩١/٦، والرعد ٣٣/١٣، وإبراهيم ١٨/١٤، والنمل ٦٣/٢٧، وسبأ ٢٤/٣٤، وفاطر ٨/٣٥، والزمر ٣/٣٩، والملك ٢٢/٦٧.

(٢) إبراهيم ٣/١٤.

(٣) الكتاب، سيبويه، ٧٤/١، والمقتضب، المبرد ١٢٢/٣، والإنصاف، ابن الأنباري ٨٧/١، وهمع الهوامع، السيوطي ١١٩/٣.

(٤) الرعد ٣٥/١٣.

(٥) البيت لقيس بن الخطيم يخاطب مالك بن العجلان حين رد قضاءه في واقعة الأوس والخزرج، وهو لدرهم بن زيد الأنصاري في الإنصاف ١/ ٩٥ وقال في الانتصاف: وليس هو لدرهم بن زيد الأنصاري..ولكنه من كلام قيس ابن= = الخطيم، وهو لعمرو بن امرئ القيس الخزرجي في الدرر ١/ ١٤٧، وله أو لقيس بن الخطيم في شرح المرشدي على عقود الجمان ١/ ١٠٢، وبلا نسبة في الإيضاح ص ٨٨، والتلخيص للقزويني، ص: ٢٨.

"نَحْـــنُ بِمـــا عِنْـــدنا وأنـــتَ بِمـــا عِنْـــدَكَ راضٍ والـــرأي مختلـــف"

والتقدير: نحن بما عندنا راضون، وقد حذف الخبر في البيت؛ احترازًا عن العبث، وقصدًا للاختصار مع ضيق المقام، ومما سوَّغ حذفه، دلالة المبتدأ الثاني عليه.

يلحظ في الشاهد السابق أن الخبر المحذوف، الذي تقديره:(مستقرون) قد حذف قصدًا للاختصار، وهذا ما يتناسب مع ضيق المقام، حيث إن الكافرين قد استحبوا الحياة الدنيا، أي: اختاروا وآثروا الدنيا، وتعلقوا بمتاعها على طاعة المولى –سبحانه– ووصل بغيهم أنهم صاروا"يمنعون من أراد الإيمان بالله واتّباعَ رسوله على ما جاء به من عند الله، من الإيمان به واتباعه"[1]، وقد جاز وصف الضلال بصفة البعد التي هي صفة للضال، وذلك وصف جائز؛ لأنه "مجازا لقصد المبالغة، ثم لما من على المكلفين بإنزال الكتاب وإرسال الرسول ذكر من كمال تلك النعمة أن ذلك المرسل بلسان قومه"[2]، والضال في الحقيقة هو من يبتعد عن الطريق، وقد دل الضلال عن مدى تعمقهم فيه، وصعوبة خروجهم منه، ويعد هذا الإسناد من الإسناد المجازي، ومرتبة البعد عن طريق الحق كما أشارت الآية غاية البعد عن الحق، فقد تمكن الضلال في نفوسهم، وممتد فيهم ولا يمكن انقطاعه[3].

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٥١٥/١٦.

(٢) فتح القدير، الشوكاني ١١٢/٣.

(٣) الكشاف، الزمخشري ٥٣٧/٢، والمحرر الوجيز، ابن عطية ٣٢٣/٣، ومفاتيح الغيب، الرازي ٦١/١٩.

النمط الخامس: [جملة اسمية: {فعل ناسخ+ اسمه+ خبره(محذوف)}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم في (١) موضع واحد، وهو قوله تعالى:﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[١]، أي: كنا غاوين في ضلال.

أشار النحاة إلى كثرة حذف كان دون اسمها وخبرها، كما يجوز حذف اسمها فقط، أو خبرها فقط، أو حذف كان واسمها، ولم يكثر حذف خبرها والإبقاء على كان واسمها، ولكن النحاة أشاروا إلى جواز حذف خبرها تبعًا لجواز حذف خبر المبتدأ، وذلك إذا دل علي حذفه دليل[٢]، ويشتهر حذف خبر (كان) جائز "إن علم بعد إن وَلَو بِكَثْرَة وهلا وَإِلَّا بقلة وَيجوز رفع تَالِيهَا إِن حسن التَّقْدِير فِيهِ أَو مَعَه وَإِلَّا فَلَا"[٣]، وكان حذفه معلوما لدى المتلقي أو القارئ، ولحذف الخبر جوازًا نظير في كلام العرب.

يلحظ في الشاهد السابق أن حُذف خبر(كان) مع الإبقاء عليها واسمها، قصدًا لاختصار الحديث عن مدى غيهم، وذهابهم عن الحق، والتقدير:(كنا غاوين)، حيث ألزمهم الله الحجة على أنهم عاكفين لأصنامهم، ولكن هؤلاء الغاوين أقروا بفساد عبادتهم، حيث قالوا لأصنامهم أنهم كانوا فاسدين، وأن كل ما اتبعوه تبينوا أنه ضلال وباطل، فما نفعتهم آلهتهم، وما نفعوا أنفسهم بانتصارهم[٤]، فصاروا وآلهتهم وقود النار، واختصموا في جهنم وما اتبعوه نحو ما كانوا عليه من ضلال واضح.

---

(١) الشعراء ٩٧/٢٦.

(٢) الكتاب، سيبويه ٧٤/١، والمقتضب، المبرد ١٢٢/٣، والإنصاف، ابن الأنباري ٨٧/١، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي ١١٩/٣.

(٣) همع الهوامع، السيوطي ٤٤٠/١.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري ٣٦٨/١٩، ومفاتيح الغيب، الرازي ٥١٨/٢٤، وفتح القدير، الشوكاني ١٢١/٤.

المبحث الثاني

ظاهرة الحذف في الجملة الفعلية

في آيات الهدى والضلال

تـوطئــة:

يتناول هذا المبحث دراسة ظاهرة الحذف في الجملة الفعلية في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية، وأعني بالحذف في هذا المبحث، حذف أيٍّ عنصرٍ من العناصر الأساسية المكونة للجملة الفعلية، وهي: الفعل، أو الفاعل، مع الفعل اللازم، والفعل، أو الفاعل، أو المفعول به الأول، أو المفعول به الثاني، أو حذفهما معًا، مع الفعل المتعدي، أو حذف الجملة الفعلية كلها.

أشار النحاة إلى أن الحذف الذي يقع في الجملة الفعلية قد يكون حذفًا واجبًا،أو حذفًا جائزًا، وفي الحذف الواجب لا يمكن فيه أن يظهر العنصر المحذوف نطقًا؛ لئلا يخرج الكلام من الصواب النحوي إلى الخطأ اللغوي، وما حذف من أركان الجملة يكون مقدرًا، أو معلومًا لدى كل من المتكلم والمخاطب، ويتمثل ذلك لدى النحاة، في حذف الفعل وجوبًا، وحذف الفاعل وجوبًا، وحذف المفعول به وجوبًا.

ومن خلال استقراء مواضع الحذف الواجب في الجملة الفعلية، وملاحظة ما ورد من ذلك في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم، وما لم يرد.

يلحظ أن النحاة أشاروا إلى أن الفعل يحذف وجوبًا من بنية الجملة الفعلية في المواضع التالية:

١-فيما جرى مجرى الأمثال كثيرة الاستخدام؛ نحو قوله تعالى:﴿ٱنتَهُواْ خَيۡرًا لَّكُمۡ﴾[١]، وقد أعرب سيبويه لفظة (خيرًا) في الآية الكريمة على أنها منصوبة بفعل محذوف تقديره: وائتوا خيرًا[٢]، ومثل ذلك "قد كثر في كلامهم حتى صار بمنزلة المثل"[٣].ولم يرد مثل ذلك في آيات الهدى والضلال.

٢-فيما ورد منصوبًا على التحذير، مع (إيَّا)، أو مكرر، والمعطوف؛ نحو: إيَّاك والشرَّ، والأسدَ الأسدَ؛ ونحو قوله تعالى:﴿فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا﴾[٤]، فإذا لم يكن

---

(١) النساء ١٧١/٤.

(٢) الكتاب، سيبويه ٢٨٢/١، ومشكل إعراب القرآن، القيسي ٢١٣/١-٢١٤، وهمع الهوامع، السيوطي ١٦٨/١.

(٣) الكتاب، سيبويه ٢٨٤/١.

(٤) الشمس ١٣/٩١.

مع (إيَّا) أو فقد التكرار، أو العطف، جاز إظهار الناصب وإضماره؛ نحو: الأسد، واحذر الأسد[1]، ويمثل ذلك من آيات الهدى والضلال قوله تعالى:﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[2].

٣- فيما ورد منصوبًا على الإغراء، سواء أكان مكررًا، أو معطوفًا؛ نحو: العهدَ العهدَ ، والأهل والولد، فإذا فقد التكرار أو العطف جاز إظهار الناصب، وإضماره؛ نحو: الصلاةَ جامعة، وأقيموا الصلاة جامعةَ[3]، ويمثل ذلك من آيات الهدى والضلال قوله تعالى:﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[4].

٤- فيما ورد منصوبًا على الاختصاص، وينصب الاسم المختص بفعل محذوف وجوبًا تقديره: أعني، أو أخص، ويختص ذلك بـ(أي) التي تقع بعد ضمير المتكلم؛ نحو: أنا أفعل ذلك أيها الرجل، وقد يقوم مقام (أي) في أسلوب الاختصاص مصرحًا بنصبه اسم معرف بالألف، واللام دال على مفهوم الضمير؛ نحو: نحن العرب أقرى الناس للضيف، أو اسم معرف بالإضافة؛ نحو قول الشاعر من بحر [**الرجز**][5]:

"نحن بناتِ طارق نمشي على النمارق"

ولم يرد مثل ذلك في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم.

---

(١) شرح التصريح، الأزهري ١٩٣/٢، وهمع الهوامع، السيوطي، ١٦٩/١.

(٢) سبأ ٢٤/٣٤.

(٣) شذور الذهب، ابن هشام، ص٢٢٣، وشرح التصريح، الأزهري ١٩٥/٢، وهمع الهوامع، السيوطي ١٦٨/١.

(٤) البقرة ١٣٥/٢.

(٥) ينسب هذا البيت إلى هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان، وذلك يوم أحد، حيث كانت تحض على حرب المسلمين، والشاهد فيه:(بنات طارق)، حيث نصبت (بنات) على الاختصاص بفعل محذوف تقديره: أخص، أو أعني.

٥-في المنادى[١]، ويجب أن يكون الفعل الناصب مضمرًا؛ لأنه قد يظهر معناه دون إظهاره، وقد يراد بحذفه الإنشاء دون الإخبار؛ نظرًا لكثرة الاستخدام، وللتعويض عنه بحرف النداء، ويقدر الفعل المحذوف بـ(أنادي أو أدعو)، سواء أ كان حرف النداء مذكور أم محذوف، يمثل ذلك من آيات الهدى والضلال قوله تعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾[٢].

٦-في المصادر التي وردت بدلا من اللفظ بأفعالها، ومن ذلك:

أ- المصادر المستعمل أفعالها؛ نحو: سقيا ورعيا[٣]، ويمثل ذلك من آيات الهدى والضلال قوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَـٰلَهُمۡ﴾[٤].

ب-المصادر المضافة إلى الله تعالى؛ نحو: سبحان الله، ومعاذ الله، وريحان الله[٥]، ويمثل ذلك من آيات الهدى والضلال قوله تعالى:﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ﴾[٦].

ج-المصادر التي وردت بدلا من اللفظ بأفعالها؛ نحو: سلامًا، وحجرًا، وعجبًا، وحمدًا، وشكرًا لا كفرا، وذلك إذا وردت إنشاء لا خبرًا، فإن وردت خبر جاز معها ذكر الناصب وحذفه[٧]،

---

(١) همع الهوامع، السيوطي ١/١٧١.

(٢) البقرة ٢/٢٤٦.

(٣) الكتاب، سيبويه ١/٣١١، والمقتضب، المبرد ٣/٢٢١، والأصول في النحو، ابن السراج ٢/٢٥١، وهمع الهوامع، السيوطي ١/١٨٨.

(٤) محمد ٤٧/٨.

(٥) الكتاب، سيبويه ١/٣٢٢، والمقتضب، المبرد ٣/٢١٧، وهمع الهوامع، السيوطي ١/١٩٠.

(٦) إبراهيم ١٤/٢١.

(٧) همع الهوامع،السيوطي ١/١٩٠-١٩١.

ويمثل ذلك من آيات الهدى والضلال قوله تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾(١).

د – المصادر التي وردت مؤكدة لمضمون جملة؛ نحو: أنت ابني حقا، وعليَّ درهم اعترافًا(٢)، ويمثل ذلك من آيات الهدى والضلال قوله تعالى:﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾(٣).

هـ – فيما ورد من الصفات التي وقعت نائبة عن مصادرها؛ نحو:عائذًا بك، وهنيئا لك، وأقائمًا وقد قعدوا، وذلك قياسًا عند سيبويه؛ نحو: أضاحكًا...؟، وأخارجًا...؟، أما المغاربة فقصروه على ما ورد من ذلك سماعًا(٤)، ويمثل ذلك من آيات الهدى والضلال قوله تعالى:﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(٥).

---

(١) الفرقان ٣١/٢٥.

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، دار مصر للطباعة، الطبعة العشرون، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م، ١٨٢/٢، وهمع الهوامع، السيوطي ١٩٢/١، وحاشية الصبان، الصبان ١٧٥/٢.

(٣) الأحزاب ٣٦/٣٣.

(٤) شرح الكافية الشافية، ابن مالك، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ٦٦٨/٢، وهمع الهوامع، السيوطي ١٩٣/١-١٩٤.

(٥) الأنعام ١٢٥/٦.

و أمـا عن حذف الـفـاعل أشار جمهور النحاة إلى أن الحذف يرد في اللغة العربية لدلالة مرادة[1]، فالفاعل عمدة لايحذف ولابد منه في الجملة، ظاهرًا أو مقدرًا؛ لأن المسند حكم، ولابد للحكم من محكوم عليه، أما الكسائي فيرى جواز حذفه مستشهدًا بقول الشاعر من **[بحر الطويل]**[2]:

"فَـإِنْ كَـانَ لَـا يُرْضَـيكَ حَتَّـى تَرُدَّنِـي إِلَـى قَطَـرِيٍّ لا إِخَالَـكَ رَاضِـيًا"

وجمهور النحاة أوَّلوا التقدير في هذا الشاهد: فإن كان هو، أي: ما نحن عليه من السلامة،

وأشار النحاة إلى أن الفاعل يرد محذوفًا باطراد في المواضع التالية:

١-في باب النائب عن الفاعل؛ نحو: ضُرِبَ زيدٌ[3]، ويمثل ذلك من آيات الهدى والضلال قوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾[4].

٢-في الاستثناء المفرغ؛ نحو: ما قام إلا زيدٌ[5]، والتقدير: ما قام أحدٌ إلا زيدٌ، ويمثل ذلك من آيات الهدى والضلال قوله تعالى:﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾[6].

٣- في أسلوب التعجب على صيغة (أفعِل بـ)، إذا دل عليه متقدم مثله، وقد ورد مثل ذلك في آيات الهدى والضلال، وذلك في قوله تعالى:﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[7]، والتقدير: أسمع بهم وأبصر بهم.

---

(١) شرح التصريح، الأزهري ٢٧٢/١، وحاشية الصبان، الصبان ٤٤/٢-٤٥.

(٢) ينسب هذا البيت إلى سوار بن المضرب، ولا إخالك: لا أظنك، ويروي: (كنت) بدلا من(كان)، والشاهد فيه: (كان لا يرضيك)، حيث حذف (كان) اسم الذي هو بمثابة الفاعل، ففي (كان) ضمير مستتر مرفوع مدلول عليه بالحال المشاهدة فيهما، أي: فإن كان ما تشاهده مني لا يرضيك، ويجوز في (كان) أن تكون تامة، والرواية الثانية للبيت (كنت)، لا شاهد فيها.

(٣) الكتاب، سيبويه ٤٢/١، والأصول في النحو، ابن السراج ١٣٧/١.

(٤) محمد ٤/٤٧.

(٥) الأصول في النحو، ابن السراج ٢٩١/١، وشرح التصريح على التوضيح، الأزهري ٥٣٩/١.

(٦) الأنعام ٩٠/٦.

(٧) مريم ٣٨/١٩.

٤ – في المصادر؛ إذ المصادر لا تتحمل ضميرًا؛ نحو قولهم: ضربًا زيدًا، وقد ورد مثل ذلك في قوله تعالى:﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[١].

٥ – مع فاعل الجماعة المؤكد بالنون، كما في قوله تعالى:﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٢]، وقد ورد مثل ذلك في قوله تعالى:﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٣].

٦ – إذا قام مقامه حالان؛ نحو قولهم : فتلقفها رجل رجل، والتقدير: فتلقفها الناسُ رجلا رجلا، ولم يرد مثل ذلك في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم.

وأما المفعول به فيرى النحاة أن الأصل جواز حذفه؛ لأنه فضلة، وليست هناك مواضع بعينها **أشار من خلالها النحاة إلى أن المفعول به يحذف فيها حذفًا واجبًا، إلا أنهم يشيرون إلى أن المفعول به يمتنع حذفه في المواضع التالية**[٤] :

٧ – أن يكون نائبًا عن الفاعل؛ لأنه صار عمدة كالفاعل، وقد ورد مثل ذلك في آيات الهدى والضلال، وذلك في قوله تعالى:﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٥].

---

(١) الأحزاب ٣٦/٣٣.

(٢) القصص ٨٧/٢٨.

(٣) الأعراف ١٤٩/٧.

(٤) شرح التصريح، الأزهري ٣١٤/١، والسيوطي، همع الهوامع ١٦٧/١، والصبان، حاشية الصبان ٩٤/٢.

(٥) آل عمران ١٠١/٣.

٨-أن يكون متعجبًا منه[١]؛ نحو: ما أحسن زيدًا، أكرم بزيد، وقد ورد مثل ذلك في آيات الهدى والضلال، وذلك في قوله تعالى:﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّٰلِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٢]، والتقدير: أسمع بهم وأبصر بهمأن يكون مجابًا به استفهام؛ نحو: زيدًا، لمن سأل: من رأيت؟ إذ لو حذف لم يحصل الجواب، ولم يرد مثل ذلك في آيات الهدى والضلال.

٩- أن يكون محصورًا[٣]؛ نحو: ما ضربت إلا زيدًا، إذ لو حذف لأفهم نفي الضرب مطلقًا، والمقصود نفيه مقيدًا بإثباته لزيد، وقد ورد مثل ذلك في آيات الهدى والضلال، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾[٤].

١٠- أن يكون عامله محذوفًا[٥]؛ نحو:خيرًا لنا وشرًّا لعدونا؛ لئلا يلزم الإجحاف، وقد ورد مثل ذلك في آيات الهدى والضلال في قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[٦].

١١- أن يكون مبتدأ غير كل، والعائد مفعول به[٧]؛ نحو: زيدٌ ضربته، فلا يقال اختيارًا: زيدٌ ضربتُ بحذف العائد ورفع زيد، بل يجب عند الحذف نصب زيد، ولم يرد مثل ذلك في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم.

---

(١) الجمل في النحو، ابن السراج ٧٨/١، والكتاب، سيبويه ١٢/٣، والمقتضب، المبرد ١٩٠/٣، واللمع في العربية، ابن جني ١٣٦/١.

(٢) مريم ٣٨/١٩.

(٣) همع الهوامع، السيوطي ١٢/٢.

(٤) الأنعام ١١٩/٦.

(٥) الكتاب، سيبويه ٢٧٠/١ -٢٧١، وهمع الهوامع، السيوطي ١٢/٢.

(٦) الأنعام ٧٤/٦.

(٧) الأصول في النحو، ابن السراج ٦٤/١.

واقتصرت الدراسة في هذا المبحث على الحذف الجائز، دون الواجب؛ لأن الحذف الجائز هو ما يكون فيه نوع من الاختيار، ومن ثم يمكن أن يكون هناك بُعْدٌ دلالي لهذا الاختيار، فإذا حذف أحد أركان الجملة الفعلية، أو أكثر من ركن، جوازًا؛ تحقيقًا لغاية دلالية، وقد يلجأ المتكلم إلى ذكر واجب الحذف، أو حذف واجب الذكر لكل من الفعل أو الفاعل أو المفعول؛ حيث تكون هذه المخالفة تحقيقًا لأبعاد دلالية مقصودة عن طريق مخالفة القواعد اللغوية.

ورد الحذف في الجملة الفعلية في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم في (٤٨) ثمانية وأربعين موضعًا، أمكن تصنيفها في الأنماط التالية:

النمط الأول: [جملة فعلية: {فعل (محذوف) + فاعل}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1]، والتقدير: لو ثبت هدايتي، فالفعل محذوف بعد (لو)، وورد الفاعل في الآية الكريمة مصدرًا مؤولا، مكونًا من (أنَّ) واسمها وخبرها.

أشار النحاة إلى جواز حذف الفعل والإبقاء على الفاعل ظاهرًا، وذلك في موضعين[2]:

١- إن أجيب به نفي، كقولك: بلى زيد، لمن قال: ما قام أحد، حيث (زيد) فاعل لفعل محذوف تقديره: جاء؛ وذلك ليطابق الجواب مدخول النفي في الفعلية، ولو جعل الجواب مبتدأ خبره محذوف لم يطابق النفي.

٢- إن أجيب به استفهام؛ نحو: هل جاء أحد؟ فيجيب المخاطب: نعم زيد، والتقدير: نعم جاء زيد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[3]، ﴿يُؤْفَكُونَ﴾[3]، والتقدير: خلقنا الله، وقد ورد في نفس السورة دليل على الفعل المحذوف، حيث ذكر صراحة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾[4]، ولذلك نظيرٌ -أيضًا- في قراءة من قرأ قول الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا

---

(١) الزمر ٥٧/٣٩.

(٢) شرح التصريح، الأزهري ٢٧٢/١-٢٧٣، وهمع الهوامع، السيوطي ١٦٠/١، وحاشية الصبان، الصبان، ٤٨/١-٤٩.

(٣) الزخرف ٨٧/٤٣.

(٤) الزخرف ٩/٣٤.

بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾[1]، حيث قرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم: يُسَبَّحُ بفتح الباء بالبناء للمجهول[2]، والقراءة بالبناء للمجهول "كأنه لما قيل: يُسَبَّحُ له فيها بالغدو والآصال، قيل: من يسبحه؟ فقيل: يسبحه رجال"[3].

وأشار عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) إلى أغراض الحذف بقوله: "اعلم أنَّ أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية، فهم يذكرونها تارة ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين، من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين،...، ومثال ذلك قول الناس: فلان يحل ويعقد ويأمر وينهي ويضر وينفع"[4].

وأما السكاكي (ت٦٢٦هـ)، فقد عدّ الحذف وأغراضه أحد أنواع سحر الكلام؛ "حيث يتوصل بتقليل اللفظ إلى تكثير المعنى، كقولهم في باب المبالغة: فلان يعطي ويمنع، ويصل ويقطع، ويبني ويهدم، ويغني ويعدم"[5].

يلحظ في هذا النمط أن الفعل قد حذف في سياق الإجابة عن الاستفهام، وقد حذف الفعل في الشاهد السابق لتحقيق بعد دلالي مقصود، حيث أن الله تعالى يخاطب الغافلين، توكيدًا على أنهم قد وصلوا إلى درجة عدم الخشية من شيء، وكأن الله يقول لهم"كأنكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم وسهوكم أن تقول نفس كراهة أن تقول"[6]، وكأنه –عزَّ وجَلَّ– سائلهم عن الإسلام وعن الإنابة، وسائلهم عن جزئياتهما وأعمالهما حتى أجابهم بوجوب الحث على اتباع خاتم الوحي وهو القرآن الكريم، فقد تضمن أوامر ونوهي منجية، واتباع سنة نبينا محمد ﷺ والخير والأحسن أن"يسلك الإنسان طريق التفهم والتحصيل، وطريق الطاعة والانتهاء والعفو في الأمور"[7]، كما أن المقام الذي ورد فيه الحذف مقام

---

(١) النور ٣٦/٢٤.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٥٩٤/١١، وشرح التصريح، الأزهري ٢٧٣/١.

(٣) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٤٥/٤-٤٦، وشرح التصريح، الأزهري، ٢٧٣/١.

(٤) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، ص١٥٤.

(٥) مفتاح العلوم، السكاكي، ص٣٣٤.

(٦) الكشاف، الزمخشري ١٣٦/٤.

(٧) المحرر الوجيز، ابن عطية ٥٣٧/٤.

قصر فيه أمران[1]: أمر بالإنابة، وأمر بمتابعة الأحسن؛ لئلا يفجأ العذاب وأنتم غافلون عنه يأتيهم يوم يندمون فيه ولا تنفع الندامة أحدًا، فإذا تمنوا الرجوع إلى الدنيا حتى يعملوا عملا صالحا ، كان ذلك غير ممكن ولا مفيد؛ فهي أمانٍ باطلة، فسؤال العودة إلى الدنيا من أنواع العبث، فهم يعبثون طالبين "أي لو أن الله أرشدني إلى دينه لكنت ممن يتقي الشرك والمعاصي، وهذا من جملة ما يحتج به المشركون من الحجج الزائفة"[2]، وفي القرآن مايؤكد كذبهم وإرادتهم الباطل بكلمة حق، وذلك في قوله تعالى:﴿بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾[3]، وقد تم التعبير عن ذلك على طريقة بناء الجملة بحذف الفعل والإبقاء على الفاعل.

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ٤٦٦/٢٧.

(٢) فتح القدير، الشوكاني ٥٤٠/٤.

(٣) الأنعام ٢٨/٦.

النمط الثاني: [جملة فعلية: {فعل + فاعل (محذوفان) + مفعول به}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم في (٢١) واحد وعشرين موضعا[١]، يمثل ذلك قوله تعالى:﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٢]، والتقدير: وأضلَّ فريقًا.

والحذف في هذا النمط حذف في الجملة الفعلية الخبرية، ويلحظ أن المفعول به الذي حذف فعله وفاعله قد يكون اسما، وقد يكون مصدرًا مؤولا، كما في قوله تعالى:﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٣]، والتقدير: ويريد لتكملوا العدة.

أشار النحاة إلى أن الفعل الناصب المفعول به قد يحذف جوازًا "لقرينة: لفظية، أو معنوية؛ نحو: زيدًا، لمن قال: من ضربت؟ أو لمن شرع في إعطاء، أي: أعط، وخيرًا لمن ذكر رؤيا..."[٤]، ولا يفرق النحاة إذا حذف الناصب في الجملة الفعلية الخبريةأو الإنشائية.

---

(١) ينظر المواضع التالية: البقرة ١٣٥/٢، والبقرة ١٧٥/٢، والمائدة ٦٠/٥، والمائدة ٩٥/٥، والأنعام ٧٤/٦، والأنعام ١٤٤/٦، والأنعام ١٥٧/٦، والأعراف ٣٠/٧، والأعراف ١٥٨/٧، ويوسف ٨/١٢، والفرقان ١٧/٢٥، والشعراء ٩٧/٢٦، والقصص ٦٤/٢٨، والسجدة ٣/٣٢، والزمر ٥٧/٣٩، والأحقاف ١١/٤٦، ومحمد ٤/٤٧، والفتح ٢٥/٤٨، والقمر ٢٤/٥٤، والصف ٥/٦١.

(٢) الأعراف ٣٠/٧.

(٣) البقرة ١٨٥/٢.

(٤) همع الهوامع، السيوطي ١٦٨/١، وشرح الكافية، الاستراباذي ١٢٩/١، وشذور الذهب، ابن هشام، ص٢١٤، وشرح التصريح، الأزهري ٣١٤/١، وحاشية الصبان، الصبان ٩٤/٢.

وسياق الفعل المحذوف الناصب للمفعول به فيه إشارة إلى أنه يكثر حذفه في موضع جواب الاستفهام، حيث إن كلام المتكلم مبني على استفهام متقدم، ويدرك من خلال ذلك العنصر اللغوي المحذوف على استفهام سابق، وهنا يدرك من السياق اللغوي ما حذف من عناصر؛ حيث إن المحذوف يدرك من خلال الاستفهام المتقدم على الجواب.

كما يطرد هذا النمط حينما يكون المتكلم مدركًا يقظة وانتباه المخاطب، حينها يلجأ إلى حذف العناصر المكررة، على النقيض من ذلك لا يحذف شيئا بل يلجأ إلى ذكر الجملة كاملة؛ حتى لا يقع لبس في الفهم؛ نظرًا لغفلة المخاطب وسهوه، وهو ما يتضح من قوله تعالى:﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَّ﴾[1]، حيث أن سيدنا موسى –عليه السلام– لما رأى جهل وكفر بني إسرائيل أدرك أن أمر بني إسرائيل سيتشعب عليه إذا لم يأت بالقوم، فصار موسى يتمنى ويستعطف ربه متضرعًا متذللا بقوله: رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ يتمنى من ربه الإهلاك قبل أن يرى ما رأي من تبعة طلب الرؤية؛ لأنه إنما طلب الرؤية زاجرًا للسفهاء، وهم طلبوها سفها وجهلا، حتى افتتنوا وضلوا.

يلحظ في هذا النمط أن المفعول به انتصب بفعل محذوف، وهو مفسر بما بعده، حيث دل السياق على أن الفريق الضال هم من اتخذوا الشياطين أولياء وأطاعوهم فيما أمروهم به، وفي ذلك دليل على أن علم الله لا أثر له في ضلالهم، وأنهم الضالون باختيارهم[2]، ورغم ذلك فلم يعترفوا أنهم ضالون، وهذا أشد في عنادهم وتمردهم على الله ودعوة نبيه، ولذلك كان العدول بالحذف في بناء الجملة هو المسيطر.

---

(١) الأعراف ١٥٥/٧.

(٢) الكشاف، الزمخشري ١٠٠/٢، ومفاتيح الغيب، الرازي ٢٢٨/١٤، وفتح القدير، الشوكاني ٢٢٧/٢.

النمط الثالث: [جملة فعلية: {فعل+ فاعل+ مفعول به (محذوف)}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم في (٢١) واحد وعشرين موضعا[١]، ويمثل ذلك قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[٢].

أشار النحاة والبلاغيون إلى أن المفعول به يحذف من الجملة الفعلية ذات الفعل المتعدي؛ وذلك بسبب الدلالة؛ إذ أشاروا إلى أن المفعول به يحذف جوازًا لغرضين:

الأول لفظي: وقد يكون الغرض من ذلك أن يكون اللفظ مناسبا للفواصل في الآيات الكريمة؛ نحو قوله تعالى:﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[٣]، أو يكون الغرض: الإيجاز؛ نحو قوله تعالى:﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[٤].

الثاني: معنوي: فقد يتبادل الفعل اللازم معنى الفعل المتعدي؛ نحو: زيد عالم و جاهل، أو للتعميم، أو للعلم، أو الجهل، أو للتحقير، أو التهويل.

والحذف لايجوز في الجملة إلا إذا دل على المحذوف دليل حالي، أو مقالي؛ نحو قوله تعالى:﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[٥].

---

(١) ينظر المواضع التالية: البقرة ٢٨٢/٢، وآل عمران ٢٠/٣، والمائدة ٤٤/٥، والأنعام ٨٠/٦، والأنعام ٩٤/٦، والأعراف ١٤٨/٧، والأعراف ١٤٨/٧، والأعراف ١٥٥/٧، ويونس ٢٥/١٠، والرعد ١٤/١٣، والإسراء ٩٧/١٧، والكهف ٢٤/١٨، والفرقان ١٧/٢٥، والشعراء ٧٨/٢٦، والنمل ٣٦/٢٧، والنمل ٣٦/٢٧، ويس ٤٧/٣٦، والصافات ٩٩/٣٧، وغافر ٣٨/٤٠، والعلق ١١/٩٦.

(٢) البقرة ١٥٩/٢.

(٣) الضحى ٣/٩٣.

(٤) البقرة ٢٤/٢.

(٥) البروج: ١٦/٨٥.

والجملة الفعلية ذات الفعل المتعدي قد يحذف منها مفعول الفعل المتعدي لمفعول واحد كما في شاهد هذا النمط، وقد يحذف المفعول الثاني للفعل المتعدي لمفعولين، كما في قوله تعالى:﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾[1]، وقد يحذف المفعول الأول ، ويبقى الثاني ظاهرًا ، كما في قوله تعالى:﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾[2]، وقد يحذف المفعولين معًا، كما في قوله تعالى:﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3].

وأشار عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) إلى أن "اعلم أن أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية، فهم يذكرونها تارة، ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها الفاعلين، من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين، إذا كان الأمر كذلك كان الفعل المتعدي كغير المتعدي مثلا، ... ومثال ذلك قول الناس: فلان يحل ويعقد، ويأمر وينهي، ويضر وينفع"[4].

يلحظ في شاهد هذا النمط السابق أن هذه الآية كانت نازلة في أهل الكتاب؛ لكونهم كتموا صفات النبي ﷺ التي يجب ألا تكتم، فقد أنزله الله هداية للعالمين، وبالهدى وهو العلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم، ويتبين به طريق أهل النعيم، من طريق أهل الجحيم، وفيه الشاهد على

---

(١) البقرة: ١٤٣/٢.

(٢) الأحقاف: ٢٨/٤٦.

(٣) الأحقاف ١٠/٤٦.

(٤) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص ١٥٤، وهمع الهوامع، السيوطي ١٦٧/١.

توضيح الله – تعالى– بأنه لم يدع "فيه موضع إشكال ولا اشتباه على أحد منهم، فعمدوا إلى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتأتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين"[1]، والحذف كان لغرض إثبات المعاني التي اشتق منها الفعل، وقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم، بأن يبينوا الناس ما منّ الله به عليهم من علم الكتاب، ولا يكتموه، فمن نبذ ذلك وجمع بين المفسدتين، كتم ما أنزل الله، والغش لعباد الله، فأولئك يبعدهم ويطردهم عن قربه ورحمته، وكل من "لعنه الله، ولعنه كل من يتأتى منه اللعن من عباده، قد بلغ من الشقاوة والخسران إلى الغاية التي لا تلحق، ولا يدرك كنهه"[2].

(١) الكشاف، الزمخشري ٢٠٩/١.

(٢) فتح القدير، الشوكاني ١٨٧/١.

النمط الرابع: [جملة فعلية: {فعل + فاعل (محذوفان) + مفعول مطلق}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم في (٣) ثلاثة مواضع[١]، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾[٢]، والتقدير: فتعسوا تعسا.

أشار النحاة إلى أن عامل المفعول المطلق قد يحذف وجوبًا أو جوازًا، ويحذف وجوبًا في المواضع عديدة منها[٣]:

١ – إذا وقع المصدر بدلا من فعله، وهو مقيس في الأمر والنهي؛ نحو: قيامًا لا قعودًا أي: قم (قيامًا) ولا تقعد (قعودًا)، والدعاء؛ نحو: سقاك الله أي: سقيًا الله.

٢ – إذا وقع المصدر بعد الاستفهام المقصود به التوبيخ؛ نحو: أتتوانى وقد علاك المشيب؟، أي: توانيًا وقد علاك.

٣ – إذا كان الفعل مقصودًا به الخبر، فيقل حذف عامل المصدر وإقامة المصدر مقامه؛ نحو: أفعل وأكرمك، أي: وأكرِمُكَ كرامةً.

٤ – إذا وقع تفصيلًا لعاقبة ما تقدمه، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾[٤]، فـ(منًّا وفداءً): مصدران منصوبان بعامل محذوف وجوبًا، والتقدير: فإما تمنون منًّا، وإما تَفْدون فداءَ.

٥ – إذا ناب المصدر عن فعل اسْتَنَد لاسم عين، أي: أُخْبِرَ به عنه، وكان المصدر مكررًا؛ نحو: (زيدٌ سيْرًا سيْرًا) والتقدير: زيد يسير سيرًا، أوكان المصدر محصورًا؛ نحو: ما زيد إلا سَيْرًا، فحذف الفعل (يسير) حذفًا واجبًا؛ لأن الحصر أفاد التأكيد القائم مقام التكرير، فإن لم يكرر ولم يحصر

---

(١) ينظر المواضع التالية: محمد ٤/٤٧، ومحمد ٤/٤٧.

(٢) محمد ٨/٤٧.

(٣) الأصول في النحو، ابن السراج ١٦٢/١، والكتاب، سيبويه ٣٣٥/١–٣٣٦، والمقتضب، المبرد ٢٢٨/٣–٢٣٠، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي ١٢٠/٢.

(٤) محمد ٤/٤٧.

لم يجب الحذف؛ نحو (زيدٌ سَيْرًا)، والتقدير: زيد يسير سيرًا، فيجوز الحذف أو الذكر للعامل الناصب للمفعول المطلق.

٦- إذا كان المصدر مؤكدًا لنفسه، أو مؤكدًا لغيره، والمؤكد لنفسه هو الذي يقع بعد جملة لا تحتمل غيره؛ نحو: له عليَّ ألف(عُرْفًا) أي: اعترافًا، فاعترافًا: مصدر منصوب بفعل محذوف وجوبًا، والتقدير: أعترف اعترافًا، ويسمى مؤكدًا لنفسه؛ لأنه مؤكد للجملة قبله، وهي نفس المصدر، ومن ثم فلا احتمال لسواه. وأما المؤكد لغيره فهو الواقع بعد جملة تحتمله وتحتمل غيره، فتصير بذكره نصا فيه؛ نحو: أنت ابني حقا، فحقًّا: مصدر منصوب بفعل محذوف وجوبًا، والتقدير: أُحُقُّهُ حقًّا وسُمِّي مؤكدًا لغيره؛ لأن الجملة قبله تصلح له ولغيره.

٧- إذا قصد بالمصدر التشبيه بعد جملة مشتملة على فاعل المصدر في المعنى، نحو: (لِزيدٍ صوتٌ صوْتَ حِمارٍ، وله بُكاء بكاء الثكلى) فـ(صوتَ حمارٍ) مصدر تشبيهي، وهو منصوب بفعل محذوف وجوبًا، والتقدير: يُصَوِّتُ صوتَ حِمارٍ، وقبله جملة وهي (لِزيد صوتٌ)، وهي مشتملة على الفاعل في المعنى، وهو(زيد) وكذلك (بُكاءَ الثكلى) منصوب بفعل محذوف وجوبًا، والتقدير: يبكي بكاء الثكلى.

يلحظ في هذا النمط أن عامل المفعول المطلق قد حذف جوازًا؛ لكون المصدر غير مؤكدٍ، وذلك لدلالة السياق عليه[١]، وكون المفعول المطلق غير مؤكد، حيث أن السياق يشير مقارنة بين جزاء المؤمنين الذين استجابوا لأمر ربهم وجزاهم الله النصر والتيسير، وبين جزاء الكافرين الذين ضلوا وأضلوا، ونصروا الباطل، فكان جزاؤهم الخذلان، فبطلت أعمالهم التي يعادون بها الحق، وبطل زعمهم من حيث هذه الأعمال التي زعموا ابتغاء مرضاة الله بها؛ لأن الكافرين الذين يكرهون ما أنزله الله، صلاحا ونجاة لعباده فسوف يعيشون أبدًا في ضلال؛ لأنهم "قد ألفوا الإهمال وإطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم"[٢]، فهؤلاء الكافرون أعمالهم مقيدة من قِبَلِ الحفظة، حيث يدون الحفظة أعمالهم التي هي ملغاة، ونالوا ثوابها في الدنيا فقط[٣]، ولكن باتباع أوامر الله ونواهيه، وباجتناب كل باطل يحظ العبد بحسن الثواب، وينال أعلى الدرجات.

---

(١) المقتضب، المبرد ٢٣٢/٣، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل ٥١١/١.

(٢) الكشاف، الزمخشري ٣١٩/٤

(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية ١١٢/٥.

النمط الخامس: [(جملة فعلية محذوفة) + مفعول لأجله]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم في (١) موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[١]، والتقدير: وأنزلناه هدى.

أشار النحاة إلى أنه يجوز أن يحذف من الكلام كل ما كان مدلولا عليه بقرينة لفظية، أو معنوية[٢]، ومما يدرك بها، المفعول لأجله إذا حذف من السياق وهو يحذف؛ قصدًا لدلالة يريدها المتكلم.

يلحظ في هذا النمط أن المفعول لأجله جاز حذفه؛ لدلالة السياق عليه، حيث إن المشركين جحدوا وحدانية الله، وأشركوا بعبادة الأوثان في الألوهية، كما أن السياق يوضح ما كانوا فيه يختلفون، ألا وهو التوحيد ، وبعث النبي ﷺ الذي بُعث رحمة، وهداية للناس؛ ولكن كان فيهم من يؤمن بالله، ومنهم جد النبي ﷺ عبد المطلب، وقد أخذ الله يثبت العبر التي تدل على أن عديد نعمه، وكل الأعمال إنما هي من الله تعالى، لا من الأصنام، التحريم والتحليل والإنكار والإقرار ما يكون إلا لقوم يسمعون، وكل هذه العبر ما تبين إلا وحدانيته المتفردة[٣]، إنما تبين العبر أن الأنبياء ما بعثوا إلا لأجل هداية الخلق، ورحمة للمؤمنين.

---

(١) النحل ٦٤/١٦.

(٢) همع الهوامع، السيوطي ١٦٨/١، شرح الكافية، الاستراباذي ١٢٩/١، وشذور الذهب، ابن هشام، ص٢١٤، وشرح التصريح، الأزهري ٣١٤/١، وحاشية الصبان، الصبان ٩٤/٢.

(٣) الكشاف، الزمخشري ٦١٤/٢.

النمط السادس: [جملة فعلية: {جملة فعلية (محذوفة) جملة فعلية تعليلية)}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم في (١) موضع واحد، وهو قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ﴾[١]، والتقدير:

وأمركم بذلك ليبلوكم.

أشار النحاة إلى أنه يحذف من الكلام جوازًا كل ما كان مدلولا عليه بقرينة لفظية أو معنوية يدرك من خلالها ما حذف من أركان الجملة[٢]، وفي هذا النمط يلحظ أن الحذف ورد في سياق الاشتراط بإذا، وذلك حال ملاقاة الكفار، فيجب أن يثخنوهم، ويكسروا شوكتهم، كما يجب الاحتياط بشد وثاق الأسرى، فيصير أمامهم خيارين: إما الافتداء بالمال، وإما الإطلاق بالمنِّ عليهم.

ويلحظ في الشاهد السابق أن عناصر الجملة الفعلية، وهي: الفعل، والفاعل، والمفعول به، معلومة سلفًا لدى كل من المتكلم والمخاطب، وقد حذفت كل عناصر الجملة؛ لكونها معلومة، حيث دل عليهما السياق الاشتراط اللغوي، وما تلاه من توجيهات ووصايا، كما يلحظ أيضًا أن هذا الحذف يطرد في سياق يكون فيه التوجيه والنصح منطقيا موضوعيا، معلوم مضمونه، ومسيطر على كل من المتكلم والمخاطب، ومن ثم كان في الحذف للمعلوم "اختصارًا مع إعطاء معنى التوكيد"[٣]، حيث لا حاجة إلى إطالة الكلام، كما يشير هذا الحذف، هذا بالإضافة إلى أن حال المتكلم والمخاطب تقتضي الإيجاز لكونها حالة قتال، وابتلاء للمؤمنين بالكافرين، وتباين فيها الفريقان، وتباعد طريقهما، كان الحق؛ نحو من "يتبع الباطل وهو حزب الشيطان؛ ونحو الآخر الذي يتبع الحق، وهو حزب الرحمن حق القتال عند التحزب، فإذا لقيتموهم

---

(١) محمد ٤/٤٧.

(٢) همع الهوامع، السيوطي، ١٦٨/١، وشرح الكافية، الاستراباذي ١٢٩/١، وشذور الذهب، ابن هشام، ص٢١٤،وشرح التصريح، الأزهري ٣١٤/١، وحاشية الصبان، الصبان ٩٤/٢.

(٣) الكشاف، الزمخشري ٣١٦/٤

فاقتلوهم"[1]، ومن القتال يتبين أحوال العباد، ويكافأ الله من قُتِلُوا في سبيل الله بالثواب الجزيل، والأجر الجميل؛ لأنهم قاتلوا من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا.

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ٣٧/٢٨.

المبحث الثالث

ظاهرة الحذف في الجملة الشرطية

في آيات الهدى والضلال

توطئـــة:

أتناول في هذا المبحث دراسة ظاهرة الحذف في الجملة الشرطية في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم، وأعني بظاهرة الحذف في تركيب الجملة الشرطية، حذف أحد العناصر المكونة للجملة الشرطية، والجملة الشرطية تقتضي وجود مجموعة من الروابط، يطلق عليها النحاة (أدوات الشرط)، وكل أداة من هذه الأدوات تقتضي "فعلين، يسمى أولهما شرطًا؛ لتعليق الحكم عليه، ويسمى ثانيهما: جوابًا؛ لأنه مرتب على الشرط"(١).

أشار بعض النحاة أن جملة الشرط وجوابها تعد "نظير المبتدأ الذي لا بد له من خبر"(٢)، على أساس أن دخول أداة الشرط "تربط كلًا من جملة الشرط والجزاء بالأخرى، حتى صارتا كالجملة الواحدة نحو المبتدأ والخبر(٣)، ومن ثم أعدَّ بعض النحاة التركيب الشرطي جملة مستقلة في تصنيف الجمل العربية، وذلك مراد هذه الدراسة.

والتركيب الشرطي يتكون من ثلاثة أركان رئيسة، ترد على الترتيب التالي داخل التركيب المكون من: (أداة الشرط+ جملة الشرط+ جملة جواب الشرط)(٤).

وورد الحذف في الجملة الشرطية في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم في ثمانية وثلاثين موضعًا، حيث إمكان وقوع عدة أوجه للحذف في عناصر بناء الجملة الشرطية؛ نحو:

- حذف فعل الشرط فقط، وهو حذف جائز لا واجب، وذلك حينما يلي أداة الشرط اسم، كما في قولهم: إن زيدٌ يأتيك يكنْ كذا، وكما في قوله تعالى:﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ

(١) شرح التصريح على التوضيح، الأزهري ٢/٤٠٠.
(٢) الأصول في النحو، ابن السراج ٢/١٥٨.
(٣) شرح المفصل، ابن يعيش ٤/٢٦٥.
(٤) شرح الكافية الشافية، ابن مالك ٢/١٤٦، وأوضح المسالك، ابن هشام ٤/٢٠٤، وشرح شذور الذهب، ابن هشام، ص١٧٩، وهمع الهوامع السيوطي ٢/٤٥٣.

ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ﴾[1].

- ذهب البصريون إلى أن الاسم المرفوع بعد (إنْ) الشرطية يعرب فاعل لفعل محذوف يفسره الفعل المذكور،أما الكوفيون ذهبوا إلى أن المرفوع بعد(إنْ) الشرطية إما يعرب فاعل للفعل المذكور، وإما مبتدأ، وما بعده خبر للمبتدأ[2]، وقد ورد مثل ذلك في آيات الهدى والضلال في قوله تعالى:﴿ يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞ﴾[3].

- حذف جملة الشرط مع الأداة[4]، وهو حذف جائز لا واجب، وذلك في التركيب: (طلب+ واو+ إلا + جملة جواب الشرط)؛ نحو: ذاكر وإلا تندم، والتقدير: ذاكر وإن لا تذاكر تندم، كذلك إن وقعت في جواب طلب، وذلك كقولك: ائتني أكرمك، فإنما المعنى: ائتني فإن تأتني أكرمك؛ لأن الإكرام إنما يجب بالإتيان، وهو مذهب سيبويه، أو أن الجازم هو الطلب نفسه، وهو مذهب الخليل.
- حذف جملة جواب الشرط[5]، ويرى النحاة جواز حذف جملة جواب الشرط، أما الحذف الواجب فله مواضع، منها: إذا كان الدال عليه ما تقدم مما هو جواب في المعنى، وهو مذهب البصريين، بينما يرى الكوفيون أنه الجواب نفسه[6].

---

(١) التوبة: ٦.

(٢) الكتاب، سيبويه ٣/١١٣-١١٤، ومعاني القرآن، الفراء ١/٤٢٢، والإنصاف، ابن الأنباري ٢/٦١٥-٦٢٠، وشرح الكافيه، الاستراباذي ٢/٢٥٥، وشرح التصريح، الأزهري ١/٢٧٠، وحاشية الصبان، الصبان ٤/٢٧.

(٣) النساء: ١٧٦.

(٤) الكتاب، سيبويه ٣/١١٣، وشرح الكافية، الاستراباذي ٣/٢٥٣، ومغني اللبيب، ابن هشام ٢/١٧٥، وشرح التصريح،الأزهري ٢/٢٥٢، ٢/٤١٠، وحاشية الصبان، الصبان ٤/٣٩ .

(٥) ينظر: المقتضب، المبرد ٢/٨١، وشرح المفصل، ابن يعيش ٩/٧-٩، وابن هشام، مغني اللبيب ٢/١٧٥، وابن هشام، شذور الذهب، ص٣٤٧، والأزهري، شرح التصريح ٢/٢٥٢-٢٥٣.

(٦) أوضح المسالك، ابن هشام ٤/٢١٧، وشرح شذور الذهب، ابن هشام، ص١٨٣، وشرح التصريح، الأزهري ٢/٤١١، وهمع الهوامع، السيوطي ٢/٤٦٣، وحاشية الصبان، الصبان ٤/٢٣.

- وقد قسم النحاة الحذف إلى: حذف جائز، وحذف واجب، أما الحذف الواجب فيرد في المواضع التالية:

١- إذا كان الدال عليه ما تقدم مما هو جواب في المعنى؛ نحو: أنت ظالم إن فعلت، ولم يرد مثل ذلك في آيات الهدى والضلال.

٢- إذا كان الدال على الجواب ما تأخر من جواب قسم سابق على الشرط؛ نحو قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[١]، وورد مثل ذلك في آيات الهدى والضلال؛ نحو قوله تعالى:﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[٢].

- حذف جملتي الشرط والجواب معًا، والإبقاء على الأداة، وهو حذف جائز لا واجب[٣].
- حذف الرابط بين فعل الشرط وجوابه[٤]، أو حذف اللام[٥].

وباستقراء مواضع الحذف في الجملة الشرطية في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم، ورد الحذف في الجملة الشرطية في سبعة وعشرين موضعًا، أتناولها في الأنماط التالية:

---

(١) الإسراء: ٨٨.

(٢) المائدة: ١٢.

(٣) شرح التصريح، الأزهري ٤١١/٢، وهمع الهوامع، السيوطي ٤٦٤/٢.

(٤) الكتاب، سيبويه ٣/ ٦٤-٦٥، وشرح المفصل، ابن يعيش ١٥٨/٨، وشرح الكافية، الاستراباذي ٢٦٣/٢، ومغني اللبيب، ابن هشام ١٧٠/٢، وشرح التصريح، الأزهري ٢٥٠/٢.

(٥) شرح المفصل، ابن يعيش ٣/٩، ومغني اللبيب، ابن هشام ١٧٤/٢، وشرح التصريح، الأزهري ٢٦٠/٢.

النمط الأول: [جملة شرطية: {أداة الشرط+ فعل الشرط(محذوفان)+ جملة جواب الشرط}]

ورد حذف جملة الشرط في آيات الهدى والضلال في (١٦) ستة عشر موضعًا[١]، يمثل ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٢]، والتقدير: إن أردتم الفوز فآمنوا.

أشار النحاة إلى أنه يجوز حذف أداة الشرط، وفعل الشرط من بنية الجملة الشرطية[٣]، حيث أن المحذوف معلوم لدى كل من المتكلم والمخاطب؛ لأن السياق سياق توكيد على أن النبي ﷺ بعث إلى الناس كافة، ويجب الإيمان بالله وبرسوله.

وفي الآية الكريمة دلالة –أيضًا– على وجوب العلم بأن"الإيمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته"[٤]، فقد كان من يقول: إنه كان مبعوثًا إلى العربي فقط، لا إلى بني إسرائيل، حيث قالت طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية، وهم أتباع سيدنا عيسى الأصفهاني: "إن محمدا رسول صادق مبعوث إلى العرب، وغير مبعوث إلى بني إسرائيل"[٥]، ولكن الآية بها جواب دال على بطلان قولهم، حيث أن الخطاب يتناول كل الناس، والله تعالى لما أمر رسوله بأن يوضح للناس بأنه رسول الله، أعطاه ما يدل على صدق دعواه، وهي لا تتم إلا بإثبات أن الكون له إله

---

(١) ينظر المواضع التالية: البقرة ١٣٥/٢، والبقرة ٢٥٨/٢، والأنعام ١٤٩/٦، والأعراف ٥٣/٧، والأعراف ١٥٨/٧، والنحل ٣٦/١٥، والحج ٦٧/٢٢، والقصص ٥١/٢٨، والقصص ٥١/٢٨، وفاطر ٨/٣٥، و ص ٢٢/٣٨، وص ٢٢/٣٨، وغافر ٣٨/٤٠، وغافر ٥٠/٤٠، وفصلت ٢٩/٤١.

(٢) الأعراف ١٥٨/٧.

(٣) المقتضب، المبرد ٨٠/٢، شرح التصريح، الأزهري ٤١٠/٢، وشرح المفصل، ابن يعيش ٢٧٣/٤، وشرح شذور الذهب، ابن هشام، ص ١٨٤.

(٤) الكشاف، الزمخشري ١٦٧/٢.

(٥) مفاتيح الغيب، الرازي ٣٨٣/١٥.

حي واحد عالم قادر على كل شيء، ليس له شريك ولا ضد ولا ند، فهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، وهو القادر على حشر العباد وإقامة النشر والبعث والقيامة، حتى يشتغل الناس بالطاعة احترازًا عن المعصية والضلال، حيث أن"من ملك السموات والأرض وما فيهما هو الإله على الحقيقة، وهكذا من كان يحيي ويميت هو المستحق لتفرده بالربوبية ونفي الشركاء عنه"[1]، واتباع النبي ﷺ فيه الهداية والخلاص في الدنيا والآخرة.

(١) فتح القدير، الشوكاني ٢/٢٩٠.

النمط الثاني: [جملة شرطية: {أداة الشرط+ فعل الشرط+ جملة جواب الشرط (محذوفة)}]

ورد حذف جملة الشرط في آيات الهدى والضلال في (٢٠) عشرين موضعًا[١]، يمثل ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، والتقدير: من كان عدوا لجبريل فليمت غيظًا.

أشار النحاة إلى أن بناء الجملة يتكون من ثلاثة عناصر رئيسة، أداة الشرط وجملة الشرط، وجملة جواب الشرط[٣]، وإذا حذف أحد هذه يجب تقديره لاستكمال عناصر بناء الجملة الشرطية، وجملة جواب الشرط أكثر عناصر التركيب الشرطي تعرضا للحذف.

وعلماء النحو ناقشوا قضية حذف جملة جواب الشرط؛ فرأوا أن ذلك "تفعله العرب في كل موضع يعرف فيه معنى الجواب"[٤]، وهذا ما تناوله متأخرو النحاة وقسموه قسمين:

الأول: حذف واجب كما ذكر سابقا في هذه الدراسة[٥].

الثاني: حذف جائز[٦]، والحذف الجائز هو ما تعنيه هذه الدراسة، وهو يرد في المواضع التالية:

---

(١) ينظر المواضع التالية: البقرة ٩٧/٢، والبقرة ١٧٠/٢، والنساء ١١٣/٤، والنساء ١٧٦/٤، والمائدة ١٢/٥، والمائدة ١٠٥/٥، والأنعام ٣٥/٦، والأنعام ٧٧/٦، والأعراف ٤٣/٧، والأعراف ١٤٩/٧، والرعد ٣١/١٣، والنور ٣٤/٢٤، والقصص ٤٩/٢٨، والسجدة ١٠/٣٢، والأحزاب ٣٦/٣٣، وفصلت ٥٢/٤١، والزخرف ٢٤/٤٣، والأحقاف ١٠/٤٦، والحجرات ١٧/٤٩، والممتحنة ١/٦٠.

(٢) البقرة ٩٧/٢.

(٣) شرح المفصل، ابن يعيش ١٥٥/٨، وشرح الكافية، ابن مالك ٢٥٢/٢-٢٥٣.

(٤) معاني القرآن، الفراء ٣٣١/١، والمقتضب، المبرد ٨١/٢.

(٥) مواضع الحذف الواجب، ص١٠٨.

(٦) شرح المفصل، ابن يعيش ٧/٩، وشرح الكافية، الاستراباذي ٢٥٨/٢-٢٦٠، والتسهيل، ابن مالك، ص٢٣٩، مغني اللبيب، ابن هشام ١٧٥/٢، وشرح التصريح، الأزهري ٢٥٢/٢-٢٥٤، وهمع الهوامع، السيوطي ٦٢/٢،

١-إذا كان الكلام دالا عليه، كما في قوله تعالى:﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾[١]، والتقدير: فإن استطعت أن تبتغي نفقًا ... فافعل.

٢-إذا كان المذكور بعد جملة الشرط ليس مسببا عن الشرط.

٣-إذا اجتمع قسم وشرط وتقدم عليهما طالب خبر؛ نحو: زيد والله إنْ يقم أقم.

واشترط النحاة لحذف فعل جواب الشرط جوازًا، أو وجوبًا أن يكون ذلك في غير الضرورة، مضي الشرط لفظًا أو معنى.

يلحظ في هذا النمط أن حذف جواب الشرط ارتبط، بدلالة ما سبق عليه، ففي الشاهد السابق يلحظ أن حذف الجواب ورد في سياق فعل من أقبح أفعال اليهود ومنكرات أقوالهم، ألا وهو حِجاج عبد الله ابن صوريا، وهو من أحبار قرية فدك[٢]، أنه قد حاجَّ النبي ﷺ وسأله النبي عمن يهبط عليه بالوحي، فلما علم أنه جبريل، قال هذا عدونا، وعلل بالباطل بأن جبريل قد أمره الله أن يجعل النبوة فيهم فجعلها في غيرهم[٣]، وسر هذه العداوة أن جبريل υ يطلعك على أسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب[٤]، ولو كان غيره لآمنا بك، وذلك الاستفهام دالٌّ على الجواب المحذوف، وهو (فليمت أعداء جبريل غيظًا)؛ لأنه أمين الوحي الذي أنزل الله الوحي على قلب النبي عن طريقه، وقد خص الله القلب بالذكر؛ لأن "الذي نزل به ثبت في قلبه حفظا حتى أداه إلى أمته، فلما كان سبب تمكنه من الأداء ثباته في قلبه حفظا جاز أن يقال: نزله على قلبك وإن كان في الحقيقة نزله عليه لا على قلبه، فالقلب موضع العقل والعلم"[٥]، وبذلك يستدل على شرف جبريل أن يختص بتبليغ الوحي، وفي ذلك لا وجه لمعاداة اليهود له.

---

(١) الأنعام: ٣٦.

(٢) فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، أفاءها الله على رسوله ﷺ في سنة سبع صلحا، ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، ٢٣٨/٤.

(٣) الكشاف، الزمخشري ١٦٩/١.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي ٦١١/٣.

(٥) مفاتيح الغيب، الرازي ٦١١/٣، وفتح القدير، الشوكاني ١٣٦/١.

وفي قوله تعالى:﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[1]، والتقدير: لولا أن هدانا الله ما اهتدينا.

إن محاولة الوصول إلى البعد الدلالي لحذف جواب الشرط في مواضع هذا النمط لتشير إلى القصد لتحقيق بعض الأغراض البلاغية التي يسعى إليها، **من ذلك:**

٤- توضيح بعض السمات الشخصية للمتكلم.

٥- الاحتراز من اللبس في الفهم.

٦- تكثير الفائدة باحتمال وجود أكثر من محذوف.

٧- خوف المتحدث وعدم قدرته على إكمال الحديث.

٨- تكثيف الحوار.

وتتعدد الأغراض البلاغية للحذف في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم، ويبقى الغرض الرئيسي للحذف، وهو الإيجاز، والاختصار؛ لترسيخ مراد في ذهن السامع؛ كي يدركه جيدًا، ويقوم بما يلزم نحو ذلك المراد.

---

(١) الأعراف: ٤٣.

الفصل الثالث

ظاهرة الزيادة في آيات الهدى والضلال

في القرآن الكريم

توطئـــة:

يتناول هذا الفصل ظاهرة (الزيادة) في آيات الهدى والضلال دراسة نحوية دلالية، وذلك على قسمين، يتناول القسم الأول منهما (الزيادة) بمعناها اللغوي، ويتناول القسم الثاني (الزيادة) اصطلاحا.

وردت لفظة (الزيادة) في معاجم اللغة العربية بمعانٍ عديدة، تدور حول عدة مصطلحات أهمها: النُّمو، حيث إن "الزيادة: هي النُّمو، وكذلك الزُّوادة، والزيادة خلاف النقصان"[١]، ومنها الزَّائد: "زاد الشيء (يزيدُ) (زيدًا) و(زيادةً) فهو زائدٌ"[٢]، ومنها الزَّكاء: "(والزيادة)، بالكسر (والمزيد)، والمزاد، (والزَّيدان)، بفتح فسكون، كل ذلك ورد بمعنى: النمو والزكاء"[٣].

وبين (الزيادة) و(النمو) يوجد فارق دلالي كما ذكر الإمام أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ): "نما الشيء يفيد زيادة من نفسه، وقولك: زاد لا يفيد ذلك ألا ترى أنه يقال: زاد مال فلان بما ورثه عن والده، ولا يقال: نما ماله بما ورثه، وإنما يقال نمت الماشية بتناسلها، والنماء في الذهب والورق مستعار وفي الماشية حقيقة، ومن ثم سمي الشجر والنبات النامي، ومنه يقال: نما الخِضَابُ في اليد، والحبر في الكتاب"[٤]، ومن ثم فالنمو هو: زيادة الشيء بذاته من داخل نفسه، كنمو الإنسان والحيوان وغير ذلك، أما الزيادة: فتكون من خارج الشيء بإضافة شيء آخر عليه، بحيث يكون من جنسه بمقدار معين.

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (ز ي د).

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، الفيومي، مادة (ز ي د).

(٣) تاج العروس، الزبيدي، مادة (ز ي د).

(٤) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، حققه وعلق عليه محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة لنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ص١٨٠.

تعددت المصطلحات النحوية التي تناولت مفهوم الزيادة ، فقد سميت الزيادة إقحامًا وحشوًا[١]، كما سميت لغوًا وتوكيدًا[٢]، وسميت أيضًا بالزيادة[٣]، وأطلق عليها الإلغاء[٤]، والاتكاء[٥]، أما أنواع الزيادات التي تدخل على الجمل فقد ذكر النحاة زيادة الأسماء أو الأفعال أو الحروف[٦].

وترد (الزيادة) على ثلاثة أضرب: اثنان منها مذمومان، وواحد محمود: فأحد المذمومَين هو إدخالك في الكلام لفظًا لو أسقطته منه ؛ لكان الكلام تاما، والضرب الآخر العبارة عن المعنى بكلام طويل لا فائدة في طوله ويمكن أن يعبَّر عنه بأقصر منه، أما الضرب المحمود فهو الحشو المليح الذي يضيف فائدة جديدة[٧].

وتظهر وظيفة الزيادات في الجمل من خلال ما اتفق عليه النحاة والبلاغيون من إفادتها للفظ فصاحةً وحسنًا والمعنى توكيدًا أو تمييزًا لمدلوله عن غيره[٨]، فهي زيادة تنقل الكلمة من معناها الأصلي إلى معنى مجازي لا يتأتى إلا بهذه الزيادة[٩].

ورغم تعدد مصطلحات الزيادة إلا أن مؤداها واحد، وقد استخدمتُ مصطلح (الزيادة) لكونه الأشهر استخدامًا، وأعني بـ(الزيادة) النحوية في هذه الدراسة، دراسة كل ما يزاد على العناصر الأساسية

---

(١) الجمل في النحو، المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: الدكتور فخرالدين قباوة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، ص٢٨٨. والصاحبي، ابن فارس، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ص٨٠، والصناعتين، أبو هلال العسكري، ص٤٨-٤٩.

(٢) الكتاب، سيبويه ١٤٠/٣.

(٣) المرجع نفسه: ٢٢١/٤.

(٤) المقتضب، المبرد ١٣٧/٤.

(٥) العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده،ابن رشيق القيرواني، تح: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، ٦٩/٢.

(٦) الصاحبي، ابن فارس، ص٢١٢، والنحو الشافي، محمود حسني مغالسة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ص٥٦٠.

(٧) الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص٤٨-٤٩.

(٨) بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تح: حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ٣٠٥/٢.

(٩) الإيضاح، الخطيب القزويني، شرح د. محمد عبدالمنعم خفاجي، الطبعة الثالثة، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٩٣م، ص٢٤١.

المكونة للجملة ، المسند والمسند إليه، ودراسة ما ينتج عنها من أغراض ومعانٍ، ودلالات، وهذا ما يتفق والضرب المحمود الذي أشرتُ إليه سالفًا.

وقد وردت ظاهرة الزيادة في آيات الهدى والضلال في مائتين وستة عشر موضعًا، أمكن تصنيفهم في المباحث والأنماط التالية:

المبحث الأول

ظاهرة الزيادة في الجملة الاسمية

في آيات الهدى والضلال

الزيادة في الجملة الاسمية:

وردت الزيادة في الجملة الاسمية في آيات الهدى والضلال في (٨٦) ستة وثمانين موضعًا، أمكن تصنيفها في الأنماط التالية:

النمط الأول: [جملة اسمية: {حرف نفي (زائد) + مبتدأ + أداة استثناء (إلا) (زائدة) + خبر المبتدأ}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (٩) تسعة مواضع[١]، ويمثل ذلك قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾[٢].

تناول النحاة الاستثناء بالدراسة والتحليل، وهو عندهم على وجوه منها: أن يكون الكلام محمولًا على ما كان عليه قبل دخول الاستثناء، وهذا هو المعني في هذا النمط؛ نحو: ما جاءني إلا زيد، وما ضربتُ إلا زيدًا، وما مررت إلا بزيدٍ، فإنما يجري هذا على قولك: جاءني زيدٌ، ورأيتُ زيدًا، ومررتُ بزيدٍ، أي: لم يذكر مستثنى منه في الجملة، وتقدمت أداة النفي أو ما فيه معنى النفي فيكون حينها مفرغًا، حيث يحتاج ما قبل الأداة إلى ما بعدها، ويكون على حسب ما يقتضيه العامل قبل (إلا) من مرفوع أو منصوب أو مجرور، ويعرب الاسم الواقع بعد الأداة حسب موقعه في الجملة[٣].

يلحظ في الشاهد السابق أن اسم الإشارة (أُولَئِكَ) يعود على ما ذكره الله تعالى من الأنبياء والرسل وما أنعم به عليهم من نعم، وفي الآية مسائل عديدة، وآراء مختلفة في الاقتداء، نخلص منها إلى أمر الله للنبي – صلى الله عليه وسلم– بالامتثال للرسل من قبله، فإن "قومهم قد كذبوهم فصبروا على ما كذبوا

---

(١) ينظر المواضع التالية بالقرآن الكريم:الأعراف ١٥٨/٧، الفرقان ٤٤/٢٥، يس ٤٧/٣٦، غافر ٥٠/٤٠،النجم ٢٣/٥٣،النجم ٢٣/٥٣، الملك ٩/٦٧، المدثر ٣١/٧٤.

(٢) الأنعام ٩٠/٦.

(٣) الكتاب، سيبويه ٣١٠/٢، والمقتضب، المبرد ٣٨٩/٤، وأوضح المسالك، ابن هشام، وشرح التصريح، الأزهري ٢٥٣/٥٣٧،٢/١.

وَأُوذُوا، فاقْتَدِ بِهِمْ"[1]، وبالفعل اجتمع فيه ﷺ سمات وفضائل فاق بها سائر الخلق، فهو أفضل الرسل كلهم.

واختلفت الآراء حول وجوب الامتثال لنفس الأدلة التي استدل بها الرسل والأنبياء السابقين في مواجهة قومهم، ودعوتهم، ولكن النبي ﷺ "لَوْ كَانَ مَأْمُورًا بِأَنْ يَسْتَدِلَّ بِالدَّلِيلِ الَّذِي اسْتَدَلَّ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ الْمُتَقَدِّمُونَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُتَابَعَةً؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا اسْتَدَلُّوا بِحُدُوثِ الْعَالَمِ عَلَى وُجُودِ"[2]، وقد ذكرت حرف النفي (إِنْ) وأداة الاستثناء(إِلَّا) لكن تلك الأدلة وما ذكر من نعم على هؤلاء الرسل فيها زيادة تخصيص وتوكيد على كونها ذكرى تنفع كل المؤمنين تلزم سائر الخلق من بعده ﷺ بالامتثال، والاقتداء، وأخذ العبر من سائر الأنبياء؛ لما في ذلك من نجاة، وسعادة في الدنيا والآخرة.

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/٢٧٠، وينظر:الكشاف، الزمخشري ٢/٤٣.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ١٣/٥٦.

النمط الثاني: [جملة اسمية: {حرف نفي + فعل ناسخ + خبر الفعل الناسخ (جار ومجرور) + حرف جر (زائد) + اسم الفعل الناسخ}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (١) موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾[١].

تدخل كان وأخواتها تدخل على الجملة الاسمية، وهي أفعال ترفع المبتدأ (المسند إليه) ويصير اسمًا لها، وتنصب الخبر (المسند) وحقَّه الرفع، ويصير خبرًا لها، وهي ثلاثة عشر فعلًا تؤدي هذا الأثر الإعرابي: (كان، أصبح، أضحى، ظل، أمسى، بات، صار، ليس، ما زال، ما برح، مافتيء، ما انفك، ما دام)[٢].

يلحظ في الشاهد السابق تقدم النفي على الفعل الناسخ، وزيادة حرف الجر (من) قبل المبتدأ، وفي ذلك توكيد على أن الكفار سوف يقفون يوم القيامة "خاشِعِينَ متضائلين متقاصرين مما يلحقهم مِنَ الذُّلِّ وقد يعلق من الذل بينظرون"[٣]، وكان هؤلاء الكفار يمنون أنفسهم بنصرة أوليائهم لهم، ولكن في يوم القيامة يتبين لهم أن السبل تقطعت بهم ، ولم يدفع عنهم أولياؤهم من العذاب شيئا؛ ففي هذا "إنحاء على الأصنام والأوثان التي أظهر الكفار ولايتها واعتقدت ذلك دينا"[٤]، وفي ذلك توكيد على أنه لا سبيل لهدايتهم أبدًا؛ لأنهم قد ضلوا، وزعموا في شركائهم النفع ودفع الضر؛ ومن ثم فلا سبيل لهدايتهم.

---

(١) الشورى ٤٢/٤٦.

(٢) المقتضب، المبرد ٤/٩٨، والأصول، ابن السراج ١/٨٢، وشرح المفصل، ابن يعيش ٤/٣٣٥، وأوضح المسالك، ابن هشام ١/٢٣١-٢٣٧، وشرح التصريح، الأزهري ١/٢٣٣، وهمع الهوامع، السيوطي ١/٣٥٢.

(٣) الكشاف، الزمخشري ٤/٢٣١.

(٤) المحرر الوجيز، ابن عطية ٥/٤٢.

النمط الثالث: [جملة اسمية: {ليس(نافية ناسخة)+ اسمها(مستتر)+ حرف جر(زائد)+ خبرها}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم في (١) موضع واحد، وهو قوله تعالى:

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[١].

أشار النحاة إلى جواز زيادة الباء في خبر(ليس) الناسخة غير الاستثنائية[٢]، وأن زيادتها ترد في الجملة لـ"رفع توهم الإثبات عند البصريين، فإن السامع قد لا يسمع أول الكلام، وعند الكوفيين لتأكيد النفي، قالوا: ليس زيد بقائم، رد لـ: إن زيدًا لقائم، فـ(الباء) بمنزلة (اللام)"[٣].

ويلحظ في هذا النمط زيادة التأكيد بحرف الجر الزائد(الباء) في خبر ليس ، حيث أن الله–تعالى–لا يخفى عنه شيء، ولا يهرب منه مخلوق، كما أنه ليس هناك ضلال أبلغ من ضلال من دعته الرسل إلى الهدى، ورأى الآيات البينات على صدقهم ولم يؤمن بها إلا أن المنكر الجاحد فيُعرِض ويستكبر.

وورد صاحب المحرر الوجيز أنه يحتمل في الشاهد السابق "أن يكون كلام المنذرين، ويحتمل أن يكون من كلام الله تعالى لسيدنا محمد ﷺ والمراد بها إسماع الكفار وتعلق اللفظ إلى هذا المعنى من قول الجن[٤].

---

(١) الأحقاف ٣٢/٤٦.

(٢) رصف المباني، المالقي، تح: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ص١٤٨، والجنى الداني، المرادي، ص٥٣–٥٤، ومغني اللبيب، ابن هشام ١٠٢/١، وشرح التصريح، الأزهري ٢٠١/١، ومقال: الوسائل اللغوية للتوكيد عند طه حسين، د. محمد عبد الوهاب شحاته، ص١٠٢.

(٣) شرح التصريح، الأزهري ٢٠١/١.

(٤) المحرر الوجيز، ابن عطية، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ١٠٦/٥.

وفي ذلك زيادة توكيد على الترهيب الشديد لمن لا يجب داعي الله، فضلالهم واضح، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تدلل على أن الكل سيبعث يوم القيامة، ويستحيل حينها أي يقوم أي: ضال بـ"نَجَاتِهِ بِنَفْسِهِ اسْتِحَالَةَ نَجَاتِهِ بِوَاسِطَةِ غَيْرِهِ"[1].

(١) فتح القدير، الشوكاني ٣٢/٥.

النمط الرابع: [جملة اسمية: {حرف ناسخ+ اسمه+ خبره}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم في (٤٠) أربعين موضعًا[١]، يمثلها قوله تعالى:﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾[٢].

إن نظرية العمل النحوي حول دخول (إنَّ) على الجملة الاسمية، ذكرها كثير من النحاة، فقد درسها سيبويه (ت١٨٠هـ) في باب بعنوان: "هذا باب الحروف الخمسة التي تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده"[٣]، وهذا ما ركز عليه النحاة بعد ذلك بشكل أساسي[٤].

هذا بالإضافة إلى ما أشاروا إليه من بعض القيم الدلالية التي تؤديها هذه الحروف ضمن مناقشتهم لمعاني هذه الأدوات، فقد أشار سيبويه إلى أنَّ الحرف الناسخ (إنَّ)"توكيدا لقوله: زيد منطلق،

---

(١) ينظر المواضع التالية: الأعراف ٦٠/٧، والتوبة ٨٠/٩، ويوسف ٨/١٢، ويونس ٤٥/١٠، ويوسف ٣٠/١٢، ويوسف ٩٥/١٢، وطه ١٠/٢٠، وطه ٨٢/٢٠، وطه ١٢٨/٢٠، والشعراء ٨٦/٢٦، والنمل ٧٧/٢٧، والقصص ٨٥/٢٨، والعنكبوت ٦٩/٢٩، والسجدة ١٠/٣٢، والسجدة ٢٦/٣٢، وسبأ ٢٤/٣٤، ويس ٢٤/٣٦، والصافات ٦٩/٣٧، و ص ٢٦/٣٨، والشورى ١٨/٤٢، والشورى ٥٢/٤٢، والزخرف ٢٢/٤٣، والزخرف ٢٢/٤٣، والزخرف ٢٦/٤٣-٢٧، والزخرف ٣٧/٤٣، والزخرف ٤٩/٤٣، والأحقاف ١٠/٤٦، ومحمد ٣٢/٤٧، والصف ٥/٦١، والجمعة ٢/٦٢، والجمعة ٦/٦٢، والتغابن ٦/٦٤، والملك ٩/٦٧، والقلم ٧/٦٨، والقلم ٢٥/٦٨، والجن ١٣/٧٢، والإنسان ٣/٧٦، والمطففين ٣٢/٨٣، والليل ١٢/٩٢.

(٢) الأنعام ١١٩/٦.

(٣) الكتاب، سيبويه ١٣١/٢.

(٤) المقتضب، المبرد ٣٤٠/٢-٣٦٠، والأصول في النحو، ابن السراج ٢٦٢/١-٢٦٩، والجمل، الزجاجي، ص٥١-٥٦، وشرح المفصل، ابن يعيش ١٠١/١-١٠٥، والتسهيل، ابن مالك، ص٦١-٦٦، وشرح الكافية، الاستراباذي ٢٥٥/١، و شرح التصريح، الأزهري ٢١٠/١-٢١٤، وهمع الهوامع، السيوطي ١٣٢/١-١٣٤، وحاشية الصبان، الصبان ٢٦٩/١-٢٩٤.

وإذا خففت فهي كذلك، تؤكد ما يتكلم به، وليثبت الكلام"[١]، وهذا ما يطرد بعد ذلك لدى النحاة قدماء ومحدثين[٢].

ويدرك من تحليل قول سيبويه السابق إلى أن أصل جملة: (إنَّ زيدًا منطلق)، (زيد منطلق)، وهي جملة اسمية بسيطة وسعت بإدخال (إنَّ) كمورفيم حرفي مقيد[٣]، ودخول (إنَّ) قد غير الحركة الإعرابية للمبتدأ، وهذا التغير ليس له أثر يذكر في المستوى الدلالي للجملة، فقد أجاز النحاة الرفع في المعطوف على اسمها إذا كان بعد الخبر ، كما في قراءة من قرأ (رسوله) بالضم في قوله تعالى:﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة:٣][٤]، وإنما ذلك "لكوونها مع اسمها في موضع مبتدأ؛ إذ لم يتغير معناه، وإنما كانت ناصبة، فإذا قال القائل: إنَّ زيدًا قائم وعمرو، فهو في تقدير: زيد قائم وعمرو"[٥]، وأما الرفع قبل تمام الخبر ففيه خلاف بين البصريين والكوفيين[٦].

---

(١) الكتاب، سيبويه ٢/٢٣٣.

(٢) الجمل، الزجاجي، ص٥١، وشرح المفصل، ابن يعيش ١/١٠٢، والتسهيل، ابن مالك، ص٦١، وهمع الهوامع، السيوطي ١/١٣٢، و في نحو اللغة وتراكيبها منج وتطبيق دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر،د.خليل عمايرة، الناشر: عالم المعرفة، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٤- ١٩٨٤م، ص١٠٣، والتراكيب اللغوية في العربية، د.هادي نهر، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٩٢م، ص١٣١، ونظام الجملة في شعر المعلقات، د. محمود أحمد نحلة، ص١٢٠-١٢١، ومقال: الوسائل اللغوية للتوكيد عند طه حسين، ص١٣٢-١٣٣.

(٣) مقال: أنواع المورفيم في العربية،د.محمد عبد الوهاب شحاتة، مجلة علوم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مج١،ع١،١٩٩٨م، ص٢٥٨.

(٤) قرأ الحسن بكسر همزة (إنَّ) على إضمار القول، أو لأن الأذان في معنى القول، وقراءة الرفع في (رسوله) عطف على محل (إنَّ) المكسورة واسمها، أو على المضمر في (بريء)، أو على الابتداء والخبر محذوف، أما قراءة النصب فعطف على اسم (إنَّ)، وفي الشواذ قراءة بالخفض في (رسوله) على القسم، أي: وحق رسوله.

(٥) رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي، ص١٢٢.

(٦) الإنصاف في مسائل الخلاف، ابن الأنباري ١/١٨٥-١٩٥، مسألة (٢٣).

وقولهم: إنَّ زيدًا لقائم، جواب لقولهم: ما زيد بقائم، فـ(إنَّ) جواب (ما)، و(اللام) جواب (الباء)[1]، وبذلك تصبح (إنَّ) جوابًا على إنكار منكر، وبذلك يلحظ أن (إنَّ) حولت الجملة إلى خبرية يسمعها شخص متردد في أن يقبل الخبر.

يلحظ في شاهد هذا النمط أن دخول الحرف الناسخ (إنَّ) على الجملة الاسمية له تأثير دلالي في التركيب، ففي الشاهد الأول يلحظ أن ورود الحرف الناسخ (إنَّ) لصدر الجملة فيه زيادة توكيد على أن الله –تعالى– قد فصَّل لعباده ما حرم عليهم من الأشياء، وما هو حلال، كل دون شبهة أو إشكال، فالأصل في الأشياء الإباحة، فما سكت الله عنه فهو حلال، ولم يترك الشرع شيئًا دون لبس أو شك، وكل ما اضطررتم إلى أكله فهو حلال، وأما الضالون فهم يحرمون ويحللون بأهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة[2].

(١) مقال:أنواع المورفيم في العربية، د.محمد عبد الوهاب شحاتة، مج١،ع١٩٩٨م، ص ٢٥٨.

(٢) الكشاف، الزمخشري ٦١/٢، والمحرر الوجيز، ابن عطية ٣٣٨/٢، و مفاتيح الغيب، الرازي ١٢٩/١٣، وفتح القدير، الشوكاني ١٧٨/٢.

النمط الخامس: [جملة اسمية: {(إنَّ) + اسمها + لازم مزحلقة + خبرها}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم في (٢٦) ستة وعشرين موضعًا[١]، يمثلها قوله تعالى:﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾[٢].

لام الابتداء هي حرف مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، وهي تدخل على المبتدأ ولكنها قد تزحلق إلى الخبر، وأشار النحاة إليها بقولهم: "وأما اللام غير العاملة فسبع، إحداها: لام الابتداء"[٣]، ومن ثم ندرك أنها تكون زائدة إذا دخلت على المبتدأ، فزيادتها للتوكيد، ولذلك تزحلق عن صدر الجملة كراهية اجتماع أكثر من مؤكد، ومن ذلك قوله تعالى:﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٤].

يلحظ في الشاهد السابق أن الله –تعالى– قد أمر المسلمين بأكل ما ذكر اسم الله عليه، كما فصل لعباده ما حرم عليهم، وأن الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يحرم الشرع الشيء، وقد يضطر

---

(١) ينظر المواضع التالية: الأعراف ٦٠/٧، ويوسف ٨/١٢، ويوسف٣٠/١٢، ويوسف ٣٠/١٢، ويوسف ٩٥/١٢، وطه ٨٢/٢٠، وطه ١٢٨/٢٠، والنمل ٧٧/٢٧، و القصص٨٥/٢٨، و العنكبوت ٦٩/٢٩، والسجدة١٠/٣٢، والسجدة ٢٦/٣٢، وسبأ ٢٤/٣٤، ويس ٢٤/٣٦، والشورى ١٨/٤٢، والشورى ٥٢/٤٢، والزخرف ٢٦/٤٣-٢٧، والزخرف ٣٧/٤٣، والزخرف ٤٩/٤٣،والقمر ٤٢/٥٤، والجمعة ٢/٦٢، والقلم ٢٥/٦٨، والجن ١٣/٧٢، والمطففين ٣٢/٨٣، والليل ١٢/٩٢.

(٢) الأنعام١١٩/٦.

(٣) المقتضب، المبرد ٣٤٣/٢، والأصول في النحو، ابن السراج ٢٣٤/٢، وسر صناعة الإعراب، ابن جني، ص٣٦٩، ورصف المباني، المالقي، ص٢٣١، والجنى الداني، المرادي ص١٢٤، ومغني اللبيب، ابن هشام ٢٣٩/٣.

(٤) الأعراف: ١٦٧.

الإنسان أكل ما حرم الله، ولكن ذلك في حال الضرورة، لا اتباع الهوى والضلال، فإن أصحاب ذلك الاتباع "يضلون فيحرمون ويحللون بأهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة"[١].

وفي الآية مؤكدين، الأول:(إنَّ)، والثاني:(اللام المزحلقة)، وهما يؤكدان تحذير الله –تعالى– من ضلال متبعي الهوى، وللضالين علامات يعرفون بها وهى– كما وصفهم الله لعباده أن دعوتهم لكونها على باطل، لا برهان عليها، بل يتبعون أهوائهم الفاسدة، وذلك كما بيَّن الله –تعالى– أن ضلالهم "على أقبح الوجوه وأنه بالهوى لا بالنظر والتأمل"[٢].

فهم معتدون على شرع الله وعلى عباد الله، والله لا يحب المعتدين، هذا بخلاف من اتبع الهدى، ودعوا إلى الحق والرشاد بأدلة وحجج شرعية دامغة الله.

(١) الكشاف، الزمخشري ٦١/٢.

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية ٣٣٩/٢، وفتح القدير، الشوكاني ١٧٨/٢.

النمط السادس: حرف التنبيه (ألا) في الجملة الاسمية:
وورد على صورتين:

ورد هذا النمط في موضعين، وذلك على صورتين كما يلي:

الصورة الأولى: [جملة اسمية: {ألا + خبر مقدم + مبتدأ مؤخر}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (١) موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾[١].

أشار ابن هشام (ت٧٦٢هـ) إلى أن ذكر الحرف (ألا) يرد للتنبيه عند دخوله على الجملتين الاسمية والفعلية، وتكون (ألا) "عرضية وتحضيضية فتختصان بالفعلية"[٢]، كما أنها تدل على تحقق ما بعدها[٣].

يلحظ في شاهد النمط السابق أن الحرف (ألا) ورد لدلالة مقصودة، وهي التنبيه على وجوب الإخلاص لله تعالى، وبيان أن الكمال كله لله، كما يلحظ –أيضًا– التنبيه على وجوب الإنابة إليه في عبوديته، والإنابة إليه في تحصيل مطالب عباده، وإدراك أن دين الله هو الخالص الموجب "هو الذي وجب اختصاصه بأن يخلص له الطاعة من كل شائبة كدر؛ لاطلاعه على الغيوب والأسرار؛ ولأنه

---

(١) الزمر ٣/٣٩.

(٢) أوضح المسالك، ابن هشام ٢٥/٢، وهمع الهوامع، السيوطي ٥٨٦/٢.

(٣) جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الثامنة والعشرون(١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، ٢٦١/٣.

الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها"[1]، ويجب أن ينتبه كل من اتخذ أولياء من دون الله إلى ضلالهم؛ لأنهم تجرأوا على أعظم المحرمات، وهو الشرك.

الصورة الثانية :[جملة اسمية : ألا+ جملة اسمية منسوخة]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (١) موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾[2].

أشار النحاة إلى أن ذكر الحرف (ألا) "بِفَتْح الْهمزَة وَالتَّخْفِيف حرف استفتاح وتنبيه"[3]، وهو حرف يدخل على الجملة الاسمية، كما في قوله تعالى:﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾[4]، ويدخل على الجملة الفعلية، كما في قوله تعالى:﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾[5].

يلحظ في هذا النمط ورود الحرف (ألا) للتنبيه على سوء عناد الكفار ، بينما الذين ءامنوا خائفون لإيمانهم بها ، ولمعرفتهم بربهم، فهذه الأعمال هي المنجية لهم فهم مدركون أنها الحق من ربهم دون أية شك.

وفي الحرف (ألا) دلالة التنبيه على سوء حال الكاذبين، وقد "وصف الله حال الجهلة الكاذبين بها، فهم لذلك يستعجلون بها، أي يطلبون تعجيلها ليبين العجز ممن يحققها، فالمصدق بها مشفق خائف،

---

(١) الكشاف، الزمخشري ١١١/٤ .

(٢) الشورى ١٨/٤٢

(٣) همع الهوامع، السيوطي ٥٨٦/٢.

(٤) البقرة: ١٣.

(٥) هود: ٨.

والمكذب مستعجل مقيم لحجته على تكذيبه"[1]، كما أن الله وصف ممارة الكفار المعاندين للرسل، وما ترتب عليها من شقاق بعيد عن الحق، وأيٌّ بعد أبعد ممن كذب الرسل، وكذب الدار التي هي الدار على الحقيقة، ولكن كذب هؤلاء وعنادهم "لفي ضلال بعيد عن الحق لأنهم لم يتفكروا في الموجبات للإيمان بها من الدلائل التي هي مشاهدة لهم منصوبة لأعينهم مفهومة لعقولهم، ولو تفكروا لعلموا أن الذي خلقهم ابتداء قادر على الإعادة"[2].

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية ٣١/٥.

(٢) فتح القدير، الشوكاني ٦٠٦/٤.

النمط السابع: [جملة اسمية: {مبتدأ+ ضمير فصل+ خبر}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (٧) سبعة مواضع[١]، يمثل ذلك قوله تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[٢].

يقع ضمير الفصل في الجملة الاسمية بين المبتدأ والخبر، كما في شاهد هذا النمط، أو بين ما أصله المبتدأ والخبر ، كالجملة الاسمية المنسوخة بـ(إنَّ)؛ نحو قول الله تعالى:﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٣].

أشار النحاة إلى أن الجملة الاسمية المكونة من مبتدأ (معرفة) وخبر(معرفة) تكون الجملة الاسمية في حاجة إلى ضمير بينهما، يسمى ضمير الفصل قد يقع بين "المبتدأ وخبره، أو ما هو داخل على المبتدأ وخبره من الأفعال والحروف؛ نحو: (إنَّ) وأخواتها، و(كان) وأخواتها، و(ظننت) وأخواتها"[٤]، وذلك ليس بلازم في كل تركيب.

وذكر ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر يشير إلى أن مابعده خبر وليس نعتًا، ولذا أشار النحاة بقولهم "والغرض من ضمير الفصل في الكلام ما ذكرناه من إرادة الإيذان بتمام الاسم وكماله، وأن الذي بعده خبره وليس بنعت"[٥]، ومن ثم ندرك أن من وظائف ضمير الفصل البارزة إزالة الإبهام واللبس.

يلحظ في شاهد هذا النمط أن استخدام ضمير الفصل فيه حصر وتوكيد على أن الموصوفين أحسنوا الإيمان، واتبعوا هدْيَ النبي ﷺ ومتبعوه هم على هدى عظيم؛ فلا هداية أعظم من تلك

---

(١) ينظر:المائدة ٤٤/٥، والأنعام ٧١/٦، والأنعام ١١٧/٦، والأعراف ١٧٨/٧، والحج ١٢/٢٢، وسبأ ٥٦/٣٤.

(٢) البقرة ٥/٢.

(٣) الأنعام: ٧١.

(٤) شرح المفصل، ابن يعيش ١١٠/٣.

(٥) شرح المفصل، ابن يعيش ١١٠/٣، وشرح الكافية، الاستراباذي ٢٤/٢، وهمع الهوامع، السيوطي ٦٨/١.

الصفات المذكورة، ويعنى بـ"المؤمنين بالغيب من العرب، والمؤمنين بما أنزل إلى محمد ﷺ وإلى من قبله من الرسل، وإياهم جميعا وصف بأنهم على هدى منه، وأنهم هم المفلحون"[١].

والفلاح هو الفوز بالمراد، والنجاة من العقاب ومن كل ما هو مخيف، وهو"الفلاح الظفر بالبغية وإدراك الأمل"[٢]، هذا بالإضافة إلى أن في ضمير الفصل"فائدتان: إحداهما: الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة، وثانيتهما: حصر الخبر في المبتدأ"[٣]، حيث التوكيد على أنه لا سبيل إلى الفلاح إلا بسلوك الفلاح المحصور في هؤلاء المفلحون، واتباع ما عدا سلوكهم يعد ضلال، وسيترتب عليه أسوأ مآل.

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري ٢٤٧/١.

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية ٨٦/١.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٧٩/٢.

المبحث الثاني

ظاهرة الزيادة في الجملة الفعلية

في آيات الهدى والضلال

الزيادة في الجملة الفعلية:

وردت ظاهرة الزيادة في الجملة الفعلية في آيات الهدى والضلال في (٧١) واحد وسبعين موضعًا، أمكن تصنيفها في الأنماط التالية:

النمط الأول: [جملة فعلية: {حرف توكيد أو حرفان + فعل ماض + فاعل}]

ورد هذا النمط في (٤٦) ستة وأربعين موضعًا، وذلك على صورتين كما يلي:

الصورة الأولى: [جملة فعلية: حرف توكيد (قد) + فعل ماض + فاعل}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (٢٦) ستة وعشرين موضعًا[١]، يمثل ذلك قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[٢].

يرد الحرف (قد) في الجملة حينا دون اتصال اللام بها، وحينا يرد متصلا باللام، وأشار سيبويه (ت١٨٠هـ) إلى بعض من ملامح الحرف (قد) داخل التركيب، حيث أنه يختص بالدخول على الأفعال دون الأسماء، وإذا قلت: "قد زيدًا لقيت، لم يحسن؛ لأنها إنما وضعت للأفعال"[٣]، ويدرك من ذلك أنها ترد مع الفعل فقط، بالإضافة إلى عدم وجود فاصل بينهما[٤]، عدا القَسَم فقد يكون فاصلا بين (قد) والفعل[١].

---

(١) ينظر المواضع التالية: البقرة ١٠٨/٢، وآل عمران ٢٠/٣، وآل عمران ١٠١/٣، والنساء ٦٠/٤، والنساء ١١٦/٤، والنساء ١٣٦/٤، والنساء ١٦٧/٤، والأنعام ٥٦/٦، والأنعام ٨٠/٦، والأنعام ٩٧/٦، والأنعام ١١٦/٦، والأنعام ١٤٠/٦، والأنعام ١٥٧/٦، والأعراف ٣٨/٧، والأعراف ٥٣/٧، والأعراف ١٤٩/٧، ويونس ١٠٨/١٠، ويوسف ٣٠/١٢، وإبراهيم ١٢/١٤، ومريم ٤٣/١٩، وغافر ٢٨/٤٠، والممتحنة ١/٦٠، والصف ٥/٦١، والملك ٩/٦٧، ونوح ٢٤/٧١.

(٢) البقرة ١٣٧/٢.

(٣) الكتاب، سيبويه ٩٨/١، وينظر: رصف المباني، المالقي، ص٣٩٣، ومغني اللبيب، ابن هشام ١٤٧/١- ١٤٨.

(٤) المرجع السابق: ١١٤/٣.

والبعد الدلالي الذي ينتج من وراء ذكر (قد)، أشار إليه سيبويه من حيث أنها "جواب لقوله: لما يفعل، فتقول: قد فعل، وزعم الخليل أن هذا الكلام لقوم ينتظرون الخبر"[٢]، ودلالة (قد) قبل الفعل الماضي عديدة، منها: التحقيق، والتوقع، وتقريب الماضي من الحال[٣]، كقوله تعالى:﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[٤]، حيث وردت للتحقيق والتوكيد؛ لذلك فإن (قد) نقيض (ما) النافية.

يلحظ في هذا النمط أن استخدمت (قد) والفعل الماضي (اهتدوا) للتحقيق والتوكيد على أن كل من آمن بجميع الرسل، ولم يفرقوا بين أحد من رسل الله، وأسلموا لله وحده، حقا قد اهتدوا إلى الصراط المستقيم، الموصل للنعيم، ولم يكن لهم سبيل نجاة إلا بالإيمان بوحدانية الله، وبكل رسله وكتبهم، دون زعم بدين ما دون الآخر، كما زعموا بقولهم: (كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا)، فطريق هؤلاء طريق الشقاء، فهم "في شقاق أي: في مناوأة ومعاندة، لا غير، وليسوا من طلب الحق في شيء، أو إن تولوا عن الشهادة والدخول في الإيمان بها فسيكفيكهم الله ضمان من الله لإظهار رسول الله"[٥]؛ لكونهم شاقوا الله ورسوله، وأعرضوا وتولوا، ولكن الله وعده رسوله أن يحفظه من عداوتهم، وشرهم، وسيغلبه عليهم، فكان ذلك في قتل بني قينقاع وبني قريضة وإجلاء النضير[٦]، فيجب على سائر البشر أن يقتدوا بهدي النبي ﷺ خاتم الرسل، المبعوث رحمة للعالمين، ويجب أن يدركوا أنه لا يوجد دين آخر اتباعه صحيح، فكل دين غير الإسلام باطل مبني على باطل، وأن الإسلام هو الدين السديد؛ "لأن هذا الدين مبناه على أن كل من ظهر عليه المعجز وجب الاعتراف بنبوته، وكل ما غاير هذا الدين لا بد وأن يشتمل على المناقضة، والمتناقض يستحيل أن يكون مساويا لغير المتناقض في السداد والصحة"[٧].

---

(١) الجنى الداني، المرادي، ص٢٦٠.

(٢) الكتاب، سيبويه ٢٢٣/٤.

(٣) المقتضب، المبرد ٤٣/١، ومعاني الحروف، الرماني، ص٩٨، وشرح المفصل، ابن يعيش ١٤٧/٨، والجنى الداني، المرادي، ص٢٥٤-٢٥٦.

(٤) المؤمنون: ١.

(٥) الكشاف، الزمخشري ١٩٦/١.

(٦) المحرر الوجيز، ابن عطية ٢١٦/١.

(٧) مفاتيح الغيب، الرازي ٧٣/٤.

الصورة الثانية: [جملة فعلية: {حرف توكيد (لقد) + فعل ماض + فاعل}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (٢٠) عشرين موضعًا[١]، يمثل ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٢].

يذكر النحاة أن لام جواب القسم تدخل على الجملة الاسمية والجملة الفعلية، ويكثر اقترانها بـ(قد) إذا دخلت على الجملة الفعلية، ذات الفعل الماضي، وذلك إذا وقع جوابًا للقسم، وذهب بعض العلماء لضرورة وجود (قد) سواء كانت ظاهرة أو مقدرة [٣]، كذلك فإن دخول (قد) على الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي يعطي ما تعطيه (إنَّ) و(اللام)، الداخلتان على الجملة الاسمية المنسوخة من إفادة التوكيد والتحقيق[٤].

يلحظ في هذا النمط استخدام (اللام)، و(قد)، والفعل الماضي (منَّ)؛ لبعد دلالي مقصود، وهو التأكيد، والتحقيق على مدى المنة العظيمة التي امتن الله بها على عباده، ألا وهي الامتنان علينا بنبينا الكريم سيدنا محمد ﷺ وقد "خص المؤمنين منهم؛ لأنهم هم المنتفعون بمبعثه من أنفسهم من جنسهم عربيا مثلهم"[٥]، وفي ذلك حكمة، وهي أن نفهم عن النبي ﷺ ما يقول، وهو المنقذ لنا من ظلمات

---

(١) ينظر المواضع التالية: المائدة ١٢/٥، الأنعام ٩٤/٦، والأنعام ٩٤/٦، والأعراف ٤٣/٧، والأعراف ٥٢/٧، و يوسف ١١١/١٢، والنحل ٣٦/١٦، والأنبياء ٥٤/٢١، والمؤمنون ٤٩/٢٣، والنور ٤٦/٢٤، والفرقان ٢٩/٢٥، والقصص ٤٣/٢٨، والسجدة ٢٣/٣٢، ويس ٦٢/٣٦، والصافات ٧١/٣٧، وغافر ٣٤/٤٠، وغافر ٥٣/٤٠، والنجم ٢٣/٥٣، والحديد ٢٦/٥٧.

(٢) آل عمران ١٦٤/٣.

(٣) الجنى الداني، المرداي، ص ١٣٥.

(٤) مغني اللبيب، ابن هشام ٥٤٤/٢.

(٥) الكشاف، الزمخشري ٤٣٥/١.

الضلالة، وعصمنا بتبليغ رسالة الإسلام من الهلاك في الدنيا والآخرة، فقد نصحنا وزكانا من الشرك والرذائل، ووضح الآيات الكونية، وعلمنا الحكمة (السنَّة) التي سنها الله على لسان رسول الله[1]، وهي عماد هذا الدين بعد القرآن، وبها علمنا أسرار الشريعة وأحكامها، كما أن من عظيم نعم إرسال سيدنا محمد ﷺ أن خلصت العرب من قبح عبادة الأوثان، وارتقت أخلاقهم ، وانتهوا عن كل فحش ورذيلة ، بفضل بعث سيدنا محمد ﷺ حيث أن الله –تعالى– حينما بعث سيدنا محمد ﷺ "نقلهم الله ببركة مقدمه من تلك الدرجة التي هي أخس الدرجات إلى أن صاروا أفضل الأمم في العلم والزهد والعبادة وعدم الالتفات إلى الدنيا وطياتها، ولا شك أن فيه أعظم المنة"[2]، ومن ثمَّ صار النبي ﷺ شرفًا للعرب، ولكل مؤمن إلى يوم الدين، فيجب على كل متبعيه الزود عنه، وأن نتبع الحق، وكل ما أمر، وأن ننتهي عما نهى عنه.

ونخلص من خلال مقارنة المواضع التي استخدم فيها (قد) بالمواضع التي استخدم فيها (لقد)، يلحظ أنه –حينا– قد تضاف إلى (قد) (اللام) مع ما يقع فيه إنكار، أو شدة إعراض، أو زيادة توكيد، ومن ثم كان التوسع ببعض عناصر التوكيد، **ونلمس ذلك من خلال المقارنة التالية:**

قد	لقد
﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾	﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾

يلحظ أن قوله (فقد اهتدوا) هو جواب لشرط يتضمن الشك في حدوثه،فقد يؤمنون، وقد لا يؤمنون، أما في الموضع الثاني، فقد مَنَّ الله على الناس بالمبعوث رحمة للعالمين، فهو فضل من الله لا يحاذيه فضل فكان قوله –تعالى– (لقد مَنَّ الله) لزيادة التوكيد على مقدار هذا المن وأثره.

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري ٣٦٩/٧.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٤١٩/٩.

النمط الثاني: [جملة فعلية: { قد+ فعل مضارع+ فاعل}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (١) موضع واحد، وهو قول الله تعالى:

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[١].

أشار سيبويه (ت١٨٠هـ) إلى أن (قد) ترد داخل تركيب الجملة الفعلية بمعنى (ربما)، حيث قال: "وتكون (قد) بمنزلة (ربما)..."[٢]، وقد أشار النحاة إلى دلالة (قد) عند دخولها على فعل مضارع بأنها "إذا دخلت على المستقبل دلت على التوقع والتقليل"[٣]، وأما ورودها دالة على التوقع فهو الكثير وأما التحقيق فقليل[٤].

يلحظ في الشاهد السابق أن الحرف(قد) اتصل بفعل مضارع، وقد تتصل اللام بـ(قد)، وفي كل غاية دلالية مرادة، كما يلحظ أن (قد) في هذا النمط استخدمت مع الفعل المضارع (تعلمون)؛ توكيدًا، على أن الله –تعالى– يذكِّر سيدنا محمد ﷺ بسيدنا موسى ʊ وحواراه مع قومه عن سبب إيذائهم رغم أنه رسول الله حقا، ولكن الله يعلم زيغهم، فـ"لما عدلوا وجاروا عن قصد السبيل أزاغ الله قلوبهم: يقول: أمال الله قلوبهم عنه"[٥]، تلك عقوبة لهم على زيغهم، واتباعهم الباطل، ولم يوفقهم الله للهداية؛ فلا يليق بهم الصلاح، بل يليق بهم اتباع الباطل، والشر، وكانت "هذه العقوبة على الذنب بالذنب"[٦]، والذين لا

---

(١) الصف ٦١/٥.

(٢) الكتاب، سيبويه ٢٢٤/٤، وينظر:المقتضب، المبرد ٤٣/١.

(٣) معاني الحروف، الرماني، ص٩٩، وشرح المفصل، ابن يعيش ١٤٧/٨، ورصف المباني، المالقي، ص٣٩٢، والجنى الداني، المرادي، ص٢٥٧.

(٤) رصف المباني، المالقي، ص٣٩٢.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري ٣٥٨/٢٣، وينظر: الكشاف، الزمخشري ٥٢٤/٤.

(٦) المحرر الوجيز، ابن عطية ٣٠٢/٥.

يهديهم الله على سوء أعمالهم، يدرك أن في عدم هدايتهم تنبيه على عظيم إيذاء الرسول ﷺ حتى إنه يؤدي إلى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى[1].

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ٥٢٨/٢٩.

النمط الثالث: [جملة فعلية: {حرف نفي (زائد) + فعل + أداة استثناء (إلا) (زائدة) + أحد أركان الجملة الفعلية أو فضلاتها}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (٢١) واحد عشرين موضعًا[١]، يمثل ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[٢].

أشار النحاة إلى أن اجتماع النفي والاستثناء يعد نفي النفي؛ ونفي النفي إثبات، وكما يرد النفي والاستثناء "بين المبتدأ والخبر، فيقصر المبتدأ تارة على الخبر، والخبر على المبتدأ تارة أخرى، يجري بين الفعل والفاعل، وبين الفاعل والمفعول، وبين المفعولين، وبين الحال وذي الحال"[٣].

ويلحظ في شاهد هذا النمط أن النفي كان حقيقيا، وقد يكون النفي بلاغيا، كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾[٤].

---

(١) ينظر المواضع التالية: الأنعام ٨٠/٦، والأنعام ١١٦/٦، والأنعام ١١٩/٦، والأعراف ٥٣/٧، والتوبة ١٨/٩، ويونس ٤٥/١٠، والإسراء ٩٤/١٧، والكهف ٢٤/١٨، والروم ٥٣/٣٠، والزمر ٣/٣٩، وغافر ٢٩/٤٠، وغافر ٢٩/٤٠، والنجم ٢٣/٥٣، والتغابن ١١/٦٤، ونوح ٢٤/٧١، ونوح ٢٧/٧١، والمدثر ٣١/٧٤، والمدثر ٣١/٧٤، والمدثر ٣١/٧٤، والمدثر ٣١/٧٤.

(٢) التوبة ١٨/٩.

(٣) مفتاح العلوم، السكاكي، ص٢٨٨.

(٤) الأعراف: ٥٣.

وقد يكون المستثنى هو الفاعل، أو المفعول كما في شاهد هذا النمط، وهو لفظ الجلالة المنصوب على التعظيم على كونه مستثنى (الله)، ومع اجتماع النفي والاستثناء بـ(إلا) يكون للاستثناء أثر في المعنى، وهو ما يعرف بالاستثناء التام ، كما في قوله تعالى:﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[1]، وقد يكون المستثني منه غير مذكور في الجملة، كما في شاهد هذا النمط، ومن ثم لا يكون للاستثناء أثر في المعنى، وهو ما يسمى بالاستثناء المفرغ (الناقص).

ذهب البصريون إلى أنه إذا كان الاستثناء تاما يعرب المستثني تابعًا للمستثنى منه على البدلية، بدل بعض من كل، وهو أرجه الآراء، بينما الكوفيون يعربونه عطف نسق؛ لأنهم يعدون (إلا) حرف عطف، بمثابة (لا) النافية، حيث إن ما بعدها يختلف عما قبلها معنًى، كما يجوز –أيضًا– إعراب ما بعد (إلا) مستثنى منصوبا، وقد قرأ عامر لفظة (قليل) في قوله تعالى:﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾[2].

كما يلحظ في شاهد هذا النمط أن استخدام النفي والاستثناء بإلا، يُعَدُّ توسعة في تركيب الجملة، وذلك له بعد دلالي مقصود، وهو التوكيد والتخصيص على كون عمارة المساجد تكون بـ"رم ما استرم منها، وقمها وتنظيفها، وتنويرها بالمصابيح، وتعظيمها، واعتيادها للعبادة والذكر، ومن الذكر درس العلم، بل هو أجله وأعظمه، وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث"[3]، وقد ذكر الله صفات عمار مساجد الله، وهم المؤمنون بالله وباليوم الآخر، ويقيمون الصلاة، ويؤدون الزكاة، يقومون بالأعمال الواجبة، والمستحبة أن يقوم بالظاهر منها، والباطن، فهم الذين يخشون الله،

---

(١) المدثر: ٧٤.

(٢) النساء: ٦٦.

(٣) الكشاف، الزمخشري ٢/٢٥٤.

ويعظموه، تلك الخشية يراد بها خشية التعظيم والعبادة والطاعة[1]، وعلى النقيض من ذلك هؤلاء المشركين، إنهم "يقطعون بأنهم مهتدون ويجزمون بفوزهم بالخير من عند الله –تعالى– وفي هذا الكلام ونحوه لطف بالمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء"[2].

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية ١٦/٣.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ١١/١٦.

النمط الرابع: [جملة فعلية: {حرف نداء+ منادى+ هاء التنبيه (زائدة)+ بدل}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (٣) ثلاثة مواضع[١]، يمثل ذلك قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٢].

أشار النحاة إلى أن ذكر حرف الـ(هاء) في التركيب أفاد التنبيه، فهو أحد معانيها، وكثيرة ما ترد في التركيب يلحقها ضمير رفع منفصل، وذلك إذا كان مخبرًا عنه باسم إشارة؛ نحو: ها أنا ذا[٣].

يلحظ في شاهد هذا النمط أن استخدام الهاء في هذا السياق، قد أفاد التنبيه على أن النبي ﷺ قد بعث للناس كافة، حيث "بعث كل رسول إلى قومه خاصة وبعث محمد ﷺ إلى كافة الإنس وكافة الجن"[٤].

وفي الشاهد توجيه من الله لرسوله الكريم، بإشهار دعوة الإسلام، ودعوة الناس للدخول فيه، ولما أعلن النبي ﷺ بأنه رسول من عند الله مبعوث للإنس والجن كافة، و"لما أعلن بالرسالة من عند الله أردف بصفة الله التي تقتضي الإذعان له وهي أنه ملك السموات والأرض بالخلق والإبداع والإحياء والإماتة لا إله إلا هو ولا معبود سواه"[٥].

---

(١) ينظر المواضع التالية: يونس ٥٧/١٠، ويونس ١٠٨/١٠.

(٢) الأعراف ١٥٨/٧.

(٣) الكتاب ٣٥٤/٢-٣٥٥، والجنى الداني، المرادي، ص ٣٤٦-٣٥٠، ومغني اللبيب، ابن هشام ٢٧/٢.

(٤) الكشاف، الزمخشري ١٦٦/٢.

(٥) المحرر الوجيز، ابن عطية ٤٦٥/٢، وينظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٣٨٤/١٥.

والإسلام نزل مصدقا لكل آيات اللي المنزلة من قبل؛ نحو: التوراة، والإنجيل، وغيرها، وكل الإنس والجن مأمورون باتباع هدي النبي ﷺ للنجاة في الدنيا والآخرة.

المبحث الثالث

ظاهرة الزيادة في التركيب الشرطي

في آيات الهدى والضلال

ظاهرة الزيادة في التركيب الشرطي:

يتناول هذا المبحث دراسة ظاهرة الزيادة في التركيب الشرطي في آيات الهدى والضلال، دراسة نحوية دلالية، وأعني بظاهرة الزيادة في تركيب الجملة الشرطية، زيادة أي عنصر إلى العناصر الأساسية المكونة للجملة الشرطية، وهي:(أداة الشرط، وجملة الشرط، وجملة جواب الشرط)؛ لإضافة دلالات جديدة، دون أن تتأثر صحة الجملة الشرطية نحويا، وبصورة تجعل حذف العناصر الزائدة ممكنة دون تغير في العلاقات النحوية بين العناصر الأساسية المكونة للجملة الشرطية.

والدراسة تقتصر في هذا المبحث على ما يمكن أن يزاد إلى أحد العناصر المكونة للتركيب الشرطي، وهي:(أداة الشرط، وجملة الشرط، وجملة جواب الشرط)، أما ما يمكن أن يضاف إلى أحد العناصر الداخلية المكونة لكل من جملتي الشرط والجواب فلا يدخل في هذا المبحث، فمثلا ظاهرة العطف إحدى ظواهر الزيادة في الجملة الشرطية، ويمكن أن تلحظ هذه الظاهرة داخل تركيب الجملة الشرطية **على النحو التالي:**

- **العطف على جملة الشرط.**
- **العطف على جملة جواب الشرط.**

وما يدخل في نطاق هذا المبحث هو ما ورد معطوفًا على كل من جملتي الشرط أو الجواب، أما ما ورد معطوفًا على الفاعل أو المفعول في كل من جملتي الشرط والجواب فلا يدخل في هذا المبحث؛ على أساس أن يدخل في نطاق دراسة ظاهرة الزيادة في الجملة الفعلية، ويعني ذلك أن ظواهر الزيادة للعناصر الداخلية في تركيب كل من جملتي الشرط والجواب لا تدخل في نطاق هذا المبحث.

وقد وردت ظاهرة الزيادة في الجملة الشرطية في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم، وفق المفهوم السابق في (٥٩) تسعة وخمسين موضعًا، أمكن تصنيفها في الأنماط التالية:

النمط الأول: [تركيب شرطي: {أداة شرط+ جملة الشرط+ جملة الشرط+ توكيد(أنَّ+ جملة اسمية+ قد+ فعل ماض)}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (١) موضع واحد، وهو قوله تعالى:﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[١].

إن العمل النحوي حول دخول (إنَّ) على الجملة الاسمية ، ذكره كثير من النحاة، فقد درسها سيبويه (ت١٨٠هـ) في باب بعنوان:"هذا باب الحروف الخمسة التي تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده"[٢]، وهذا ما ركز عليه النحاة بعد ذلك بشكل أساسي[٣].

وأشار النحاة إلى بعض القيم الدلالية التي تؤديها هذه الحروف ضمن مناقشتهم لمعاني هذه الأدوات، فقد أشار سيبويه إلى أنَّ الحرف الناسخ (إنَّ) "توكيدا لقوله: زيد منطلق، وإذا خففت فهي كذلك، تؤكد ما يتكلم به، وليثبت الكلام"[٤]، وهذا ما يطرد بعد ذلك لدى النحاة قدماء ومحدثين[٥]، هذا بالإضافة إلى أن النحاة ذكروا أن الحرف (قد) يرد حينا في الجملة دون اتصال اللام بها، وحينا يرد متصلة باللام،

---

(١) الأعراف ١٤٩/٦.

(٢) الكتاب، سيبويه ١٣١/٢.

(٣) الجمل، الزجاجي، ص٥١-٥٦، والمقتضب، المبرد ٣٤٠/٢-٣٦٠، والأصول في النحو، ابن السراج ٢٦٢/١-٢٦٩، وشرح المفصل، ابن يعيش ١٠١/١-١٠٥، والتسهيل، ابن مالك، ص٦١-٦٦، وشرح الكافية، الاستراباذي ٢٥٥/١، وشرح التصريح، الأزهري ٢١٠/١-٢١٤، وهمع الهوامع، السيوطي ١٣٢/١-١٣٤، وحاشية الصبان، الصبان ٢٦٩/١-٢٩٤.

(٤) الكتاب، سيبويه ٢٣٣/٢.

(٥) الجمل، الزجاجي، ص٥١، وشرح المفصل، ابن يعيش ١٠٢/١، والتسهيل، ابن مالك، ص٦١، وهمع الهوامع، السيوطي ١٣٢/١، وفي نحو اللغة وتراكيبها، د.خليل عمايرة، ص١٠٣، والتراكيب اللغوية في العربية، د.هادي نهر، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٩٢م، ص١٣١، ونظام الجملة في شعر المعلقات، د.محمود أحمد نحلة، ص١٢٠-١٢١، ومقال: الوسائل اللغوية للتوكيد عند طه حسين، ص١٣٢-١٣٣.

وقد أشار سيبويه (ت١٨٠هـ) إلى بعض من ملامح الحرف (قد) داخل التركيب ، حيث أنه يختص بالدخول على الأفعال دون الأسماء، "فلو قلت: قد زيدًا لقيت، لم يحسن؛ لأنها إنما وضعت للأفعال"[١]، ويدرك من ذلك أنه يرد مع الفعل فقط، بالإضافة إلى عدم وجود فاصل بينهما[٢]، عدا القَسَم فقد يكون فاصلا بين (قد) والفعل[٣].

أشار سيبويه إلى البعد الدلالي الذي ينتج من وراء ذكر (قد)، حيث أنها "جواب لقوله: لما يفعل، فتقول: قد فعل، وزعم الخليل أن هذا الكلام لقوم ينتظرون الخبر"[٤]، ودلالة (قد) قبل الفعل الماضي عديدة، منها: التحقيق، والتوقع، وتقريب الماضي من الحال[٥]، كقوله تعالى:﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٦]، حيث وردت للتحقيق والتوكيد؛ لذلك فإن (قد) نقيض (ما) التي للنفي.

يلحظ في هذا النمط أن التوكيد بـ(أنَّ)، و(قد) والفعل الماضي فيه دلالة على زيادة التوكيد على شدة ندم الذين عبدوا العجل الموصوف لهم، هذا بالإضافة إلى دلالة شدة الحيرة، وذلك لما رجع سيدنا موسى –عليه السلام– إليهم، وانقادوا له، ولحكمه فيهم.

وأما رؤيتهم بأنهم قد ضلوا فيه توكيد –أيضًا– على "أنهم قد جاروا عن قصد السبيل، وذهبوا عن دين الله، وكفروا بربهم، قالوا تائبين إلى الله منيبين إليه من كفرهم به: "لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين"[٧]، فهذا دأب المؤمنين دائمًا، يتوبون عن المعصية، ويتضرعون لله أن يعفوا عنهم،

---

(١) الكتاب، سيبويه ٩٨/١، وينظر: رصف المباني، المالقي، ص٣٩٣، ومغني اللبيب، ابن هشام ١٤٧/١– ١٤٨.

(٢) السابق: ١١٤/٣.

(٣) الجنى الداني، المرادي، ص٢٦٠.

(٤) الكتاب، سيبويه ٢٢٣/٤.

(٥) المقتضب، المبرد ٤٣/١، ومعاني الحروف، الرماني، ص٩٨، وشرح المفصل، ابن يعيش ١٤٧/٨، والجنى الداني، المرادي، ص٢٥٤–٢٥٦.

(٦) المؤمنون ١/٢٣.

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري ١١٩/١٣، وينظر: الكشاف، الزمخشري ١٦٠/٢.

عنهم، ذلك مدرك من قوله –تعالى (لنكونن من الخاسرين)، حيث إن في كلامهم "ما يفيد الاستغاثة بالله والتضرع والابتهال في السؤال"(١).

النمط الثاني: [تركيب شرطي: (أداة الشرط + جملة الشرط + حرف نفي (زائد) + جملة فعلية + إلا (زائدة) + مفعول به (جملة جواب الشرط)]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (١) موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾(٢).

أشار النحاة إلى أن استخدام (إلا) الاستثنائية يستثني بها الجملة الاسمية والفعلية، ويشترط النحاة أن تسبق بحرف نفي؛ كي يكون الاستثناء مفرغا(٣).

ويعد البلاغيون التركيب السابق أسلوب قصر، والقصر لديهم لا يعدو أن يكون "تأكيدًا للكلام ومبالغة في توضيح الأحكام وتثبيتها في الأذهان"(٤).

يلحظ في هذا النمط أن ورود النفي والاستثناء يعد شكلا زيادة، ولكنه أضاف بعدًا دلاليا، ألا وهو التوكيد على أن المكذبين للنبي ﷺ أقسموا بأنه إذا جاء المؤمنين نذير ليكونن أهدى من اليهود والنصارى، ولكنه قسم باطل، ولم يفوا به؛ فحينما جاءهم النذير لم يهتدوا، ولم يصيروا أهدى من إحدى الأمم، بل ازدادوا بغيا وضلالا عما مضى، كما أن النفي والاستثناء فيه توكيد على أن هؤلاء الضالين "زادوا أنفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

---

(١) فتح القدير، الشوكاني ٢/٢٨٢.

(٢) فاطر ٣٥/٤٢.

(٣) شرح التصريح، الأزهري ١/٣٦١، وهمع الهوامع، السيوطي ١/٢٣٠.

(٤) من أسرار اللغة، د.إبراهيم أنيس، ص١٩٠.

فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾[التوبة:١٢٥] "[1]،هذا بالإضافة إلى أن في ذلك توكيد على أن قسمهم الذي ذكر، لم يكن قصدهم به الخير، ولا طلب الحق، ولو كان كذلك، لكانوا موفقين له، ولكنه قسم مستكبرين على الخلق، وعلى الحق، وقسم يريدون به المكر والخداع، بل هو قسم ممن "عاندوا وقالوا: والله لو جاءنا رسول لكنا أهدى الأمم فلما جاءهم نذير أي محمد ﷺ جاءهم أي صح مجيؤه لهم بالبينة ما زادهم إلا نفورا، فإنهم قبل الرسالة كانوا كافرين بالله وبعدها صاروا كافرين بالله ورسوله؛ ولأنهم قبل الرسالة ما كانوا معذبين كما صاروا بعد الرسالة"[2].

ومن اغتر بهؤلاء سوف ينال سوء الجزاء، ومكر وخداع الضالون حتما سيعود عليهم، ولم يبق لهؤلاء الضالين إلا انتظار عذابهم من جراء ما ارتبكوا.

---

(١) الكشاف، الزمخشري ٦١٨/٣.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٤٦/٢٦.

النمط الثالث: [تركيب شرطي: {أداة شرط+ جملة الشرط+ فاء الجزاء (زائدة)+ جملة جواب الشرط}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (٤٨) ثمانية وأربعين موضعًا[١]، يمثل ذلك قول الله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢].

أشار سيبويه (ت١٨٠هـ) إلى أن الجملة الشرطية يكون فيها جواب الشرط متوفر فيه شرط، وهو مذكور في قوله: "أنه لا يكون جواب الجزاء إلا بفعل أو بالفاء"[٣]، وحصر النحاة المواضع التي يقترن فيها جواب الشرط بالفاء، وهي: الجملة الاسمية، والطلبية، أي: المبدوءة بالأمر، أو النهي، أو التحضيض، أو العرض، أو الدعاء، أو الاستفهام، أو الفعلية وفعلها جامد، أو المسبوق بـ(ما)، أو (لن)، أو (غير)، أو (قد)، أو (السين)، أو (سوف)، والتعجبية، والقسم، والنداء، أو المصدرة بـ(رُبَّ)[٤].

---

(١) ينظر: المائدة ١/٥، والمائدة ٤٤/٥، والمائدة ٦٧/٥، والمائدة ٩٥/٥، والمائدة ٩٥/٥، والأنعام ٣٥/٥، والأنعام ٣٥/٥، والأعراف ١٥٥/٧، والأعراف ١٥٨/٧، والأعراف ١٧٨/٧، والأعراف ١٧٨/٧، والأعراف ١٨٦/٧، ويونس ١٠٨/١٠، والإسراء ١٥/١٧، والإسراء ٩٧/١٧، والكهف ١٧/١٨، والكهف ١٧/١٨، والكهف ٥٧/١٨، ومريم ٤٣/١٩، ومريم ٧٥/١٩، ومريم ٧٥/١٩، وطه ١٢٣/٢٠، وطه ١٢٣/٢٠، وطه ١٢٣/٢٠، والحج ٤/٢٢، والحج ٦٧/٢٢، والنور ٥٤/٣٤، ولقمان ١١/٣١، والسجدة ٢٣/٣٢، والأحزاب ٣٦/٣٣، وسبأ ٥٠/٣٤، وسبأ ٥٠/٣٤، وص ٢٢/٣٨، والزمر ٢٢/٣٩، والزمر ٢٣/٣٩، والزمر ٣٧/٣٩، والزمر ٤١/٣٩، وغافر ٢٩/٤٠، وغافر ٣٣/٤٠، وفصلت ١٧/٤١، والشورى ٤٤/٤٢، والجاثية ٢٣/٤٥، والأحقاف ٣٢/٤٦، ومحمد٤/٤٧، والممتحنة ١/٦٠، والملك ٢٩/٦٧، والجن ١٣/٧٢.

(٢) النساء ١٧٦/٤.

(٣) الكتاب، سيبويه ٦٣/٣.

(٤) الجمل في النحو، الزجاجي، ص٢١١-٢١٢، والمقتضب، المبرد ٤٩/٢، ٧١-٧٢، والأصول في النحو، ابن السراج ١٦٠/٢-١٦١، وشرح المفصل، ابن يعيش ٢/٩-٤، وأوضح المسالك، ابن هشام، ص٢٣٦.

إن ورود (فاء الجزاء) في التركيب الشرطي؛ يحدث الربط في التركيب، وذلك إذا فقد عنصر الجزم، فعندئذ يحتاج التركيب الشرطي إلى رابط آخر يربط الجزاء بالشرط؛ لأن "الجزم الحاصل به الربط مفقود، وليس على تقدير الظهور"[١]، كما أن (فاء الجزاء) تفيد التعليل والترتيب للجزاء على فعل الشرط، حيث أن (الفاء) "تفيد الاتباع، وتؤذن بأن ما بعدها مُسبَّب عما قبلها"[٢].

وتدرك دلالة ورود (فاء الجزاء) في جواب الشرط من ملاحظة السياقات الواردة فيها، ويلحظ في الشاهد السابق أن الآية قد نزلت عندما كان النبي ﷺ طريق مكة عام حجة الوداع، أتاه جابر بن عبد الله فقال: إن لي أختا، فكم آخذ من ميراثها إن ماتت؟"[٣]، أي: سأله جابر عن الكلالة (الميت الذي يموت وليس له ولد صلب ولا ولد ابن، ولا أب، ولا جد)، إذا هلك وليس له ولد ولا والد (وله أخت) أي: شقيقة أو لأب لا لأم، (فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ) أي: نصف متروكات أخيها، من نقود وعقار وأثاث وغير ذلك، وذلك من بعد الدين والوصية كما تقدم.

واستخدام فاء الجزاء في الآية الكريمة أفاد بعدًا دلاليا مقصودًا وهو إظهار عدة تقييدات يجب الالتزام بها التزامًا حتميًّا، **وهي: تقييدات ثلاث:**

- **الأول:** أن ظاهر الآية يقتضي أن الأخت تأخذ النصف عند عدم الولد، فأما عند وجود الولد فإنها لا تأخذ النصف، وليس الأمر كذلك، بل شرط كون الأخت تأخذ النصف أن لا يكون للميت ولد ابن، فإن كان له بنت فإن الأخت تأخذ النصف.
- **الثاني:** أن ظاهر الآية يقتضي أنه إذا لم يكن للميت ولد فإن الأخت تأخذ النصف وليس كذلك، بل الشرط أن لا يكون للميت ولد ولا والد، وذلك لأن الأخت لا ترث مع الوالد بالإجماع.
- **الثالث:** أن قوله وله أخت المراد منه الأخت من الأب والأم، أو من الأب؛ لأن "الأخت من الأم والأخ من الأم قد بين الله حكمه في أول السورة بالإجماع"[٤].

---

(١) شرح التصريح، الأزهري ٢/٢٥٠.

(٢) شرح المفصل، ابن يعيش ٩/٢.

(٣) الكشاف، الزمخشري ١/٥٩٨.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي ١١/٢٧٥.

فيجب على كل مؤمن أن يدرك أن الله مطلع علينا، عالم بالغيب والشهادة والأمور الماضية والمستقبلة، ويعلم احتياج البشر إلى التعليم، فالله يعلمنا ما ينفعنا في كل زمان ومكان، وعلينا الامتثال والطاعة.

النمط الرابع: [تركيب شرطي: {أداة شرط امتناعي (لو) + جملة الشرط + لام (زائدة) + جملة جواب الشرط مثبتة}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (٦) ستة مواضع[١] ، يمثل ذلك قول الله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[٢].

أشار النحاة إلى كثرة اقتران جواب الشرط بـ(اللام) لحرف الشرط الامتناعي (لو ولولا)، وذلك إذا كان مثبتًا، ويقل اقترانه بالفاء، إذا كان فعلا ماضيا منفيا بـ(ما)، أو مضارعا منفيا بـ(لم)[٣]، وذكر الرماني "أن هذه (اللام) من الحروف الهوامل، لا محل لها من الإعراب، وذكر ابن يعيش (ت٦٣٤هـ) أنها: إما قسم قائم بذاته يطلق عليه (لام جواب لو، ولولا)، أنها "جواب قسم محذوف"[٤].

يلحظ في اقتران جواب الشرط باللام، أن فيه دلالة نحوية، وهي أن اللام إذا "وقعت في جواب (لو ولولا) لتأكيد ارتباط الجملة الثانية بالأولى"[٥]، كما يلحظ دلالة السياق على التوكيد بأن الله –تعالى– بيده أمر الهداية، لا بيد سواه، كما أن اللام تفيد وجوب طلب كل مؤمن أن يصلح عمله؛ وأن تخلوا أعماله من الرياء والشرك؛ فإن الشرك محبط للعمل، موجب للخلود في النار.

---

(١) ينظر: الأنعام ١٤٩/٦، والأنعام ١٤٩/٦، والأعراف ١٤٩/٧، ومحمد ٤/٤٧، والفتح ٢٥/٤٨.

(٢) الأنعام ٨٨/٦.

(٣) الجنى الداني، المرادي، ص ٢٨٣–٢٨٤، ومغني اللبيب، ابن هشام ١٩٣/١، وشرح التصريح، الأزهري ٢٦٠/٢.

(٤) شرح المفصل، ابن يعيش ٢٢/٩–٢٣، الجنى الداني، ص٢٨٣.

(٥) شرح المفصل، ابن يعيش ٢٢/٩.

ويدرك مما سبق أن الله يصطفي الخلق للهداية، ولا يفضل أحدًا عن الآخر بغير الامتثال له، ومن ثم فهو تعالى يوجه بأن "وفضلنا بعض آبائهم ولو أشركوا مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم، كما قال تعالى:﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[الزمر:٦٥](١)، وأما الذين اهتدوا وامتثلوا لأوامر الله ونواهيه، مقتدون بالنبي الكريم الذي هو جمع كل كمال الفضائل والخصائص التي فاق بها جميع العالمين؛ كان الجزاء الحسن لكل مقتد؛ "ذلك كان جزاء على الإحسان الصادر منهم؛ لأنهم اجتهدوا في طلب الحق"(٢).

(١) الكشاف، الزمخشري ٤٣/٢، وينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري ٥١٤/١١.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٥٣/١٣.

النمط الخامس: [تركيب شرطي: {جملة الشرط + حرف نفي + خبر المبتدأ مقدم (جار ومجرور) + حرف جر (زائد) + مبتدأ}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلا ل في القرآن الكريم في (٣) ثلاثة مواضع[١]، يمثل ذلك قوله تعالى:﴿يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٍۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾[٢].

يعد ابن هشام (ت٧٦٢هـ) (من) التعليلية زائدة إذا أمكن وضع (لام) بدلا منها[٣]، ووافق المالقي ابن هشام فيما ذهب إليه، حيث أنها تفيد (المزاولة) ولذلك تكون بمعنى (عن)، ومنه قوله تعالى:﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ﴾، أي: عن ذلك كله[٤].

يلحظ في سياق الشاهد السابق، لما أخاف الله الكفار العقوبات في الدنيا، أخافهم العقوبات في الآخرة، وأنه لم يكن لهم مرد إلى الحياة يعملون فيها صالحًا، ولم ينفعهم شركاؤهم أبدًا، ولذلك قال تعالى:﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٍ﴾، لا تستطيعون درء العذاب عنكم، فإنكم "تفرون هروبا من المفزع وعلى بعضها تفرون مدبرين إلى النار"[٥]، كما يلحظ دخول حرف الجر الزائد (من) على المبتدأ (هَادٍ)؛ وذلك للتأكيد على قوة ضلالهم، وشدة جهالتهم[٦]، وعلى أن الهدى بيد الله، فمن منع الهدى منع لكونه غير لائق به.

---

(١) ينظر الموضعين الآخرين: الروم ٢٩/٣٠، والشورى ٤٤/٤٢.

(٢) غافر ٣٣/٤٠.

(٣) مغني اللبيب، ابن هشام ١٤٤/٤، الهامش رقم٦.

(٤) رصف المباني، المالقي، ص٣٢٣.

(٥) المحرر الوجيز، ابن عطية ٥٥٨/٤.

(٦) مفاتيح الغيب، الرازي ٥١٢/٢٧، وفتح القدير، الشوكاني ٥٦٣/٤.

الفصل الرابع

ظاهرة التضمين في آيات الهدى والضلال

توطئـــة:

إن التضمين من أرفع أساليب لغتنا العربية، وقد ورد بكثرة في كلام العرب، ومما يدل على سمو مكانته أنه أحد أساليب القرآن البيانية، وهو بحر كما عبر ابن جني (ت٣٩٢هـ) عن منزلته في اللغة، حيث تؤدي الكلمة فيه مؤدى كلمتين، ويكون التضمين قياسيا لا سماعيا إذا توافر فيه شروط ثلاثة: تحقيق المناسبة بين الفعلين، ووجود قرينة تدل على مناسبة الفعل بالآخر، ويؤمن معها اللبس وأن يلائم التضمين للتذوق العربي؛ ليحقق الغاية، وهي: الإيجاز.

إن ظاهرة التضمين من الظواهر الهامة؛ حيث تجعلنا نتوقف على فهم معاني القرآن الكريم، واستيعاب مقاصده، ومعرفة دقائق أسراره، وبلاغة نظمه الرائق العجيب.

وينبغي لدارس ظاهرة التضمين أن يُدرك كثرة تشعب التضمين، حيث يفضي إلى قضايا عديدة في اللغة كقضية التعدي واللزوم، والحقيقة والمجاز، ودلالات الألفاظ؛ مما يتطلب إمعان النظر ودقة التفحص في دواخل التركيب.

ظاهرة التضمين مجالها حروف المعاني، فهي تكشف عن إعجاز نظم القرآن وبراعة التصوير فيه، والحرف إذا تغير قد تتغير الدلالة إلى النقيض منها، حتى يصبح للفظة واحدة معانٍ عديدة، وهذا الفعل (سمع) إذا تعدى بنفسه فإنه يفيد معنى إدراك الصوت، وإذا تعدى بـ(من) أو (عن) أو (إلى)؛ فإنه يتسع لمعاني وأغراض قد تتلاقى وقد تختلف طبقًا للحرف المتعدى به.

وللتضمين غرض سامٍ، وهو استجلاء أسرار ألفاظ القرآن الكريم، ووقوع اللفظ دون غيره في مواضع مختلفة، مما يحقق إثراء اللغة العربية بتعدد أساليب التعبير.

التضمين لغة واصطلاحًا:

التضمين لغة: تعددت معاني التضمين لغة، منها: ما ذكره الجوهري (ت٣٩٣هـ) في قوله: "ضمنت الشئ ضمانا: كفلت به، فأنا ضامِنٌ وضَمينٌ، وضَمَّنْتُهُ الشئ تضمينا فتضمنه عني... والمُضَمَّنُ من الشعر: ما ضَمَّنْتَهُ بيتا، والمضَمَّنُ من البيت: ما لا يتمُّ معناه إلا بالذي يليه. وفهمت ما تَضَمَّنَهُ كتابُكَ، أي: ما اشْتمل عليه وكان في ضِمْنِهِ، كما ورد التضمين أيضًا بمعنى الإيداع، حيث يقال: ضمن الشيء أي: أودعه إياه، كما تودع الوعاءالمتاع[١]، وورد أيضًا بمعنى الكفيل، يقال ضمن الشيء كفله إياه: كفله، ومنه قول الفرزدق[٢]:

"أنـا الضـامن الراعـي علـيهم وإنمـا يـدافع عـن أحسـابهم أنـا أو مثلـي"

فالتضمين كما هو ملاحظ من استقراء المعاجم يعني بإيداع شيء شيئًا آخر سواء أ كان هذا الإيداع حقيقيًّا أم مجازيًّا، كما يلاحظ أنها تكاد تتفق على هذا المعنى.

والتضمين اصطلاحا: يشتمل لفظ على معنى لفظ آخر؛ كقولك: "دَريت بِمَعْنى علمت"، ومنه أيضًا: "تضمين الْفِعْل الْمُتَعَدِّي إِلَى وَاحِد معنى صير وَيجْعَل من هَذَا الْبَاب...وَقطعت الثَّوْب قَمِيصًا وَالْجَلد نعلا وصنعت الثَّوْب عماما... الْمَعْنى فِيهَا صيرت، قَالَ أَبُو حَيَّان وَالصَّحِيح أَن هَذَا كُله من بَاب التَّضْمِين الَّذِي يحفظ وَلَا يُقَاس عَلَيْهِ"[٣].

ومما ورد فيه التضمين ، تضمين حرف الشرط معنى الطلب؛ وهو ما ذكره السيوطي (ت٩١١هـ) من "تضمن معنى الطّلب معنى (إن) كَمَا فِي أَسمَاء الشَّرْط؛ نَحْو: من يأتني أكْرمه؛ فأغني ذَلِك التَّضْمِين عَن تَقْدِير لَفظهَا بعد الطّلب، وَهَذَا مَذْهَب الْخَلِيل وسيبويه"[٤].

أيّد السيوطي (ت٩١١هـ) مجيء التضمين في لغة العرب تأويلا ؛ فقالوا: "لَو كَانَ لَهَا هَذِه الْمعَانِي لوقعت موقع هَذِه الْحُرُوف فَكنت تَقول وليت عَلَيْهِ أَي عَنهُ وكتبت على الْقَلَم أَي بِهِ وَجَاء زيد

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري ٢١٥٥/٦، ولسان العرب، ابن منظور، ٢٥٧/١٣، وتاج العروس، الزبيدي ٣٣٣/٣٥.

(٢) ديوان الفرزدق ٣١٥/٢.

(٣) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي ٥٤١/١ -٥٤٦.

(٤) المرجع السابق: ٣٩٨/٢.

على عَمْرو أَي مَعَه وَالدِّرْهَم على الصندوق أَي فِيهِ وَأخذت على الْكيس أَي مِنْهُ وَأولُوا مَا تقدم على التَّضْمِين وَنَحْوه فضمن (تتلو) معنى (تَقول) و(رَضِي) معنى (عطف) فِي الْكَيْل...، وحذفها وزيادتها ضَرُورَة"[1].

يلحظ مما سبق أن التضمين واقع في اللغة؛ لكونه يعلل لبعض المسائل النحوية، وذلك وفق مفهوم النحاة للتضمين. إن النحوي لا يعني بالتضمين إلا أن يدرك سر إقامة مادة لغوية دون الأخرى بحيث أدت وظيفتها في سياق جديد.

هناك فرق بين مصطلح التضمين ومصطلحات أخرى يمكنها الالتباس به، كمصطلح التقدير، وقد ذكر ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ): "الفرق بين التضمين والتقدير في قولنا: (بُني أين لتضمنه معنى حرف الاستفهام، وضربته تأديبًا منصوب بتقدير اللام، وغلام زيد مجرور بتقدير اللام، وخرجت يوم الجمعة منصوب بتقدير:(في).

إن التضمين يراد به أنه في المعنى المتضمن على وجه لا يصح إظهاره معه، والتقدير: أن يكون على وجه يصح إظهاره معه سواء اتفق الإعراب حينًا أم اختلف[2].

وورد التضمين في آيات الهدى والضلال في (٩) تسعة مواضع، أتناولهم فيما يلي:

(١) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي ٢/٤٤٠.

(٢)الأشباه والنظائر، السيوطي ١/١٠٤.

المبحث الأول

التضمين في الجملة الاسمية

في آيات الهدى والضلال

التضمين في الجملة الاسمية في آيات الهدى والضلال:

ورد التضمين في آيات الهدى والضلال في الجملة الاسمية في (٢) موضعين[١]، يمثلهما النمط التالي:

جملة اسمية: {خبر (اسم تفضيل تضمن معنى الفعل) + مفعول به (اسم موصول)}

ويمثل ذلك النمط قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٢].

المصدر هو أصل المشتقات التي تؤدي وظيفة الفعل، فهو يعمل في غيره ويرفع فاعلا إذا كان مشتقا من فعل لازم، ويرفع فاعلا وينصب مفعولا أو مفعولين، تبعا للفعل المشتق منه المصدر، وقد يؤدي المشتق (اسم التفضيل) معنى الإضافة إذا لم يتوافر فيه شروط إعماله عمل الفعل.

أشار النحاة –الذين يجيزون التضمين– إلى أنه إشراب لفظ معنى لفظ آخر، فيعطي حكمة من التعدي واللزوم، وفائدته أن تؤدي الكلمة مؤدى كلمتين[٣]، ويكون اللفظان مشربان نفس المعنى سوأء أكانا اسمين، أو فعلين، أو حرفين، ولكن للنحاة اختلاف أولوية التضمين في أحد أقسام الكلمة، واتجه منهم نحو الأولوية للفعل، ومنهم للحرف.

يلحظ في هذا النمط أن الله –تعالى– يؤكد على فرضية تبليغ النبي ﷺ الوحي، كنا يفرض وجوب إيمان البشر به، والعمل بما يوجبه القرآن الكريم، حيث المآل والعاقبة الحميدة؛ لذلك تضمن اسم التفضيل (أَعْلَمُ) الواقع خبرًا للمبتدأ معنى اسم الفاعل (عالم) توكيدًا لعلم الله، وتوجيها للبشر؛ ليتبعوا أوامره

---

(١) ينظر الموضع الآخر:سورة طه ١٠/٢٠.

(٢) القصص ٨٥/٢٨.

(٣) مغني اللبيب، ابن هشام، ص٦٨١، والنحو الوافي، عباس حسن ١٥٩/٢.

ويجتنبوا نواهيه، فهوعالم بـ: "مَنْ جاءَ بِالْهُدى يعنى نفسه وما يستحقه من الثواب في معاده وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في معادهم"[1]؛ نظرًا لشدة إعراضهم، وتوجههم إلى الضلال.

(١) الكشاف، الزمخشري ٣/٤٣٦.

المبحث الثاني

التضمين في الجملة الفعلية

في آيات الهدى والضلال

التضمين في الجملة الفعلية في آيات الهدى والضلال:

ورد التضمين في آيات الهدى والضلال في الجملة الفعلية في (٤) أربعة مواضع، يمثلهم النمط التالي:

[جملة فعلية: {فعل متضمن معنى (فعل آخر) + المفعول به}]

يمثل ذلك النمط قوله تعالى:﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[١].

ترد الأفعال في اللغة العربية لازمة إذا اكتفى الفعل بفاعله، ولم يحتج إلى المفعول به، وقد ترد الأفعال متعدية إذا لم يكتف بفاعله، فاحتاج إلى مفعول أو مفعولين أو ثلاثة، و إلى ذلك أشار النحاة، حيث أنه يتجاوز الفاعل إلى مفعوله؛ كما في نحو: ضرب زيدُ عمْرًا، أو هو كما ذكر ابن عصفور قائلا: الفعل هو "ما يصلح أن يبني منه اسم المفعول، ويصلح السؤال عنه بأي شيء وقع"[٢]، أو أن الفعل المتعدي هو "الذي يصل إلى مفعوله بغير حرف جر"[٣].

ذهب علماء البصرة إلى الفعل فتصرفوا فيه بالتضمين، حيث ذكر ابن عصفور (ت٦٦٩هـ): "أن التصرف في الأفعال بالتضمين أولى من التصرف في الحروف بجعل بعضها موضع بعض؛ لأن الحروف بابها لا ينصرف"[٤].

يلحظ في هذا النمط أن الله –تعالى– لما غضب على المشركين، أنزل العقاب بهم؛ لاختيارهم "زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة؛ ولأن الله لا يوفق القوم الذين يجحدون آياته مع إصرارهم على

---

(١) ينظر الموضع الآخر: النحل ١٠٧/١٦.

(٢) شرح المقرب، ابن عصفور ١٤١/١.

(٣) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل ٥٣٣/١.

(٤) ضرائر الشعر، ابن عصفور، ص٢٣٦.

جحودها"[1]، لذلك تضمن الفعل (اسْتَحَبُّوا) معنى (فَضَّلُوا)، فهم المخذولون بكفرهم، ولذلك كان العدل أن تلحقهم سوء العاقبة بهم.

(١) الطبري، تفسير الطبري ٣٠٥/١٧.

المبحث الثالث

التضمين في التركيب الشرطي

في آيات الهدى والضلال

التضمين في التركيب الشرطي في آيات الهدى والضلال:

ورد التضمين في آيات الهدى والضلال في التركيب الشرطي في (٣) ثلاثة مواضع، يمثلهم الأنماط التالية:

النمط الأول: [{أداة امتناع لوجود (متضمنة معنى الشرط)+ فعل الشرط (مقدر)+ جملة جواب الشرط (مصدر مؤول)}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (١) موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[١].

إن إنابة الحرف عن غيره من أبرز ما اهتم به العرب، حيث جعلوا لكل حرف معنى؛ فإن ناب حرف عن آخر في موضع ما تقبله بعض النحاة، منهم الكوفيون، حيث عدوه أسلوبًا صحيحًا لغويا، حيث أقر ابن جني (ت٣٩٢هـ) قبول فكرة التناوب في موضوع دون موضع، وعلى حسب الأحوال الداعية إليه والمسوغة له، فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا[٢].

وينوب الحرف عن غيره إذا كان المعنى متقاربًا، وقد ذكر ابن السراج (ت٣١٦هـ) أنه يقرر أن التعاقب بين الحروف يقوم على التقارب في المعنى، وإلا لم يجز التناوب[٣]؛ لأنه خلاف الأصل.

يلحظ في هذا النمط أن الهداية فضل ومنة من الله –تعالى– على عباده الذين اصطفاهم، ولولاه "ما كنا لنرشد لذلك، لولا أن أرشدنا الله له ووفقنا بمنّه وطَوْله"[٤].

---

(١) الأعراف ٤٣/٧.

(٢) الخصائص، ابن جني ٣٠٨/٢.

(٣) الأصول في النحو، ابن السراج ٤١٤/١.

(٤) تفسير الطبري، الطبري ٤٤٠/١٢، ومفاتيح الغيب،الرازي ٢٤٣/١٤.

وقد تضمنت (لَوْلَا) التي هي حرف الامتناع لوجود معنى الشرط؛ توكيدًا على أن التوفيق لسلوك الطريق المستقيم والعمل الصالح، ذلك ما يكسب النعيم في الدنيا والآخرة، فيجب على المرء أن يمتثل لأوامر الله واجتناب نواهيه وعدم التعصب للهوى الذميم[1].

(١) روح المعاني، الألوسي ٣٦١/٤.

النمط الثاني: ظرف متضمن معنى الشرط+ تركيب شرطي

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (٢) موضعين، يمثلهما الصورتين التاليتين:

الصورة الأولى: [{أداة (للظرف المستقبل متضمنة الشرط)+ فعل الشرط+...+ جملة جواب الشرط}]

ورد التضمين بهذا النمط في آيات الهدى والضلال في الجملة الفعلية في (١) موضع واحد، وهو قوله تعالى:﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[١].

وردت (لمَّا) في لغتنا العربية مستعملة استعمالات عديدة، حيث أنها تستعمل أداة جازمة لفعل واحد، وقد تستعمل على أنها ظرفية بمعنى (حين) متضمنة معنى الشرط، إلا أنها تختص بالدخول على الفعل الماضي، وهي في تضمُّنها معنى الشرط غير جازمة، ولا تدخل على الفعل المضارع، وأما (لمّا) الجازمة النافية فهي مخصوصة بالفعل المضارع، فتجزمه مثل: (لَمْ)، ولا يصح إدخال (لمّا) الحينية على الفعل المضارع، وقد تكون (لمَّا) جازمة لفعل واحد، ومعناها "نفي الماضي المتصل بزمن الحال، ويجوز حذف مجزومها"[٢]، إذا أُمن اللبس.

ذهب ابن السراج (ت٣١٦هـ)، فيذهب إلى أنها ظرف بمعنى (حين) تنفي عن جواب الشرط ما وجب لفعل الشرط، وبناءعلى ذلك فهى لا تقع بعد كلام فيه نفي[٣].

---

(١) الأعراف ١٤٩/٧.

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ١٦٠/١.

(٣) المغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام ٣١٠/١، والمصباح المنير، الفيومي ٩٣٣/٢.

ذهب ابن السراج إلى رأي يغاير رأي النحاة، حيث إن الظرف والجار والمجرور إذا وقعا خبرا أو حالا أو صفة لا يتعلقان بمحذوف تقديره: استقر أو مستقر؛ إذ كان يرى أنها قسم مستقل بنفسه يقابل الجملتين الاسمية والفعلية(١).

يلحظ في هذا النمط أن قوم موسى ندموا على عبادتهم العجل عند رجوع سيدنا موسى –عليه السلام– إليهم، واستسلموا له ولحكمه فيهم، وقد أخذوا في الإقرار بالعبودية وكثرة الاستغفار لله –تعالى– فإن لم يرحمنا الله بقبول التوبة لنكونن من الهالكين.

ويُعني في لغتنا بـ(سقط في يدك) الندم التام على أمر فات كليا أو جزئيا، وقد تضمنت(لما) الظرفية معنى الشرط؛ تقريرًا وتوكيدًا على أن النجاة في قبول الله توبة التائب، ولا سبيل إلى قبولها إلا بالتوبة، والعمل الصالح.

الصورة الثانية: [{ إذا الظرفية (متضمنة الشرط) +
فعل الشرط + جملة جواب الشرط (مقترنة بالفاء)}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (١) موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾(٢).

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل ٢١١/١، وهمع الهوامع، السيوطي ٩٩/١.
(٢) المائدة ٢/٥.

وردت (إذا) في اللغة مستعملة على أنها أداة شرط، إذا كانت شرطًا في وقت،وقد تستعمل ظرفية لما يستقبل من الزمان، متضمنة معنى الشرط، وذلك إذا دخلت على فعل ماض أو مضارع كان نصا في الاستقبال، فهي ترد "زمانًا، وفيها معنى الشرط، وتضاف إلى الجملة الفعليّة، وإذا وقع بعدها اسمٌ كان ثمَّ فعلٌ مقدَّرٌ؛ نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾**[الانشقاق:١]**"(١).

ومن شواهد الشعر ما يدل على استعمال (إذا) ظرفية متضمنة معنى الشرط، قول الخنساء **[بحر البسيط]**(٢):

"تَرْتَعُ ما غَفَلَتْ حتى إذا ادَّكَرَتْ فإنّما هي إقبالٌ وإدبارُ"

وذكر ابن يعيش (ت٦٣٤هـ) أن إعراب (إذا) في البيت: ظرفية شرطية غير جازمة محلها النصب متعلقة بجوابها(٣).

يلحظ في الشاهد أن الله –تعالى– قد نهى عن الصيد أثناء الحج أو العمرة، ويشترط لأن يصير الناسك في حلٍّ أن ينتهي من المناسك والإحرام، وقد وردت "إِذَا لِلشَّرْطِ، وَالْمُعَلَّقُ بِكَلِمَةِ الشَّرْطِ عَلَى الشَّيْءِ عُدِمَ عِنْدَ عَدَمِ ذَلِكَ الشَّيْءِ"(٤)، وقيل: أن موضع الشاهد ورد اعتراضًا؛ ذلك لإنشاء حكم حل الصيد عند التحلل من الإحرام، وقد أفادت الجملة المعترضة "توكيدًا وتسديدًا، وهذه مفيدة حكمًا جديدًا في الصيد، حيث يشترط انتهاء المناسك ليجوز الصيد"(٥).

---

(١) شرح المفصل، ابن يعيش ١/ ٢٤٠، الخصائص، ابن جني ١/ ١٠٦.

(٢) ديوان الخنساء، ص(٣٨٣).

(٣) شرح المفصل، ابن يعيش، ١/ ٢٨٣.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي ١١/ ٢٧٩.

(٥) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٤/ ١٩٤، وينظر: فتح القدير، الشوكاني ٢/ ٨.

الفصل الخامس

ظاهـرة التوسـع في آيـات الهدى والضلال

مفهوم التوسع:

إن التوسع في اللغة العربية هو إقامة لفظ مكان آخر محذوف ويعرب إعرابه؛ وذلك نحو: إقامة المضاف إليه مقام المضاف، كما فى قوله تعالى:﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾(١).

والبر ماهو ألا برُ من آمن بالله، يقول ابن السراج (ت٣١٦هـ): "اعلم أن الاتساع ضرب من الحذف إلا أن الفرق بين هذا الباب والباب الذي قبله –يعنى الإضمار والإظهار– أن هذا تقيمه مقام المحذوف وتعربه إعرابه، وذلك الباب تحذف العامل فيه وتدع ماعمل فيه على حاله فى الإعراب وهذا الباب العامل فيه بحاله"(٢).

ولم يكن على النحاة تحديد التوسع فى الجملة؛ إذ أنها لاتنتهى بحد معين يلزم التوقف لديه، ولكنهم حددوا العناصر غير المؤسسة التى يتم بها الجملة، بحيث تصبح جملة مركبة لا جملة بسيطة.

---

(١) البقرة: ١٧٧.

(٢) الأصول فى النحو، ابن السراج، ط:دار الحديث ٤٦/٢.

والجملة قد تطول من خلال عناصرها المؤسسة نفسها، وذلك إن كانت عناصرها الإفرادية مكونة من مركب اسمى، بأن يكون مصدرًا مؤولا من الحرف المصدرى وصلته، كقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٌ لَّكُمۡ﴾[1]، فالمبتدأ هنا مصدر مؤول.

ويمكن أن تتسع الجملة عن طريق العناصر غير الإسنادية، و"يمكن توزيع العناصر التي تؤدى إلى طول الجملة على عدة مجموعات، بحيث يكون طول الجملة في هذه الحالة آتيا من عدة أمور هي: طول التقييد، وطول التبعية... مع ملاحظة أن بعض العناصر غير الإسنادية قد تكون مركبا اسميا، وأن الجملة الواحدة قد يجتمع فيها نوعان أو أكثر من أنواع الطول"[2].

ويندرج تحت ظاهرة التوسع أنواع عديدة، منها: التقييد، والتعدد وغيرهما؛ ولذا فإننى أوضح أن الدراسة تشمل في التوسع على التوابع:(النعت، والتوكيد، والعطف، والبدل)، والتوسع بالظرف، وبالحال، وبالتمييز، وبالمفعول لأجله، وبالمفعول المطلق، وبالظرف.

أولًا: تبعية النعت: النعت قسمان:

- **الأول: حقيقي:** وهو مايدل على صفة في متبوعه؛ نحو: قطفت وردةً بيضاءَ، وجالست الرجل الخلوقَ، ويتبع منعوته في الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث، فتقول: رجل مهذب، ورجلان مهذبان، ورجال مهذبون، واحترمت المرأة المهذبة والمرأتين المهذبتين، والنساء المهذبات.
- **والآخر: سببي:** وهو مايدل على صفة فيما يتعلق بالمتبوع ويكون مفردًا دائمًا، ويراعى في تذكيره وتأنيثه مابعده؛ نحو: ضافني الرجل الكريم أبوه أو أبواه أو آباؤه.

ثانيًا: تبعية التوكيد: التوكيد نوعان:

- **الأول: لفظي:** وهو إعادة اللفظ أو تقويته بما يوافق معناه، وتقويته باللفظ رفع احتمال التجوز أوالتوهم بالتجوز بمعنى من المعاني فيصير بذلك تقييدًا.
- **الآخر: معنوي:** وتبعيته تكون بما يؤكد أنه تقييد للمؤكد فهو التابع الذي يرفع إرادة غير الظاهر.

---

(١) سورة البقرة، من الآية :١٨٤.

(٢) بناء الجملة العربية، د.محمد حماسة عبد اللطيف، ط:دار غريب،ص٥٩ -٦٠.

ثالثًا: تبعية البدل: وتبعية البدل –أيضًا– من المقيدات، والبدل هو المقصود بالحكم، ويكون المبدل منه هو المعبر إليه، **ومن أنواع البدل:**

- **الأول: بدل مطابق:** كما في قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾(١).
- **الثانى: بدل بعض من كل:** كما في قوله تعالى:﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾(٢).
- **الثالث: بدل كل من بعض:** وذلك نحو قوله تعالى:﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾(٣).
- **الرابع: بدل اشتمال:** كما فى قوله تعالى:﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ﴾(٤).
- **الخامس: بدل الغلط أو النسيان:** وذلك نحو قولك: قرأت كتابًا مجلة، و لم يرد مثل ذلك في آيات الهدى والضلال.

رابعًا: تبعية العطف: إنَ تبعية العطف تكون من خلال المشاركة بين المعطوف عليه والمعطوف، وذلك بواسطة حرف من حروف العطف، ويأتي التقييد في تبعية العطف من حيث أنه " آتٍ

---

(١) الفاتحة: ٦-٧.

(٢) المائدة: ٧١.

(٣) التوبة: ٧٢.

(٤) البروج: ٤-٥.

من أن المعطوف عليه غير مطلق في انفراده بالحكم الذي يكون له، وليس هناك حد تقف عنده تبعية العطف مع بعض الحروف كالواو والفاءعلى سبيل المثال"[1].

ومن أمثلة العطف في القرآن الكريم، قوله تعالى:﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ**﴾[2].

وقد وردت ظاهرة التوسع في آيات الهدى والضلال في (٢٢٩) مائتي وتسعة وعشرين موضعًا، أمكن تصنيفها في المباحث والأنماط التالية:

---

(١) بناء الجملة العربية، د.محمد حماسة عبد اللطيف، ط:دار غريب، ص٦٧.

(٢) البقرة: ١٢٥.

المبحث الأول

التوسع في الجملة الاسمية

في آيات الهدى والضلال

ظاهرة التوسع في الجملة الاسمية:

يتناول هذا المبحث دراسة ظاهرة التوسع في الجملة الاسمية في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم، دراسة نحوية دلالية، وأعني بظاهرة التوسع في هذا المبحث، توسع بأي عنصر على العنصرين الأساسيين المكونين للجملة الاسمية، وهما: المبتدأ، أو الخبر؛ لإفادة دلالات جديدة لا يمكن أن تتحقق إلا بهذا التوسع، وبذلك يدخل في نطاق دلالة مصطلح التوسع وسائل تخصيص كل من المبتدأ والخبر، وكذلك وسائل توضيحهما، وكذلك المعترضات بين المبتدأ والخبر؛ على أساس أن كل ذلك توسع على ركني الإسناد في الجملة الاسمية.

وقد وردت ظاهرة التوسع في الجملة الاسمية في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم، وفق المفهوم السابق في (٧١) واحد وسبعين موضعًا، أمكن تصنيفها وتناولها فيما يلي:

النمط الأول: [جملة اسمية: {خبر+مبتدأ+ صفة للمبتدأ}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (١٧) سبعة عشر موضعًا[١]، يمثل ذلك قول الله تعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٢].

يلحظ في هذا النمط أن المبتدأ الموصوف قد يكون معرفة، كما في الشاهد السابق، وقد يكون نكرة مؤخرًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾[٣].

---

(١) ينظر المواضع التالية: المائدة ٩٥/٥، والمائدة ٩٥/٥، والأنعام ٧١/٦، والأعراف ١٥٩/٧، والأعراف ١٨١/٧، ويوسف ١١١/١٢، والإسراء ٩/١٧، والنور ٥٤/٢٤، وص ٢٦/٣٨، والزمر ٣/٣٩، والشورى ٤٦/٤٢، والجاثية ١١/٤٥، والجاثية ١١/٤٥، والفتح ٢٥/٤٨، والفتح ٢٥/٤٨، والحديد ٢٦/٥٧.

(٢) الأنعام ٦/ ١٤٩.

(٣) الأعراف: ١٨١.

وقد تكون الصفة مفردة، كما في الشاهد الأول، وقد تكون جملة كما في الشاهد الثاني، وقد تكون شبه جملة كما في قوله تعالى:﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ﴾(١).

وقد تتعدد الصفة كما في قوله تعالى:﴿هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ﴾(٢).

وعرف النحاة النعت بأنه: "لفظ يتبع الموصوف في إعرابه تحلية له، وتخصيصًا بذكر معنى في الموصوف أو في شيء من سببه"(٣).

ويعد وصف المبتدأ بالنعت، إحدى عناصر الزيادة التي تطرأ على بنية الجملة الاسمية: المبتدأ، والخبر، والمتكلم يلجأ إلى الوصف؛ ليؤدي دلالات معينة تضاف إلى دلالة الإسناد المستفادة من ركني الجملة الاسمية، وذكر ابن هشام (ت٧٦٢هـ) الدلالات المستفادة من الصفة، وهي: "فَائِدَة النَّعْت: إِمَّا تَخْصِيص نكرَة، كَقَوْلِك: مَرَرْت بِرَجُل كَاتب، أَو توضيح معرفَة؛ كَقَوْلِك: مَرَرْت بزيد الْخياط، أَو مدح؛ نَحْو: بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم، أَو ذمّ؛ نَحو: أعوذ بِاللَّه من الشَّيْطَان الرَّجِيم، أَو ترحم؛ نَحْو: اللَّهُمَّ ارْحَمْ عَبدك الْمِسْكِين، أَو توكيد؛ نَحو قَوْله تَعَالَى:﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ **[الحاقة:١٣]**"(٤).

---

(١) الشورى: ٤٤.

(٢) الجاثية: ١١.

(٣) شرح المفصل، ابن يعيش ٤٧/٣، وشرح الكافية، الاستراباذي ٣٠٢/١، وشرح التصريح، الأزهري ١٠٨/٢، وهمع الهوامع، السيوطي ١١٦/٢.

(٤) شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام، ص: ٢٨٤، والكافية في علم النحو، ابن الحاجب، ص ٢٩.

يلحظ في هذا النمط أن الخبر لم يسند إلى مبتدأ موصوف، وإذا حذفت هذه الصفة تتغير دلالة الجملة، وقد تفقد الجملة دلالة يعنيها المتكلم، كما يمكنها أن تفقد دلالة جانبية لم يصرح بها لفظ الوصف ولكنها فهمت من مضمون الكلام.

ففي الشاهد الأول: يلحظ أن الخبر: (فَلِلَّهِ) ليس مسندًا إلى (الْحُجَّةُ) فحسب، بل هو مسند إلى (الْبَالِغَةُ)، ووصف المبتدأ بهذه الصفة يفيد التخصيص، والتوكيد على أن هذه الحجة يُدفَع بها الأمم التي كذبت دعوة الرسل، ويحتجون بها، ويعبدون الأوثان، والرد عليهم لظنهم أنها حجة على الله، فتلحظ في قوله: (الْبَالِغَةُ) دلالة أنها تبلغ مراده في ثبوتها على مَنْ احتج بها عليه من خلقه، وقَطْعِ عُذْرِه إذا انتهت إليه فيما جُعِلت حجة فيه، وفي ذلك توقيف للمشركين على موضع عجزهم، فتلك الحجة البالغة غاية المقصد، وهي تؤكد أن الإيمان بالله تعالى هو الإيمان المحض، فهو الواحد الأحد الذي أرسل الأنبياء بالحجج التي يعجز البشر عن إنكارها[1]، ولو كانت حجة صحيحة لدفعت عنهم العذاب وما أحله الله بهم؛ لأنه لا يحل بأسه إلا بمن استحقه، فعلم أنها حجة وشبهة فاسدة.

يلحظ في الشاهد الثاني أن الله –تعالى– بعدما أخبر أن كثيرًا من الجن والإنس مخلوقون للنار أتبعه القول عن أمة يهدون أنفسهم وغيرهم بالحق عن النبي ﷺ وعن عيسى υ ويعملون به، وفي هذا الوصف تخصص وتوكيد على وجوب إرشاد الصالحين غيرهم إلى وجوب العمل به، وفي ذلك بيان أن كثيرًا منهم مخلوقون للجنة كما يلحظ من ظاهر لفظ هذه الآية أن اتباع الحق والأمر به "يقتضي كل مؤمن كان من لدن آدم υ إلى قيام الساعة"[2]، ولا يخلون زمان عن قوم موصوفين باتباع الحق[3]، كما أن في ظاهر الآية لايوجد تعيين لصفات أصحاب الحق، بل في ذلك دلالة "لكل هادٍ بِالحق من هذه الأمة وغيرهم وفي زمان الرسول وغيره... وفي هذا تقسيم للمخلوق للنار والمخلوق للجنة"[4]، وبالحق يقوم العدل بين الناس في الحكم بينهم، فهم المنعم عليهم بالإيمان والعمل الصالح، وهم الصديقون الذين يلون مرتبة الرسالة، والله يختص من يشاء.

---

(١)جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري ٢١٢/١٢، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٣٠٣/٢، و الكشاف، الزمخشري ٥٨٥/١، والمحرر الوجيز، ابن عطية ٣٦٠/٢.

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية ٤٨٢/٢.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي ١٥/ ٤١٧– ٤١٨.

(٤) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، تح: صدقي محمد جميل،ط: دار الفكر، بيروت ١٤٢٠هـ، ٢٣٢/٥.

ويلحظ في الشاهد الثالث أن الله –تعالى– هو المنفرد بالهداية والإضلال، وليس للمخذول عن الرشاد ولي يهديه لسبيل الصواب من بعد أن أضله الله، وليس له مرد إلى الدنيا حتى يعمل صالحًا، وفي ذلك الوصف تخصيص، وتوكيد على تحقير أمر الكفار بسبب ظلمهم، وشدة غيهم وإعراضهم عن الله، ومنهج رسوله، فلا يهتم بهم أحد من المؤمنين، وضلالهم يصل بهم إلى ما لا فلاح لهم معه، وقد وصف الله –تعالى– حال الكفار يوم القيامة للنبي ﷺ حيث إن طلبهم سبيل عودة إلى الدنيا فيها دلالة على سوء ما اطلعوا عليه(١)، وحينها يظهرون الندم، والحزن على ما بدر منهم في الدنيا، والعودة إليها طلب غير ممكن.

ويلحظ في الشاهد الرابع أن الله –تعالى– بعدما أخبر عن سوء أفعال المستهزئين بآياته الذين لهم أشد العذاب، ولا يغنيهم ما جمعوا من أموال، ولا يدفع عنهم العذاب من استنصروا بهم ، فسوف يخذلهم كل باطل اتبعوه، ثم أخبر الله تعالى بقوله:(هَذَا هُدًى) بأن سيدنا محمد ﷺ سينزل عليه الوحي الذي فيه دليل على الحق، وفي هذا الوصف العام تخصيص وتوكيد على أن كل آيات القرآن فيها الهداية إلى الصراط المستقيم؛ حيث معرفة الله تعالى بكل صفاته المقدسة، كما فيه من هداية إلى معرفة رسل الله وأوليائه وأعدائه، وصفات كل منهم، هذا بالإضافة إلى الهداية إلى الأعمال الصالحة، ودعوة إلى العمل بها، وبيان للأعمال السيئة المنهي عنها، ويترتب على ذلك الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة، وأما الذين كفروا بربه، وبآياته الواضحة التي لا يكفر بها إلا من اشتد ظلمه، لهم عذاب شديد لا ينكشف(٢)، ويدل على ذلك قوله تعالى:﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾(٣).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري ٥٥١/٢١، والمحرر الوجيز، ابن عطية ٤١/٥.

(٢) المرجع السابق: ٦٤/٢٢، والكشاف، الزمخشري ٢٨٧/٤، والمحرر الوجيز، ابن عطية ٨١/٥، ومفاتيح الغيب، الرازي ٦٧٢/٢٧– ٦٧٣.

(٣) البقرة: ٥٩.

النمط الثاني: [جملة اسمية: {مبتدأ+ خبر+ صفة للخبر}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (٣٥) خمسة وثلاثين موضعًا[١]، يمثل ذلك قول الله تعالى:﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ﴾[٢].

يلحظ في الشاهد السابق ورود الصفة مفردة ، وقد تكون الصفة جملة ، كما في قوله تعالى:﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌ﴾[٣]، وقد تكون الصفة شبه جملة، كما في قوله تعالى:﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[٤]، كما يلحظ أيضًا في شاهد هذا النمط، ورود الصفة نكرة، وقد تكون معرفة، ولكنها لم ترد معرفة في آيات الهدى والضلال.

---

(١) ينظر المواضع التالية: الأنعام ٩٠/٦،ويوسف ٨/١٢، ويوسف ٩٥/١٢، ويوسف ١١١/١٢، وإبراهيم ١٨/١٤، والكهف ١٣/١٨، والكهف ١٧/١٨، والمؤمنون ١٠٦/٢٣، والنور ٣٥/٢٤، والنور ٣٥/٢٤، والنور ٣٥/٢٤، والقصص ١٥/٢٨، والقصص ٨٥/٢٨، ولقمان ٥/٣١، وسبا ٣٤/ ٢٤، ويس ٢٤/٣٦، وص ٢٢/٣٨، والزمر ٢٢/٣٩، والزمر ٢٢/٣٩، والزمر ٣٧/٣٩، وفصلت ٥٢/٤١، والشورى ١٨/٤٢، والشورى ٤٤/٤٢، والزخرف ٤٠/٤٣، والجاثية ٢٠/٤٥، والأحقاف ١٠/٤٦، والأحقاف ٣٢/٤٦، والفتح ٢٠/٤٨، وق ٢٧/٥٠، والنجم ٢٣/٥٣، والنجم ٢٣/٥٣، والواقعة ٩٢/٥٦، والجمعة ٢/٦٢، والملك ٢٩/٦٧.

(٢) الأحقاف ١١/٤٦.

(٣) النور: ٣٥.

(٤) الأعراف: ٢٠٣.

أشار المبرد (ت٢٨٥هـ) إلى إعراب النعت بأن "النَّعْت يرْتَفع بِمَا يرْتَفع بِهِ المنعوت، فَإِذا قلت جَاءَ زيد وَذهب عَمْرو العاقلان لم يجز أَن يرْتَفع بفعلين، فَإِن رفعتهما بجاء وَحدهَا فَهُوَ محَال؛ لِأَن عبد الله إِنَّمَا يرْتَفع بِذَهَب، وَكَذَلِكَ لَو رفعتهما بِذَهَب لم يكن لزيد فِيهَا نصيب"[١]، ولا يعد صفة (نعتا) إلا "كل ما فرق بين موصوفين مشتركين في اللفظ"[٢]، والنعت تابع إعرابيا للمنعوت، من حيث الرفع، أو النصب، وقد تتعدد الصفة في الجملة، ولكن الخبر في الجملة الاسمية في آيات الهدى والضلال لم يرد موصوفا بعدة صفات، بل ورد موصوفًا بصفة واحدة.

ويعد وصف الخبر، وفق التعريف النحوي للصفة، أن الصفة إحدى عناصر التوسع الطارئة على بداية الجملة الاسمية، والتي يلجأ إليها المتكلم لأداء دلالات معينة تضاف إلى دلالة الإسناد المستفادة من ركني الجملة الاسمية الأساسيين: المبتدأ، والخبر.

يلحظ في هذا النمط فيه أن الخبر الموصوف فيه إضافة دلالات لم تكن موجودة من قبل وجود الصفة، ففي الشاهد الأول يلحظ أن المسند ليس قوله تعالى:(إِفْكٌ)، فحسب، بل أسندت الصفة إلى المسند، وهي قوله تعالى: (قَدِيمٌ) ، وفي إضافة الصفة إلى الخبر دلالة تخصيص وتوكيد على أن كلام الله –تعالى– فيه نفاذ إلى قلوب المؤمنين، حيث أن كفار مكة قد أقروا بعظيم أثر الإيمان في قلب كل مؤمن، ولم يكن أبدًا إفك، حيث آمن الفقراء؛ مثل: "عمار، وصهيب، وابن مسعود، فلو كان ما جاء به خيرا ما سبقنا إليه هؤلاء، وقيل: لما أسلمت جهينة ومزينة وأسلم وغِفار قالت بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع: لو كان خيرا ما سبقنا إليه رعاء البهم، وقيل: إن أمة لعمر أسلمت، فكان عمر يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا أني فترت لزدتك ضربا... وكفار قريش كانوا يقولون: لو كان ما يدعو إليه محمد حقا، ما سبقتنا إليه فلانة"[٣]، وفي هذه الآية الكريمة بيان للخطر الجثيم على هؤلاء الكفار وأتباعهم ممن كذبوا آيات الله، وقد ورد في المحرر الوجيز في ذلك أن "هذه الآية توقيف على الخطر العظيم الذي هم بسبيله في أن يكذبوا بأمر نافع لهم منجى من العذاب دون حجة ولا دليل لهم على التكذيب"[٤]، وكل حججهم

---

(١) المقتضب، المبرد ٣١٥/٤.

(٢) الأصول في النحو، ابن السراج ٣٢/٢.

(٣) الكشاف، الزمخشري ٣٠٠/٤.

(٤) المحرر الوجيز، ابن عطية ٩٤/٥.

هي تعزية لأنفسهم، فهم لم يقدروا على اتباع الهدى، وما كان كلام الله وهدي نبيه أبدًا إلا نجاة وطريق سعادة في الدنيا والآخرة، وذلك ثابت في التوراة المنزلة من قبل على سيدنا موسى ʊ ولم ينكر الكفار ذلك، ومن ثم فيجب ألا ينازع في إنزال القرآن الكريم.

ويلحظ في الشاهد الثاني أن قوله: (كَمِشْكَاةٍ) ليس المسند فقط، بل المسند للخبر أيضًا الوصف بالجملة الاسمية، وهي قوله: (فِيهَا مِصْبَاحٌ)، حيث أن المصباح في المعنى، ويجوز أن يكون النور هو كتابه الكريم[١]، نور من الحق كمثل المشكاة ؛ فالله تعالى ليس له ند ولا شريك ولا شبيه ولا مثيل، وهذا النور هو نور ذات الله– تعالى– وكذلك نوره المعنوي ومثل ذلك النور الذي يهدي الله إليه، وهو نور الإيمان في قلب كل مؤمن، ونور الإيمان أشبه بالمشكاة، وهي الكوَّة في الجدار غير النافذة التي فيها مصباح، والكوة تجمع نور المصباح الضخم الثاقب؛ لئلا يتفرق، وتلك دلالة على كون الموفق لإصابة الحق والهدى موفق من جراء النظر والتدبر بعين عقله[٢]، وقيل: المشكاة المراد بها: "الرسول أو صدره، والمصباح هو النبوة ، وما يتصل بها من علمه وهداه، والزجاجة قلبه"[٣]، والله –تعالى– "بقدرته أنارت أضواؤها واستقامت أمورها وقامت مصنوعاتها"[٤]، وفي دلالات ذلك الوصف تخصيص، وتوكيد على أن الله –تعالى– ليس كمثله شيء، وهو يهدي إلى الصراط المستقيم، وكتابه وهدي نبيه ينجيان من ظلمات الغى والضلال إلى الإيمان والرشاد.

ويلحظ في الشاهد الثالث أن الكفار ما زالوا مكذبين للنبي ﷺ في عناد شديد، ولو جاءهم النبي ﷺ بمعجزات دالة على مدى صدقه أبدا ما انقادوا له، بل إنهم سيقولون عن المعجزة:(لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا) أي: هلا اجتمعتها واخترت الآية، افتعالا من عند نفسك فصارت الآية الفلانية، أو المعجزة الفلانية كأنك أنت المنزل للآيات، أخذتها منزلة عليك مقترحة[٥]، ولم يدرك هؤلاء الضالون أنه ليس لك من الأمر شيء، فيجيبهم النبي –صلى الله عليه وسلم– بقوله تعالى:﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن

---

(١) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٤٣/٤.

(٢) الكشاف، الزمخشري ٢٤١/٣.

(٣) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان،تح: صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر، بيروت١٤٢٠هـ، ٤٤/٨.

(٤) المحرر الوجيز، ابن عطية ١٨٣/٤.

(٥) الكشاف، الزمخشري ١٩٢/٢.

رَّبِّي ﴾[1]، فأنا عبد متبع مدبَّر، ومن ثم ندرك أن المسند ليس قوله تعالى: (بصائر)، فحسب بل أسندت الصفة إلى المسند، وهي قوله تعالى: (من ربكم)، وفي إضافة الصفة إلى الخبر دلالة تخصيص وتوكيد على أن الله –تعالى– هو الذي ينزل الآيات على رسله، يعلمون ما أرسلوا إليهم من الأمم بحجج لا تبطل أبدًا؛ لأن القرآن الكريم يدرك به كل المطالب الإلهية والمقاصد الإنسانية، ففي قوله تعالى:﴿هَـٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2]، وفي ذلك تخصيص للقرآن بأنه "لما كان القرآن سببا لبصائر العقول في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد، أطلق عليه لفظ البصيرة، تسمية للسبب باسم المسبب"[3]، والبصائر هي:"الطرق، وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ مَعْطُوفٌ عَلَى بَصَائِرَ، أَيْ: هذا القرآن هو بصائر وهدى يهتدي به المؤمنون ورحمة لهم"[4]، والقرآن هو الدليل الموصل إلى العلا، والفوز بالدنيا والآخرة لكل من تفكر فيه وتدبره، ولكل من علم أنه تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل أبدًا، وبالقرآن قد قامت الحجة الدامغة على كل من وصل إليه، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون.

وبملاحظة السياقات التي ورد فيها وصف كل من المبتدأ والخبر، في النمطين السابقين، وكذلك حال وصول كلام الله إلى المخاطب، نلحظ أن ذلك قد ارتبط بسياق يتضح فيه للمخاطب أمرًا ملبسًا، عندئذ يكون اللجوء إلى التخصيص والتوكيد والتوضيح لكل ماهو مراد بالوصف.

---

(١) الأعراف: ٢٠٣.

(٢) الأعراف: ٢٠٣.

(٣) مفاتيح الغيب ٤٣٩/١٥.

(٤) فتح القدير، الشوكاني ٣١٩/٢.

النمط الثالث: [جملة اسمية: فعل ناسخ + اسم الناسخ(ضمير متصل) + توكيد (لفظي) لاسم الناسخ + ... + خبر الناسخ]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (١) موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[١].

قسم النحاة التوكيد إلى: لفظي، ومعنوي، **أما التوكيد اللفظي** فيكون "إما توكيد بتكرير الاسم، وإما أن يؤكد بما يحيط به"[٢]، ذلك التكرير يكون، بتكرير الاسم، أو الفعل، أو الحرف، أو الجملة، والمظهر، والمضمر بلفظه، ومنه –أيضًا– قول حميد بن ثور **(بحر الطويل)**[٣]:

"أَلا يا اسْلَمِي ثمَّ اَسلمي ثُمَّت اسْلَمِي ثَـــلاثَ تَحِيـــات وإن لم تَكَلَّمِـــي"

فقد أكد الجملة الأمرية بتكريرها مرتين.

وأما التوكيد المعنوي يكون بإعادة أو تكرير المعنى دون اللفظ، وذلك بألفاظ معينة؛ وشروط معينة؛ **نحو:** مررت بزيد نـفـسه ، فعل الرجلان **كلاهما**، تحدثت الفتاتان **كلتاهما**، قام القوم **أنفسهم**[٤].

وأشار النحاة إلى أن التوكيد له بُعد دلالي عام، ألا وهو "تمكين المعنى في نفس المخاطب وإزالة الغلط في التأويل، وذلك من قبيل أن المجاز في كلامهم كثير شائع، يعبرون بأكثر الشيء عن جميعه،

---

(١) الأنبياء ٢١ /٥٤.

(٢) الأصول في النحو، ابن السراج ١٩/٢، وشرح المفصل، ابن يعيش ٢١٩/٢.

(٣) البيت لحميد بن ثور في ديوانه، ص١٣٣.

(٤) الأصول في النحو، ابن السراج ٢٠/٢-٢٣.

وبالمسبب عن السبب، ويقولون: قام زيد، ويجوز أن يكون الفاعل غلامه أو ولده، وقام القوم، ويكون القائم أكثرهم"[١]، ومن ثم أسماه ابن جني: الاحتياط[٢].

يلحظ في هذا النمط أن التوكيد اللفظي، هو قوله تعالى: (أَنْتُمْ)، وهو توكيد لفظي لاسم الفعل الناسخ، وهو الضمير المتصل(التاء) في قوله تعالى:(كُنْتُمْ)، وفي إجابة إبراهيم υ بهذه الآية على الكفار متبعي الضلال تمكين المعنى في نفس المخاطب، ألا وهو قبح استمرار الكفار مقلدين آبائهم في عبادة الأوثان دون برهان على مذهبهم الباطل، حيث "قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم، وهم معتقدون أنهم على شيء، وجادّون في نصرة مذهبهم، ومجادلون لأهل الحق عن باطلهم"[٣]، وفي إجابته على الكفار–أيضًا– تمكين معنى، وهي أن إبراهيم υ "بَيَّنَ أَنَّ الْبَاطِلَ لَا يَصِيرُ حَقًّا بِسَبَبِ كَثْرَةِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِهِ، فَلَمَّا حَقَّقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَجِدُوا مِنْ كَلَامِهِ مَخْلَصًا وَرَأَوْهُ ثَابِتًا عَلَى الْإِنْكَارِ قَوِيَّ الْقَلْبِ فِيهِ"[٤]، فقد عبدوا ما لا يضر ولا ينفع، وما لا يسمع ولا يبصر، فهو أقبح الضلال، وخسرانهم "وَاضِحٍ ظَاهِرٍ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَلْتَبِسُ عَلَى ذِي عَقْلٍ"[٥]، فهذا ضلال بيِّن، وضلال الشرك وترك التوحيد هو أبلغ الضلال.

(١) شرح المفصل، ابن يعيش ٣/٤٠.
(٢) الخصائص، ابن جني ٣/١٠٣.
(٣) الكشاف، الزمخشري ٣/ ١٢٢.
(٤) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٢/١٥٢.
(٥) فتح القدير، الشوكاني ٣/٤٨٦.

النمط الرابع: العطف على المبتدأ والخبر

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (٦) ستة مواضع، أمكن تناولهم في الصورتين التاليتين:

الصورة الأولى: [جملة اسمية: {خبر مقدم (جار ومجرور) + مبتدأ + حرف عطف (الواو) + معطوف على المبتدأ}]

وردت هذه الصورة في آيات الهدى والضلال في (٣) ثلاثة مواضع[١]، يمثل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[٢].

ورد العطف في الشاهد السابق بحرف (الواو)، والعطف بها يقتضي الجمع المطلق بين المتعاطفين؛ "فإنّ الواو معناها الجمعُ المُطْلَقُ من غير ترتيب"[٣]، حيث عطف قوله (نور) على المبتدأ المؤخر (هدى)، وفي ذلك دلالة جمع مطلق بينهما دون ترتيب.

يلحظ في الشاهد السابق أن العطف أفاد توكيد الله –تعالى– على أن التوراة التي نزلت على سيدنا موسى υ ترشد القوم إلى الإيمان بالله، وبدين الحق، وبوجوب الإيمان بسيدنا محمد ﷺ واتباعه للنجاة في الدنيا والآخرة؛ حيث أن التوراة تشتمل على النور الذي يستضاء به في ظلام الجهل، وفي كل حيرة، وفي كل شك، وبها تدفع الشبهات، والشهوات؛ فالتوراة "فيها نور أي بيان أن أمْر رَسُول اللَّهِ ﷺ

---

(١) ينظر: المائدة ٤٦/٥، والأعراف ١٥٨/٧.

(٢) المائدة ٤٤/٥.

(٣) شرح المفصل، ابن يعيش ٥٧/١، والمقتضب، المبرد ١٠/١، والأصول في النحو، ابن السراج ٥٥/٢، والجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص١٥٨.

حق"[١]، وفي التوراة إنقاذ للناس إذا انقادوا لأوامر الله، ونواهيه، كما أن الآية تؤكد أن الأنبياء كلهم اتبعوا سبل الهدى، وامتثلوا لأوامر الله ونواهيه، فما الذي منع القوم الضالين أن يهتدوا مثلهم؟، وما الذي منعهم الاقتداء بأشرف الخلق، سيدنا محمد ﷺ والامتثال لدعوته؟، فهم أئمة الضلال الذين يدعون إلى النار، وهناك فرق بين الهدى والنور، حيث أن"الْهُدَى مَحْمُولٌ عَلَى بَيَانِ الْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ وَالتَّكَالِيفِ، وَالنُّورُ بَيَانٌ لِلتَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ"[٢].

الصورة الثانية: [جملة اسمية: مبتدأ + خبر + حرف عطف (أو) + معطوف على المبتدأ]

وردت هذه الصورة في آيات الهدى والضلال في (٣) ثلاثة مواضع[٣]، يمثل ذلك قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ﴾[٤].

ورد العطف في الشاهد السابق بحرف (أو)، والعطف به يقتضي الإشراك في الإعراب لا في المعنى؛ لأنك إذا قلت: قام زيد أو عمرو، فالفعل واقع من أحدهما[٥]، فقد عطف قوله (كفارة) على المبتدأ (جزاء)، وفي ذلك دلالة على أن المعنى غير متفق بين المعطوف والمعطوف عليه ؛ ولذا اختير أداة العطف (أو) التي تشرك المعطوف المعطوف عليه إعرابًا فقط.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ١٧٨/٢، والكشاف، الزمخشري ٦٣٦/١، والمحرر الوجيز، ابن عطية ١٩٥/٢، ومفاتيح الغيب، الرازي ٣٦٥/١٢.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٣٦٥/١٢.

(٣) ينظر: المائدة ٩٥/٥، ويوسف٨/١٢.

(٤) المائدة ٩٥/٥.

(٥) رصف المباني، المالقي، ص١٣١، الجنى الداني والمرادي، ص ٢٧٧، ومغني اللبيب، ابن هشام ٥٩/١-٦٥.

يلحظ في الشاهد السابق نهي الله –تعالى– عن قتل الصيد، أو البدء في مقدمات القتل، أو المشاركة في القتل، كل منهي عنه عنه في حال الإحرام، ومن قتل متعمدًا فعليه كفارة، أي: الإبل، أو البقر، أو الغنم ، فينظر ما يشبه شيئا من ذلك ، فيجب عليه مثله، يذبحه ويتصدق به، واستخدم العطف بـ(أو) دلالة على تنوع وتعدد صور الكفارات، كل فعل له كفارته التي تقتضيه، وفي الشاهد إشارة –أيضًا– إلى أن الهدْيَ لا بد أن يذبح في الحرم[1]، ولم تكن تلك الجزاءات على المتعمد إلا تعظيما لهذه النسك العظيم.

(١) الكشاف،الزمخشري ٦٧٨/١،والمحرر الوجيز،ابن عطية ٢٣٦/٢، ومفاتيح الغيب، الرازي ٤٣١/١٢،وفتح القدير، الشوكاني ٨٩/٢.

النمط الخامس: [جملة اسمية: فعل ناسخ + اسمه + توكيد (لفظي) + حرف عطف + اسم معطوف على اسم الناسخ + خبر الناسخ (شبه جملة)]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (١) موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[١].

عديدة هي حروف العطف، ولكل حرف منها معنى خاص به، يدخل الجملة الاسمية، أو الفعلية يؤدي معنى لا يؤديه حرف آخر، وكان العطف في الشاهد السابق بحرف (الواو)، والعطف بها يفيد الجمع المطلق بين المتعاطفين؛ "فإنّ الواو معناها الجمعُ المُطْلَقُ من غير ترتيب"[٢]، وقد عطف قوله (آباؤكم) على اسم الناسخ، الضمير المتصل (التاء)، وفي ذلك العطف دلالة الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه في المعنى والإعراب.

يلحظ في الشاهد السابق أن الكفار معاندين مقلدين آباءهم في عبادة التماثيل التي لا تنفع ولا تضر، فقد عكفوا عليها، أي: استمروا على عبادتها ولزموها، وقد خاطبهم الله بذلك التحقير لهم وآلهتهم وتقليدهم آباءهم، فـ"ما أقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان، وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين"[٣]؛ ولذلك لم يجد الكفار إجابة على سيدنا إبراهيم υ إلا بالتقليد، ولكنه "لَا جَرَمَ أَجَابَهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ: لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ فَبَيَّنَ أَنَّ الْبَاطِلَ لَا يَصِيرُ حَقًّا بِسَبَبِ كَثْرَةِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِهِ، فَلَمَّا حَقَّقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَجِدُوا مِنْ كَلَامِهِ مَخْلَصًا وَرَأَوْهُ ثَابِتًا عَلَى الْإِنْكَارِ قَوِيَّ الْقَلْبِ فِيهِ"[٤]، والتمسك بتقليد الآباء، لا طائلة منه مالم يقم على دليل مقنع أن في تقليدهم الصواب، والتقليد في الضلال أشبه بـ"الْحَبْلُ الَّذِي يَتَشَبَّثُ بِهِ كُلُّ غَرِيقٍ، وَهُوَ التَّمَسُّكُ بِمُجَرَّدِ تَقْلِيدِ الْآبَاءِ"[٥]،

---

(١) الأنبياء ٥٤/٢١.

(٢) شرح المفصل، ابن يعيش ٥٧/١، والمقتضب، المبرد ١٠/١، والأصول في النحو، ابن السراج ٥٥/٢، والجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص ١٥٨.

(٣) الكشاف، الزمخشري ١٢١/٣.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي ١٥٢/٢٢.

(٥) فتح القدير، الشوكاني ٤٨٦/٣.

والعطف في الشاهد فيه تنوع وتعدد الخسارات التي تلحق بالآباء، ومن قلدهم، والعطف بـ(الواو) فيه دلالة على أن هذا الخسران، والضلال كما ينطبق على الكفار، قد ينطبق –أيضًا– على المقلد من أهل الإسلام، الذي استبدل بكتاب الله، وسنة النبي–صلى الله عليه وسلم– كتبا مذكور فيها اجتهادات عالم إسلامي زعم أنه لم يقف على دليل يخالفها، وذلك إما لقصور منه، أو لتقصير في البحث، فوجد ذلك الدليل من وجه، وضل عنه من ضل[1]، ودائما وأبدًا ما يكون الضلال مبين، أي: يكون الضالون في "حَيْرَةٍ وَاضِحَةٍ لَا الْتِبَاسَ فِيهَا، وَحَكَمَ بِالضَّلَالِ عَلَى الْمُقَلِّدِينَ وَالْمُقَلِّدِينَ وَجَعَلَ الضلال مستقرا لهم"[2].

(١) فتح القدير، الشوكاني ٤٨٦/٣.

(٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان ٤٤٢/٧.

النمط السادس: [جملة اسمية: {مبتدأ+ خبر+ حرف عطف+ حرف نفي+ اسم معطوف على خبر المبتدأ}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (٦) ستة مواضع[١]، يمثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[٢].

أشار النحاة إلى أن العطف بـ(الواو) يفيد الجمع المطلق بين المتعاطفين؛ فـ"إنّ الواو معناها الجمعُ المُطْلَقُ من غير ترتيب"[٣]، وقد عطف قوله(الإيمان) على خبر المبتدأ وهو(الكتاب)، وفي ذلك الجمع دلالة على التنوع والتعدد من وراء الجمع المطلق بين المعطوف والمعطوف عليه، وذلك بدون ترتيب.

يلحظ في الشاهد السابق أن الله –تعالى– أنزل القرآن، وسماه (روحًا)؛ نظرًا لكونه يحي القلوب كالروح التي تحيي الجسد، هذا بالإضافة إلى كونه يحي الدين والدنيا، واستخدام العطف بـ(الواو) فيه دلالة على تنوع وتعدد نعم الله العظيمة على النبي ﷺ وأعظمها، القرآن الكريم؛ لاشتماله على الخير الكثير، والفوائد الجمة من علم غزير.

إن هذا القرآن منة من الله على سيدنا محمد ﷺ لم يكن يدركه قبل نزوله، ولم يكن يدرك أخبار الكتب السابقة، ولا الشرائع الإلهية إلى أن نزل على النبي ﷺ القرآن، وصار القرآن نعمة من الله،

---

(١) ينظر: الأنعام ٨٢/٦، والأعراف ٢٠٣/٧، والإسراء ٧٢/١٧، ومريم ٧٥/١٩، والنمل ٢/٢٧.

(٢) الشورى ٥٢/٤٢.

(٣) شرح المفصل، ابن يعيش ٥٧/١، والمقتضب، المبرد ١٠/١، والأصول في النحو، ابن السراج ٥٥/٢، والجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص١٥٨.

وهي هداية الله له[1]، وكل صار نورًا يستضاء به في ظلمات الكفر والغي والضلال، يعرف به الحق، والهداية إلى الصراط المستقيم، وبه يبين لكل ضال، وعاص طريق الإيمان، والإيمان هو"اسم يتناول أشياء: بعضها الطريق إليه العقل، وبعضها الطريق إليه السمع، فعني به ما الطريق إليه السمع دون العقل، وذاك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي، كما أن الإيمان "عِبَارَةٌ عَنِ الْإِقْرَارِ بِجَمِيعِ مَا كَلَّفَ الله تعالى به"[2]، وبه يرغب البشر في الاتباع، والاهتداء؛ والبشر مكلفون باتباعه دون سواه؛ لأنه"هُوَ الَّذِي يُعْرَفُ بِهِ الْأَحْكَامُ، فَلَا جَرَمَ شُبِّهَ بِالنُّورِ الَّذِي يُهْتَدَى بِهِ"[3]، وبه فسر النبي ﷺ للبشر أن الصراط المستقيم، هو الصراط الذي أمر الله به عباده أنه السبيل إليه وإلى الجنة.

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان ٣٥٢/٩.

(٢) الكشاف، الزمخشري ٢٣٥/٤، ومفاتيح الغيب، الرازي ٦١٥/٢٧.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي ٦١٥/٢٧.

النمط السابع: [جملة اسمية: {مبتدأ + بدل من المبتدأ + خبر}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (٣) ثلاثة مواضع[١]، يمثلها قوله تعالى:

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾[٢].

ذهب جمهور النحاة أنه يجوز إبدال الاسم من الاسم، والفعل من الفعل، والجملة من الجملة، ولا يشترطون في إبدال الاسم من الاسم ورود الاسم مرتبطًا بوظيفة نحوية معينة؛نحو: الابتدائية، أو الخبرية، أو...[٣]، ومن ثم يمكننا القول بإمكانية البدل من المبتدأ كما في هذا النمط.

يلحظ في هذا الشاهد السابق أن قوله: (الضلال)، بدل من (ماذا)، ونوع البدل: بدل كل من كل، وفي ذلك زيادة توكيد على أن الله هو المعبود، المنفرد بالتدبير لكل ما خلق، واستخدام (فماذا بعد الحق إلا الضلال) "يعني أن الحق والضلال لا واسطة بينهما، فمن تخطى الحق وقع في الضلال فأنى تصرفون عن الحق إلى الضلال، وعن التوحيد إلى الشرك، وعن السعادة إلى الشقاء"[٤]، فإذا كان الاتباع الهدى حقا وجب أن يكون الاتباع الضلال باطلا؛ لأن"ثبوت ربوبية الرب سبحانه حق بإقرارهم فكان غيره باطلا؛ لأن واجب الوجود يجب أن يكون واحدا في ذاته وصفاته"[٥].

كما أن قوله: "فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ للتقريع والتوبيخ إن كانت (ما) استفهامية"[٦]، ومن العجب أن ينصرف العبد عن الحق الظاهر إلى الضلال، وبين الطريقين بون شاسع، والمآل المترتب على كل منهما واضح.

---

(١) ينظر: البقرة ٢/٢، والإسراء ٩/١٧.

(٢) يونس ٣٢/١٠.

(٣) شرح الكافية، الاستراباذي ٣٤٢/١، شرح التصريح، الأزهري ١٦١/٢، همع الهوامع، السيوطي ١٢٨/٢، حاشية الصبان، الصبان ١٢٩/٣-٣١.

(٤) الكشاف، الزمخشري ٣٤٥/٢، ومفاتيح الغيب، الرازي ٢٤٧/١٧.

(٥) فتح القدير، الشوكاني ٥٠٤/٢.

(٦) فتح القدير، الشوكاني ٥٠٤/٢.

ويلحظ في الشاهد الآخر، وهو قوله تعالى:﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾، حيث أن التوكيد بالبدل (القرآن) من اسم الإشارة (هذا) المبني في محل نصب اسم (إن وجلاله، فهو أعدل وأرقى الأخلاق، فهو يهدي "للتي هي أقوم للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدها"(١)، فالقرآن سبيل النجاة، ومن اتبع غير أضله الله "وهو حبل الله المتين، والذكر الحكيم والصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به فلج، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم"(٢).

(١) الكشاف، الزمخشري ٢/٥٦١.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٢/٢٥١.

النمط الثامن: [جملة اسمية: {مبتدأ+ خبر+ بدل من الخبر}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (١) موضع واحد، وهو قوله تعالى:

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾[١].

أشار بعض النحاة إلى أن البُعد الدلالي المقصود من الإبدال، هو "توكيد الحكم وتقريره"[٢]، هذا بالإضافة إلى أن التأكيد علنى إسناد الخبر إلى المبتدأ، وقد ألمح ابن يعيش إلى البُعد بقوله: والغرض من ذلك "البيان، وذلك بأن يكون للشخص اسمان أو أسماء، ويشتهر ببعضها عند قوم، وببعضها عند قوم آخرين، فإذا ذكر أحد الاسمين خاف ألا يكون ذلك الاسم مشتهرًا عند المخاطب، ويذكر ذلك الاسم الآخر على سبيل بدل أحدهما من الآخر للبيان وإزالة ذلك التوهم"[٣]، ومن ثم يمكننا القول بإمكانية البدل من خبر المبتدأ كما في هذا النمط.

يلحظ في هذا النمط أن دلالة التوكيد تطرد مع البدل الكل من الكل، كما في الشاهد السابق، فالبدل (ربكم) والمبدل منه (الله) الوراد خبرًا للمبتدأ اسم الإشارة (هذا)، وفي البدل من خبر المبتدأ توكيد على أن الله –تعالى– هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، لا شبيه ولا شريك له، مقسم الأرزاق، المنعم على عباده، فما من نعمة إلا منه –سبحانه وتعالى– وهو المدبر لهذا الكون، فذلكم إشارة إلى من هذه قدرته وأفعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر[٤]، ومدقق النظر في آيات الله يتيقن امتناع أن يكون النقضيان "حقين وأن يكونا باطلين، فإذا كان أحدهما حقا وجب أن يكون ما سواه باطلا"[٥].

---

(١) يونس ٣٢/١٠.

(٢) شرح التصريح، الأزهري ١٥٥/٢، وهمع الهوامع، السيوطي ١٢٥/٢، حاشية الصبان، الصبان ١٢٣/٣.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل ٦٣/٣-٦٤.

(٤) الكشاف، الزمخشري ٣٤٥/٢.

(٥) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٤٧/١٧.

ندرك من نمط الإبدال من المبتدأ أو من الخبر، أن البعد الدلالي المقصود منه هو إزالة اللبس والغموض عن قدْر الله Y ووحدانيته، وتخصيصه بالعبادة لا غيره ، ووجوب الامتثال إلى أوامره ونواهيه.

المبحث الثاني

ظاهرة التوسع في الجملة الفعلية

في آيات الهدى والضلال

ظاهرة التوسع في الجملة الفعلية:

يتناول هذا المبحث دراسة ظاهرة التوسع في الجملة الفعلية في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم، دراسة نحوية دلالية، وأعني بظاهرة التوسع في هذا المبحث، توسع بإضافة أي عنصر على العناصر الأساسية المكونة للجملة الفعلية كما أشار النحاة، وهي: الفعل اللازم، والفاعل، أو الفعل المتعدي، والفاعل، والمفعول به؛ وذلك لإضافة دلالات جديدة لم تكن تتحقق إلا بهذا التوسع.

وقد وردت ظاهرة التوسع في الجملة الفعلية في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم، وفق المفهوم السابق في (٣٨٥) ثلاثمائة وخمسة وثمانين موضعًا، أمكن تصنيفها في الأنماط التالية:

النمط الأول: جملة فعلية: {فعل+...+ فاعل+ نعت للفاعل}

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (٩) تسعة مواضع[١]، يمثل ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٢].

يلحظ في هذا النمط أن النعت قد يكون مفردًا كما في الشاهد السابق، وقد يكون جملة، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ

(١) ينظر: المائدة ٩٥/٥، والأنعام ١٥٧/٦، ويونس ٥٧/١٠، ويوسف ٣٠/١١، غافر ٢٨/٤٠، غافر ٢٨/٤٠، غافر ٢٨/٤٠، والأحقاف ١٠/٤٦.

(٢) المائدة ٤٤/٥.

وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾[1]، وقد يكون شبه جملة كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ﴾[2].

عديدة هي الدلالات المقصودة من وراء ذكر النعت في الجملة، منها: تخصيص الموصوف، أو توضيحه، أو لمجرد المدح أو الذم، فقد عرف النحاة النعت بأنه: "لفظ يتبع الموصوف في إعرابه تحلية له، وتخصيصًا بذكر معنى في الموصوف أو في شيء من سببه"[3]، وتختلف الدلالة المعنية من السياق.

يلحظ في الشاهد السابق أن التوراة قد أنزلت على سيدنا موسى υ كي يهدي الناس إلى الإيمان، ويبتعدون عن الضلال، ولا يوجد مانع بدليل صادقة حتي يعرض الكفار عن الهداية، وكل ممتنع عن الإيمان بالكتاب، ماهو بمؤمن صادق[4]، ويحكم الأنبياء بين اليهود، وقد وصف الفاعل (النبيون) بالاسم الموصول (الذين)؛ لإفادة التخصيص والتوكيد على أن المراد أنه يريد:"النبيين الذين كانوا بعد موسى، وذلك أن الله تعالى بعث في بني إسرائيل ألوفا من الأنبياء ليس معهم كتاب، إنما بعثهم بإقامة التوراة حتى يحدوا حدودها ويقوموا بفرائضها ويحلوا حلالها ويحرموا حرامها"[5]، هذا بالإضافة إلى أن الوصف

---

(١) غافر: ٢٨.

(٢) المائدة ٩٥/٥.

(٣) شرح المفصل، ابن يعيش ٤٧/٣، وشرح الكافية، الاستراباذي ٣٠٢/١، و شرح التصريح، الأزهري ١٠٨/٢.

(٤) الكشاف، الزمخشري ٦٣٦/١.

(٥) مفاتيح الغيب، الرازي ٣٦٥/١٢.

بقوله: (الذين أسلموا) يعد والذين أسلموا صفة مادحة للنبيين، وفيه إرغام لليهود المعاصرين له ﷺ بأن أنبياءهم كانوا يدينون بدين الإسلام الذي دان به محمد ﷺ الذي يجب اتباعه؛ فهو خاتم الرسل[1].

(١) فتح القدير، الشوكاني ٢/٤٩.

النمط الثاني: [جملة فعلية: {فعل متعدٍ + فاعل + مفعول به + نعت للمفعول به]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (٥٤) أربعة وخمسين موضعًا[١]، يمثل ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٢].

يلحظ من شواهد هذا النمط أن النعت قد يكون مفردًا كما في الشاهد السابق، وقد يكون جملة فعلية كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾[٣]، وقد يكون شبه جملة؛

---

(١) ينظرالمواضع التالية: المائدة ٥١/٥، والمائدة ١٠٨/٥، والأنعام ٩١/٦، والأنعام ٩٤/٦، والأنعام ١٤٤/٦، والأنعام ١٦١/٦، والأعراف ١٤٨/٧، والتوبة ١٩/٩،والتوبة ١٠٩/٩، ويونس ٨٨/١٠، والإسراء ١٥/١٧، والإسراء ٩٧/١٧، والكهف ١٧/١٨، والأنبياء ٧٣/٢١، والحج ٦٧/٢٢، والنور ٤٦/٢٤، والفرقان ٣١/٢٥، والقصص ١٥/٢٨، والقصص ٤٣/٢٨، والقصص ٥٠/٢٨، والقصص ٥٧/٢٨، والسجدة ٢٤/٢٨، والأحزاب ٤/٣٣، والأحزاب ٤/٣٣، ويس ٦٢/٣٦، والصافات ١٠٠/٣٧، والشورى٥٢/٤٢، والأحقاف ٣٠/٤٦، والأحقاف ٣٠/٤٦، والأحقاف ٣٠/٤٦، والقمر ٢٤/٥٤، والقمر ٢٤/٥٤، والجمعة ٢/٦٢، والجمعة ٢/٦٢، ونوح ٢٧/٧١، والجن ١/٧٢، والجن٢/٧٢، والمدثر٣١/٧٤، وص٢٢/٣٨، والزمر٨/٣٩، وفصلت ٤٤/٤١، والشورى٥٢/٤٢، والفتح ٢/٤٨، والفتح ٢/٤٨، والفتح ٢٠/٤٨، والفتح ٢٠/٤٨، والصافات ١١٨/٣٧، والأنعام ٩١/٦، والأنعام ١٢٥/٦، والأعراف ٣٠/٧، والأعراف ٣٨/٧، ويونس ٨٨/١٠، ويوسف٣٠/١٢.

(٢) المائدة ٤٤/٥.

(٣) الأنبياء: ٧٣.

نحو قوله تعالى:﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1].

أشار النحاة إلى أن النعت يرد في الجملة لغاية دلالية من دلالاته الكثيرة، منها: تخصيص الموصوف أو توضيحه، أو المدح، أو الذم، فقد عرف النحاة النعت بأنه: "لفظ يتبع الموصوف في إعرابه تحلية له، وتخصيصًا بذكر معنى في الموصوف أو في شيء من سببه"[2]، وتدرك دلالة التوسع بالنعت من السياق.

يلحظ في شاهد هذا النمط أن الله –تعالى– لما أنزل التوراة على سيدنا موسى υ أنزلها وفيها "هدى يهدي للحق والعدل ونور يبين ما استبهم من الأحكام"[3]، إلى قومه يدعوهم إلى الإيمان، ويعصمهم من الضلال، وكذلك النبيون من بعده أرسلهم الله واستجاب كثير من الخلق لهم، وعبدوا الله، واستقاموا، وفي وصف المفعول به (ثمنا) بقوله: (قليلا)، توكيد وتخصيص على أن هؤلاء اليهود الضالين قد كتموا الحق، وأظهروا الباطل؛ لأجل متاع من الدنيا قليل وزائل، وتلك آفات يدعونا الله –تعالى– أن يتجنبها كل عالم، ويقتدي بالنبي ﷺ ولكن العجب في كون هؤلاء اليهود يمتنعون من الاقتداء بآيات الله، ولم يقتدوا بالنبي ﷺ الذي يبعث فيهم، واليهود يخدعون أنفسهم، يذهبون بها إلى النار بضلالهم، وذلك رغم أنهم قد ائتمنوا على كتاب الله ليحفظوه، ولكنهم لم يقتدوا به، ولم يتخذوه مرجعًا إليهم، ومنهجًا، ولكنهم صاروا قُوَّادًا للجهال، وقد أمر الله المؤمنين أن يتمسكوا، حيث قال: "ولا تشتروا ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا (بآيات الله) وأحكامه ثمنا قليلا، وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس، كما حرف أحبار اليهود كتاب الله وغيروا أحكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرئاسة فهلكوا"[4].

---

(١) الأعراف: ٣٠.

(٢) شرح المفصل، ابن يعيش ٤٧/٣، وشرح الكافية، الاستراباذي ٣٠٢/١، و شرح التصريح، الأزهري ١٠٨/٢.

(٣) الكشاف، الزمخشري ٦٣٦/١.

(٤) الكشاف، الزمخشري ٦٣٧/١.

كما يجب على أهل العلم من المسلمين فواجب عليهم أن يدعوا الناس إلى الهدى، ويرشدوهم إلى كل علم نافع، ولا يخشون أحدًا، ولا يكتمون الحق، بل يظهرون كل باطل، ومن يفعل ذلك فقد حفظ أمانة الله، ومن صار العلم والاجتهاد في توصيله همه فقد فاز في الدنيا والآخرة.

النمط الثالث: [جملة فعلية: {فعل+ فاعل+...+ توكيد معنوي للفاعل}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (٤) أربعة مواضع[١]، يمثل ذلك قول الله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٢].

أشار النحاة إلى أن التوكيد المعنوي بالألفاظ (كل، وجميع، وعامة) يكون غرضه توكيد العموم والشمول، ودفع توهم إطلاق البعض على الكل[٣]، والتوكيد المعنوي يستخدم لغويا لكثرة ورود المجاز في الكلام، فقط يطلق الجزء ويراد الكل ، وهكذا.

يلحظ في هذا النمط أن التوكيد المعنوي مستخدم لبعد دلالي مقصود، حيث أن الله –تعالى– أعطى كل مخلوق قدرة، يفعل بها ما كلف قدر استطاعته، ومن ثم لا يجوز أبدًا الاحتجاج بعد قضاء الله وقدره، فإن فعل إنسان ذلك يعد ظالمًا، ومعاندًا لله في تصرفه.

كما يلحظ أن في التوكيد دلالة على الرد المناسب "ولكن إنما كان الرد لظنهم أن ذلك حجة على الله بقوله: (فلله الحجة البالغة) فهذا التقدير هو الايمان المحض والتوحيد الصرف، وما عداه من الاشراك الصراح فخزي"[٤]، وفي استخدام (لو) في اللغة فائدة "فكلمة (لو) في اللغة تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره، فدل هذا على أن الله ما شاء أن يهديهم وما هداهم أيضًا"[٥]، كما يلحظ من الرد دليل على تناقض المحتجين على المعاصي بالقضاء والقدر يتناقضون في ذلك، ورغم علمهم بأن احتجاجهم على القضاء والقدر باطل أريد به باطل، وقد أمر الله نبيه الكريم بأن يخبر هؤلاء الضالين بـ"أن لله الحجة البالغة على الناس، أي: التي تنقطع عندها معاذيرهم وتبطل شبههم وظنونهم وتوهماتهم"[٦].

---

(١) ينظر المواضع التالية: النحل ٩/١٦، والفتح ٢٨/٤٨، والصف ٩/٦١.

(٢) الأنعام ١٤٩/٦.

(٣) شرح المفصل، ابن يعيش ٤٠/٣–٤١، وشرح الكافية، الاستراباذي ٣٢٨/١–٣٢٩، شرح التصريح، الأزهري ١٢٢/٢، وهمع الهوامع، السيوطي ١٢٢/٢–١٢٣.

(٤) الكشاف، الزمخشري ٥٨٥/١.

(٥) مفاتيح الغيب، الرازي ١٧٥/١٣.

(٦) فتح القدير، الشوكاني ٢٠٠/٢.

النمط الرابع: [جملة فعلية: {فعل+ فاعل+ مفعول به+حرف عطف+ معطوف على الفاعل أو المفعول به}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم في (١٤) أربعة عشر موضعًا، أمكن تصنيفهم في الصورتين التاليتين:

الصورة الأولى: [جملة فعلية: {فعل+ مفعول به (مقدم) + فاعل+ حرف عطف+ معطوف على الفاعل}]

وردت هذه الصورة في آيات الهدى والضلال في (٧) سبعة مواضع[١]، وهو قول الله تعالى:

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[٢].

ورد العطف في الشاهد السابق بحرف (الواو) في جملة خبرية، وأشار النحاة إلى أن العطف بها يقتضي الجمع المطلق بين المتعاطفين؛ "فإنّ الواو معناها الجمعُ المُطْلَقُ من غير ترتيب"[٣]، حيث عطف قوله:(دماؤها) على (لحومها)، وفي ذلك دلالة على تعدد وتنوع عدة مطالب لمن يقوم بالذبح.

يلحظ في الشاهد السابق أن استخدام العطف فيه توكيد على وجوب أن يتوافر عدة صفات فيمن يقوم بالذبح؛ فالله –تعالى– لا ينال منها إراقة الدماء، ولا اللحوم، أبدًا "لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بالنحر"[٤]، فهو الغني عن كل شيء، ولكن يناله الإخلاص، والرغبة أن

---

(١) ينظرالمواضع التالية:البقرة ١٢٠/٢، والمائدة ٤٤/٥، والمدثر ٣١/٧٤، والنجم ٢٣/٥٣، والزمر ٢٣/٣٩، والأحزاب ٣٦/٣٣.

(٢) الحج ٣٧/٢٢.

(٣) شرح المفصل، ابن يعيش ٥٧/١، والمقتضب، المبرد ١٠/١، والأصول في النحو، ابن السراج ٥٥/٢، والجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص١٥٨.

(٤) الكشاف، الزمخشري ١٥٩/٢.

يكتسب العبد الثواب، وأن يكون قصده وجه الله لا سواه، والله –تعالى– "لن يصعد إليه، ولا يبلغ رضاه، ولا يقع موقع القبول منه لحوم هذه الإبل التي تتصدقون بها، ولا دماؤها التي تنصب عند نحرها من حيث إنها لحوم ودماء"[١].

الصورة الثانية :[جملة فعلية :{فعل+ فاعل+ مفعول به+ حرف عطف+ معطوف على المفعول به }]

وردت هذه الصورة في آيات الهدى والضلال في (١٧) سبعة عشر موضعًا[٢]، يمثل ذلك قول الله تعالى:﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ﴾[٣].

أشار النحاة إلى أن العطف بالواو يقتضي الجمع المطلق بين المتعاطفين؛ "فإنّ الواو معناها الجمعُ المُطْلَقُ من غير ترتيب"[٤]، حيث عطف قوله:(قومها) على المفعول به الضمير المتصل (الهاء)، وفي ذلك دلالة على تعدد وتنوع سوء ما زين لهم الشيطان من أعمال.

يلحظ في الشاهد السابق أن استخدام العطف فيه توكيد على أن أمة سليمان كانوا يعبدون الشمس؛ لأنهم "كانوا زنادقة فيما روي، وقيل كانوا مجوسا يعبدون الأنوار"[٥]، وأما هدهد سليمانυ إن تفكرت في طريقة معرفته الاهتداء لله، ووجوب السجود له قائلا:"من أين للهدهد التهدى إلى معرفة الله، ووجوب السجود له، وإنكار سجودهم للشمس وإضافته إلى الشيطان وتزيينه؟ قلت: لا يبعد أن يلهمه الله

---

(١) فتح القدير، الشوكاني ٥٣٨/٣.

(٢) ينظر المواضع التالية: البقرة ٥٣/٢، وآل عمران ١٦٤/٣، والنساء ١١٣/٤،الكهف ٥١/١٨، والأنبياء ٧٣/٢١، والأنبياء ٧٣/٢١، والأحزاب ٦٧/٣٣، والشورى ١٣/٤٢، والشورى ١٣/٤٢، والشورى ١٣/٤٢، والحديد ٢٦/٥٧، والحديد ٢٦/٥٧، والممتحنة ١/٦٠، والممتحنة ١/٦٠، والجمعة ٦٢/ ٢، والجن ١٣/٧٢.

(٣) النمل ٢٤/٢٧.

(٤) شرح المفصل، ابن يعيش ٥٧/١، والمقتضب، المبرد ١٠/١، والأصول في النحو، ابن السراج ٥٥/٢، والجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص١٥٨.

(٥) المحرر الوجيز، ابن عطية ٢٥٦/٤.

ذلك كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها"[١].

النمط الخامس: [جملة فعلية: {فعل+ فاعل+...+ مفعول به+ بدل من المفعول به}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (١٢) اثني عشر موضعًا[٢] ، يمثل ذلك قول الله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[٣].

أشار النحاة إلى جواز إبدال أنواع الكلمة من بعضها، ولم يشترط في إبدال الاسم من الاسم أن يرتبط الاسم بوظيفة نحوية معينة؛ نحو: الفاعلية، أو المفعولية، ...[٤]، وللبدل أنواع، منها: بدل مطابق، وبدل بعض من كل، وبدل اشتمال، وغير ذلك، والشاهد يمثل البدل المطابق.

يلحظ في شاهد هذا النمط أن للبدل دلالة بارزة، وهي التأكيد على أن خلق الجبال، وثباتها يعد من الحجج البالغة على قدرة الله – تعالى– ووحدانيته، فـ"أو لم ير هؤلاء الكفار أيضًا من حججنا عليهم وعلى جميع خلقنا، أنا جعلنا في الأرض جبالا راسية"[٥]، حيث تستقر الأرض، وأريد بالرواسي (الجبال الثوابت)[٦]؛ لئلا تميل بمن عليها، وليستطيع الخلق أن يسكنوها، ويستقرون فيها على ما أكرم الله بالمتاع والمنافع، ولما كانت الجبال قد تتصل اتصالا كثيرا ، فلو بقيت بحالها، جبالا شامخات؛ لتعطل الاتصال

---

(١) الكشاف، الزمخشري ٣٦١/٣.

(٢) ينظر: الفاتحة ٧/١، والبقرة ٢٦/٢، والبقرة ٢٦٣/٢، والأنعام ١٦١/٦، والأنعام ١٦١/٦، ومريم ٧٥/١٩، ومريم ٧٥/١٩، والفرقان ١٧/٢٥، والزمر ٢٣/٣٩، وغافر ٣٣/٤٠، والأحقاف ٢٨/٤٦.

(٣) الأنبياء ٣١/٢١.

(٤) شرح الكافية، الاستراباذي ٣٤٢/١، وشرح التصريح، الأزهري ١٦١/٢، وهمع الهوامع، السيوطي ١٢٨/٢، وحاشية الصبان، الصبان ١٢٩/٣-١٣١.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري ٤٣٤/١٨.

(٦) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٣٩٠/٣، وينظر: فتح القدير، الشوكاني ٤٧٩/٣.

بين كثير من البلدان، وجعل في الجبال السبل؛ كي تكون منفذا يسلكه الناس للاهتداء لمصالحهم، وقضاء ما يحتاجون إليه.

النمط السادس: [جملة فعلية: {فعل+ فاعل+...+ حال}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (١٧٣) مائة وثلاثة وسبعين موضعًا[١]، يمثل ذلك قول الله تعالى:﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾[١].

---

(١) ينظر المواضع التالية: البقرة ٩٧/٢، والبقرة ١٨٥/٢، والبقرة ٢١٣/٢، والبقرة ٢٨٢/٢، وآل عمران ١٠١/٣، وآل عمران ١٠١/٣، والنساء ٦٠/٤، والنساء ٦٠/٤، والنساء ١٤٣/٤، والنساء ١٧٥/٤، المائدة ١٢/٥، والمائدة ١٢/٥، والمائدة ٥/ ٤٤، والمائدة ٤٤/٥، والمائدة ٤٦/٥، والمائدة ٥١/٥، والمائدة ٩٥/٥، والمائدة ٩٥/٥، والمائدة ٩٥/٥، والمائدة ٩٥/٥، والمائدة ١٠٨/٥، والأنعام ٢٤/٦، والأنعام ٧١/٦، والأنعام ٧١/٦، والأنعام ٧١/٦، والأنعام ٧٤/٦، والأنعام ٧٧/٦، والأنعام ٨٠/٦، والأنعام ٨٤/٦، والأنعام ٨٤/٦، والأنعام ٨٨/٦، والأنعام ٩٠/٦، والأنعام ٩١/٦، والأنعام ٩١/٦، والأنعام ٩١/٦، والأنعام ٩١/٦، والأنعام ٩٤/٦، والأنعام ٩٤/٦، والأنعام ٩٤/٦، والأنعام ٩٧/٦، والأنعام ١١٩/٦، والأنعام ١١٩/٦، والأنعام ١٢٥/٦، والأنعام ١٤٤/٦، والأنعام ١٦١/٦، والأعراف ٣/٧، والأعراف ٣٠/٧، والأعراف ٣٧/٧، والأعراف ٣٧/٧، والأعراف ٣٧/٧، والأعراف ٣٨/٧، والأعراف ٤٣/٧، والأعراف ٤٣/٧، والأعراف ٤٣/٧، والأعراف ٤٣/٧، والأعراف ٥٢/٧، والأعراف ٥٣/٧، والأعراف ٦٠/٧، والأعراف ١٤٨/٧، والأعراف ١٥٩/٧، والأعراف ١٨٦/٧، والأعراف ١٩٨/٧، والأعراف ١٩٨/٧، والأعراف ٢٠٣/٧، والتوبة ١٠٩/٩، ويونس ٩/١٠، ويونس ٣٢/١٠، ويونس ٣٥/١٠، ويونس ٤٥/١٠، ويونس ١٠٨/١٠، ويوسف ٣٠/١٢، ويوسف ٥٢/١٢، والإسراء ١٥/١٧، والإسراء ١٥/١٧، والإسراء ٤٨/١٧، والإسراء ٦٧/١٧،والإسراء ٩٤/١٧، والإسراء ٩٧/١٧، والكهف ١٣/١٨، والكهف ١٧/١٨، والكهف ١٧/١٨، والكهف ١٧/١٨، والكهف ٢٤/١٨، والكهف ٥٥/١٨، والكهف ١٠٤/١٨، والكهف ١٠٤/١٨، ومريم ٥٨/١٩، ومريم ٥٨/١٩، وطه١٢٣/٢٠، وطه ١٢٣/٢٠، وطه ١٢٣/٢٠، وطه ١٢٨/٢٠، والأنبياء ٧٣/٢١، والحج١٢/٢٢، والحج ١٦/٢٢،والحج ١٦/٢٢، والحج ٢٤/٢٢، والحج ٣٧/٢٢، والنور ٣٥/٢٤، والفرقان ٩/٢٥، والفرقان ١٧/٢٥، والشعراء ٢٠/٢٦، والنمل ٢٤/٢٧، والنمل ٢٤/٢٧، والنمل ٢٤/٢٧، والقصص ١٥/٢٨، والقصص ١٥/٢٨، والقصص ٣٧/٢٨، والقصص ٤٣/٢٨، والقصص ٥٠/٢٨، والقصص ٥٧/٢٨، والقصص ٨٥/٢٨، ولقمان ٦/٣١، ولقمان ٢٠/٣١، ولقمان ٢٠/٣١، والسجدة ١٣/٣٢، والسجدة ١٣/٣٢، والسجدة٢٦/٣٢، وسبأ ٣٢/٣٤، والصافات ٢٣/٣٧، والصافات ٧١/٣٧، وص ٢٢/٣٨، والزمر ٨/٣٩، والزمر ٢٣/٣٩، والزمر ٤١/٣٩، والزمر ٤١/٣٩، وغافر ٢٥/٤٠، وغافر ٢٥/٤٠، وغافر ٢٥/٤٠، وغافر ٢٨/٤٠،وغافر ٢٨/٤٠، وغافر ٢٨/٤٠، وغافر ٣٣/٤٠، وغافر ٣٤/٤٠، وغافر ٣٤/٤٠، وغافر ٥٠/٤٠، وفصلت ٢٩/٤١، والشورى ١٣/٤٢، والشورى ٤٤/٤٢، والشورى

يلحظ في الشاهد السابق أن الحال (مصدقا) قد ورد مفردًا من صاحب الحال (عيسى ابن مريم)، وقد ترد جملة اسمية، كما في قوله تعالى:﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾(٢).

حيث أن قوله: (فيها هدى) جملة اسمية، مكونة من الخبر المقدم(فيها) الشبه جملة، والمبتدأ المؤخر وجوبًا (هدى)، والجملة الاسمية في محل نصب حال، وقد ترد الحال جملة فعلية، كما في قوله تعالى:

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾(٣)، حيث أن قوله: (فريقًا) مفعول به لفعل محذوف تقديره: أضل، والجملة معطوفة على السابقة في محل نصب حال، وقد ترد الحال شبه جملة، كما في قوله تعالى:﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ

٤٦/٤٢، والشورى ٥٢/٤٢، والشورى ٥٢/٤٢، والزخرف ١٠/٤٣، والزخرف ٢٢/٤٣، والزخرف ٢٤/٤٣، والزخرف ٢٤/٤٣، والزخرف ٣٧/٤٣، والجاثية ٢٣/٤٥، والأحقاف ٥/٤٦، والفتح ٢/٤٨، والفتح ٢٥/٤٨، والفتح ٢٥/٤٨، والفتح ٢٥/٤٨، والفتح ٢٨/٤٨، والممتحنة ١/٦٠، والممتحنة ١/٦٠، والممتحنة ١/٦٠، والممتحنة ١/٦٠، والممتحنة ١/٦٠، والممتحنة ١/٦٠، والممتحنة ١/٦٠، والممتحنة ١/٦٠، والصف ٥/٦١، والصف ٩/٦١، والصف ٩/٦١، والجمعة ٥/٦٢، والتغابن ١١/٦٤، والملك ٩/٦٧، والملك ٢٢/٦٧، والملك ٢٢/٦٧، والمدثر ٣١/٧٤، والإنسان ٣/٧٦.

(١) المائدة ٤٦/٥.

(٢) المائدة: ٤٤.

(٣) الأعراف: ٣٠.

أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، حيث أن قوله: (بغير)، شبه الجملة المكون من حرف الجر(الباء)، والاسم المجرور(غير) ورد في محل نصب حال من فاعل الفعل(يضل) أو الفعل (افترى).

عرف النحاة الحال بأنها: وصف، فضلة، يذكر لبيان هيئة ما وضع له من صاحبه، أثناء إجراء حدث ما، أو ما فيه معنى الحدث[2]، ومن هذا التعريف يدرك أن الحال فضلة على بنية الجملة الفعلية، ورغم ذلك لا يمكن الاستغناء عنه؛ وذلك لأن الفضلة عند النحاة "ما يقع بعد تمام الجملة، لا ما يصح الاستغناء عنه"[3]، فبالحال تتبين هيئة صاحبها أثناء حدوث أي حدث ما.

وأشار النحاة إلى أن الحال تنقسم إلى قسمين، وذلك بحسب دلالتها في الجملة[4]:

أولًا: الحال المؤسسة: وهي التي لا يدرك المعنى بدون ذكرها، وتسمى –أيضًا– مبينة؛لأنها تبين هيئة صاحبها؛ نحو: جاء زيد راكبًا، وكثير من الحال التي جاءت في آيات الهدى والضلال كانت مؤسسة.

ثانيًا: الحال المؤكدة: وهي التي يدرك معناها بدون ذكرها، وقد ترد الحال مؤكدة لصاحبها كما في شاهد هذا النمط، وكثير من الحال التي وردت في آيات الهدى والضلال كانت مؤكدة لفظا، وقد تكون الحال مؤكدة لعاملها معنى فقط، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ

---

(١) الأنعام: ١٤٤.

(٢) اللمع، ابن جني، ص١٤٥، وشرح المفصل، ابن يعيش ٥٥/٢، وشرح الكافية، الاستراباذي١٩٨/١، والتسهيل، ابن مالك، ص ١٠٨، وشرح التصريح، الأزهري ٣٦٥/١-٣٦٦، وهمع الهوامع، السيوطي ٢٣٦/١.

(٣) قطر الندى، ابن هشام، ص٣٣٥، وشرح التصريح، الأزهري ٣٦٦/١.

(٤) شرح المفصل، ابن يعيش ٦٤/٢-٦٥، وشرح الكافية، الاستراباذي ٢١٤/١، وشرح التصريح، الأزهري ٣٨٧/١، وهمع الهوامع، السيوطي ٢٣٧/١.

رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1]، ومؤكدة لعاملها لفظًا ومعنًى، كما في قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[2].

يلحظ في شاهد هذا النمط أن الحال لم ترد متصلة بالواو، بقصد العمد إلى الفعل المتقدم عليها، وأشار الجرجاني (ت٤٧١هـ) إلى ذلك بقوله: "اعلم أن كل جملة وقعت حالا، ثم امتنعت من (الواو)، فذلك لأجل أنك عمدت إلى الفعل الواقع في صدرها، فضممته إلى الفعل الأول في إثبات واحد، وكل جملة جاءت حالا، ثم اقتضت (الواو)، فذلك لأنك مستأنف بها خبرًا، وغير قاصد إلى أن تضمها إلى الفعل الأول في الإثبات"[3].

كما يلحظ في الشاهد –أيضًا– أن الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله، أتبعهم الله بعبد الله ورسوله، سيدنا عيسى ابن مريم –عليهما السلام– فقد بعثه الله مصدقا على ما جاء به موسى υ من التوراة بالحق والصدق؛ مؤيدًا لدعوته، وموافق له في أكثر الأمور الشرعية، و"معنى كون عيسى مصدقا للتوراة أنه أقر بأنه كتاب منزل من عند الله، وأنه كان حقا واجب العمل به قبل ورود النسخ...، وقوله: (مصدقا لما بين يديه) ليس فيه تكرار؛ لأن في الأول: أن المسيح يصدق التوراة، وفي الثاني: الإنجيل يصدق التوراة"[4].

وعيسى υ قد يكون أخف في بعض الأحكام، حيث قال لبني إسرائيل: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[5] **[آل عمران: ٥٠]**، ذلك التخفيف في الكتاب العظيم الذي تمم التوراه بالهدى

---

(١) النمل: ١٩.

(٢) النساء: ٧٩.

(٣) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص٢١٣.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي ١٢/٣٧٠.

(٥) آل عمران: ٥٠.

والنور، الذي يهدي إلى الصراط المستقيم، ويبين للناس الهدى من الضلال، وخاصة المتقين؛ فإنهم الذين ينتفعون بالهدى، ويتعظون بكل موعظة يدركونها، ويتجنبون كل ما نهى الله عنه، وقد ختمت الآية بالأمر"لأهل الإنجيل بأن يحكموا بما أنزل الله فيه، فإنه قبل البعثة المحمدية حق، وأما بعدها فقد أمروا في غير موضع بأن يعملوا بما أنزل الله على محمد ﷺ في القرآن الناسخ لكل الكتب المنزلة"[١]، وفي الختام بالأمر توكيد على وجوب اتباع الهادي إلى الصراط المستقيم؛ حتى يسعد البشر في الدنيا وينعموا بالآخرة.

النمط السابع:[جملة فعلية:{ فعل + فاعل+...+ تمييز نسبة}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (١١) أحد عشر موضعًا[٢]، يمثل ذلك قول الله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[٣].

ورد التمييز في الشاهد السابق صورة من صور التوسعات في الجملة[٤]، كما يسميه النحاة (المميِّز)، و(التبيين)، والمبين، والمفسر[٥]، وأما دلالته النحوية، يجمع النحاة على أن التمييز يرد في

(١) فتح القدير، الشوكاني ٥٥/٢.

(٢) ينظر المواضع التالية: المائدة ١٢/٥، والمائدة ٦٠/٥، والأنعام ٨٠/٦، والأعراف ١٥٥/٧، والتوبة ٨٠/٩، ويوسف ٣٠/١٢، والكهف ٢٤/١٨، والفرقان ٣١/٢٥، والفتح ٢٨/٤٨، والمدثر ٣١/٧٤.

(٣) البقرة ٢٦/٢.

(٤) شذور الذهب، ابن هشام، ص٢٥٤.

(٥) همع الهوامع، السيوطي ٢٥٠/١، وحاشية الصبان، الصبان ١٩٤/٢.

الجملة ليرفع الإبهام ويزيل اللبس[١]، ومن ثم عدَّه الدكتور تمام حسان عنصرًا من عناصر التخصيص الدلالي داخل التركيب، وجعل القرينة التي تربطه بالجملة قرينة التبيين أو التفسير[٢].

يلحظ في هذا النمط أن الله –تعالى– يضرب الأمثال للناس؛ لكونها تشتمل على الحكمة، وأيضًا ح الحق، وتعد الأمثال ردًّا على كل معترض، ويجب على كل متلقي أن يقبلها ويتفهمها، فإن أقبلوا عليها وعملوا بما فيها زاد إيمانهم ، وإن أعرضوا زادوا كفرًا، وقد ورد التمييز ليرفع اللبس والحيرة في شأن الأمثال، فهي واضحة لكل من تدبرها وتفكر فيها، وفيها فوائد جمة، ونجاة لكل مقبل على الله، حيث أن الأمثال لم يضربها الله عبثًا، بل لحكمة بالغة، وقد "سيقت هذه الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة والسفهاء وأهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل ، ليس بموضع للاستنكار والاستغراب، من قبل أن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب"[٣].

وبهذه الأمثال يزيد إيمان المؤمنين على إيمانهم، وعلى النقيض يزداد الكفار رجسًا وضلالا، ومما يزيد عجبًا منهم أنهم "كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور وأحناش الأرض والحشرات والهوام، وهذه أمثال العرب بين أيديهم مسيرة في حواضرهم وباديهم قد تمثلوا فيها بأحقر الأشياء"[٤].

---

(١) المقتضب، المبرد ٣٢/٣، واللمع، ابن جني، ص١٤٧، والأصول في النحو، ابن السراج ٢٢٢/١–٢٢٨، وشرح المفصل، ابن يعيش٧٠/٢–٧٥، وشرح الكافية، الاستراباذي ٢١٥/١–٢١٦، وشرح التصريح، الأزهري ٣٤٩/١.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، تح: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ص١٩٩.

(٣) الكشاف، الزمخشري ١١١/١.

(٤) السابق: ١١١/١، وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ١١٢/١، ومفاتيح الغيب، الرازي ٣٦٨/٢.

النمط الثامن: [جملة فعلية: {فعل+ فاعل+...+ مفعول لأجله}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (٨) ثمانية مواضع[١]، يمثل ذلك قول الله تعالى:﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾[٢].

يعد النحاة المفعول لأجله إحدى الزيادات على أركان الجملة الأساسية المكونة للجملة الفعلية، وقد تناول سيبويه (ت١٨٠هـ) كونه فضلة في باب بعنوان: "هذا باب ما ينتصب من المصادر؛ لأنه عذر لوقوع الأمر، فانتصب لأنه موقوع له، ولأنه تفسير لما قبله، وليس بصفة لما قبله ولا منه"[٣].

ويدرك من كلام سيبويه البعد الدلالي المراد من زيادة المفعول لأجله في الجملة الفعلية، فـ"هو علة الإقدام على الفعل، وهو جواب له، وذلك قولك: فعلت كذا مخافة الشر"[٤]، وقد أشار الدكتور تمام حسان إلى أن المفعول له فيه تخصيص دلالي للفعل[٥]، وأما عن ورود المفعول لأجله في الجملة يكون بشروط عديدة، هي: أن يكون مصدرًا، وأن يكون المصدر قلبيا، وأن يكون تعليلا، وأن يكون متحدا مع فعله في الفاعل، والزمن"[٦].

يلحظ في هذا النمط أن المفترين على الله قد جعلوا بعض الأنعام محرما ما في بطنها على الإناث دون الذكور، وهي تحل للذكر والأنثى، وكل ذلك افتراء على الله يفتري به كل معاند كفَّار، وسوف يهلك هؤلاء المفترون على ربهم الكذب؛ لأنهم هم "العادلون به الأوثانَ والأصنام، الذين زين لهم شركاؤهم

---

(١) ينظر المواضع التالية: النساء ١٧٦/٤، والأنعام ١٥٤/٦، ويونس ٨٨/١٠، والكهف ٥٧/١٨، والأنبياء ٣١/٢١، وفاطر ٨/٣٥، وغافر ٥٤/٤٠.

(٢) الأنعام ١٤٠/٦.

(٣) الكتاب، سيبويه ٣٦٧/١.

(٤) شرح المفصل، ابن يعيش ٥٢/٢، وشرح التصريح، الأزهري ٣٣٤/١.

(٥) اللغة العربية معناها ومبناها، د.تمام حسان، ص١٩٥-١٩٦.

(٦) شرح المفصل، ابن يعيش ٥٣/٢، وشرح الكافية، الاستراباذي ١٩١/١-١٩٢، وشرح التصريح، الأزهري ٣٣٤/١-٣٣٥، وهمع الهوامع، السيوطي ١٩٤/١.

قتل أولادهم، وتحريم ما أنعمت به عليهم من أموالهم، فقتلوا طاعة لها أولادهم ، وحرّموا ما أحل الله لهم وجعله لهم رزقًا من أنعامهم"[١]، وما رزقهم الله، هي تلك "الأنعام والغلات التي توقف بغير شرع ولا مثوبة في معاد بل بالافتراء على الله والكذب، وقَدْ ضَلُّوا إخبارا عنهم بالحيرة وهو من التعجيب"[٢]، وقد ورد المفعول لأجله؛ للتخصيص، والتوكيد على سوء ابتداع، ووضاعة أفعالهم، والتوكيد على سفه آرائهم، وافترائهم على الله، فـ"قد يضل الإنسان عن الحق إلا أن يعود إلى الاهتداء فبين –تعالى– أنهم قد ضلوا ولم يحصل لهم الاهتداء قط فثبت أنه –تعالى–ذم الموصوفين بقتل الأولاد، وتحريم ما أحله الله تعالى لهم بهذه الصفات السبعة الموجبة لأعظم أنواع الذم، وذلك نهاية المبالغة"[٣]، ومن ثم خسروا دينهم وأولادهم وعقولهم ، وكان مآلهم النار من بعد اتباعهم الضلال.

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري ١٥٣/١٢،

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية ٣٥٣/٢.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي ١٦١/١٣.

النمط التاسع: [جملة فعلية: {فعل+ فاعل+ مفعول مطلق}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (٨) ثمانية مواضع[١]، يمثل ذلك قول الله تعالى:﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[٢].

ورد المفعول المطلق في الشاهد السابق في جملة خبرية، والمفعول المطلق يعده النحاة من الزيادات التي تدخل على أركان الجملة، ولكنه يرد في الكلام لقصد دلالة التوكيد[٣]، حيث أن المفعول المطلق هو"اسم يؤكد عامله فيفيد ما أفاده عامله من الحدث من غير زيادة على ذلك، أو يبين نوعه، أي: نوع العامل، فيفيده زيادة على التوكيد، أو يبين عدده فيفيد عدد مرات العامل زيادة على التوكيد"[٤]، ومن النحاة من أشار إلى أن المفعول المطلق يعد تكرارًا لفظيا فقط، وليس له أثر دلالي إلا التوكيد، ومن ثم ذكره ابن جني (ت٣٩٢هـ) في باب الاحتياط[٥].

يلحظ في هذا النمط أن المفعول المطلق ورد زيادة؛ لكون السياق بحاجة إلى التوكيد به، احتياطًا من يدرك من الجملة الفعلية دلالة أخرى غير المعنية، وهيأنه أخذ على بني إسرائيل الميثاق الثقيل المؤكد، وذكر صفة الميثاق وأجرهم إن قاموا به، وإثمهم إن لم يقوموا به، ثم ذكر عهدهم المؤكد الغليظ، وبعث الله نقيبًا فيهم يدعوهم، وقد ورد في الكشاف "لقد أخذنا ميثاقهم بالإيمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني

---

(١) ينظر المواضع التالية: النساء ٦٠/٤، والنساء ١١٦/٤، والنساء ١٣٦/٤، والنساء ١٦٧/٤، والأنعام ١٤٠/٦، والحج ٣٧/٢٢، والفرقان ٣١/٢٥.

(٢) المائدة ١٢/٥.

(٣) الكتاب، سيبويه ١/ ٣٧٨، والمقتضب، المبرد ٢٣٣،٢٦٦/٣، والأصول في النحو، ابن السراج ١٦٠/١، واللمع في العربية، ابن جني، ص١٣١، وشرح التصريح، الأزهري ٣٢٣/١-٣٢٤.

(٤) شرح التصريح، الأزهري ٣٢٣/١-٣٢٤.

(٥) الخصائص، ابن جني ١٠٥/٣.

عشر ملكا يقيمون فيهم العدل ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر"[١]، والنقباء مأمورون من الله بتحمل الأعباء، والله ناصرهم ومعينهم، ثم ذكر الله ما واثقهم عليه، وهو إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة لمستحقيها، والإيمان بالرسل جميعًا، وطاعتهم، ثم ذكر الفعل (أقرضتم) ومفعوله المطلق (قرضًا) للتوكيد على أهمية أداء الصدقات عن إخلاص وصدق وطيب مكسب، وإن انقادوا وامتثلوا لأوامر الله كفَّر الله عنهم سيئاتهم، وأدخلهم جنات عدن، وأما من كفر وضل عن عمد وعلم، فالضلال بعد الإيمان "ظهر وأعظم؛ لأن الكفر إنما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة، فإذا زادت النعمة؛ زاد قبح الكفر وتمادى لعناهم طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا"[٢]، فمن فعل ذلك يستحق ما يستحقه الضالون من حرمان الثواب، وحصول العقاب، فيجب على كل مؤمن الاقتداء بهدي النبي ﷺ واجتناب أخلاق اليهود الذميمة، كنقض الميثاق، وعدم الوفاء به، حيث أن الله – تعالى– ذكر "أنه أخذ الميثاق من بني إسرائيل لكنهم نقضوه وتركوا الوفاء به، فلا تكونوا أيها المؤمنون مثل أولئك اليهود في هذا الخُلُق الذميم لئلا تصيروا مثلهم فيما نزل بهم من اللعن والذلة"[٣].

(١) الكشاف، الزمخشري ٦١٥/١.

(٢) الكشاف، الزمخشري ٦١٥/١.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي ٣٢٢/١١.

النمط العاشر: [جملة فعلية: {فعل+...+ ظرف زمان}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (٤٥) خمسة وأربعين موضعًا[١]، يمثل ذلك قول الله تعالى:﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٢].

يرد ظرف الزمان في الكلام مبهما، أي: يدل الظرف على زمن لكنه غير مقدر، وإبهام الظرف قد يكون في زمن الماضي؛ نحو: (قط)، أو الزمن المستقبل؛ نحو: (أبدًا)، وقد يكون الظرف مبهمًا، وزمنه مطلق؛ نحو: (يومًا).

وقد يرد الظرف مختصًّا، ومقداره الزمني معلوم[٣]، وزمن الظرف المختص قد يكون مختصا بالماضي؛ نحو:(أمس)، أو الحاضر؛ نحو: (الآن)، أو المستقبل؛ نحو: (غدًا)، وقد يكون الظرف مختصا بالمعدود؛ نحو: (عاما)، وقد يكون مختصًا بوقت يومي؛ نحو: (نهارًا، عصرًا)، وقد يكون الظرف الزمني دالا على اقتران حدثين، سواء أكانا معًا في زمن الماضي؛ نحو: (إذ)، أو كانا في زمن المستقبل؛ نحو: (إذا)، أو كانا في مطلق الزمن؛ نحو: (حين).

---

(١) ينظر المواضع التالية: البقرة ٥٣/٢، والبقرة ١٢٠/٢، والبقرة ١٧٠/٢، والبقرة ١٩٦/٢، والبقرة ١٩٦/٢، والبقرة ١٩٦/٢، والبقرة ١٩٨/٢، والبقرة ٢٥٨/٢، وآل عمران ٤/٣، وآل عمران ٤/٣، وآل عمران ٨٦/٣، وآل عمران ٩٠/٣، وآل عمران ١٠٣/٣،وآل عمران ١٦٤/٣، والمائدة ١٠٨/٥، والأنعام ٧٤/٦، والأعراف ١٥٥/٧، والتوبة ١٨/٩، والتوبة ١٩/٩، والتوبة ٣٧/٩، والتوبة ٣٧/٩، والتوبة ١١٥/٩، ويونس ٣٢/١٠، ويونس ٤٥/١٠، ويوسف ٨/١٢، والرعد ٣١/١٣، وإبراهيم ١٨/١٤، والنحل ٢٠/١٦، والنحل ٢٥/١٦، والنحل ٨٧/١٦، والإسراء ٩٧/١٧، والكهف ٥٥/١٨، والكهف ٥٧/١٨، ومريم ٣٨/١٩، ومريم ٧٥/١٩، و طه٩٢/٢٠، والحج ٩/٢٢، والفرقان ١٧/٢٥، والفرقان ٤٢/٢٥، ويس ٤٧/٣٦، والصافات ٧١/٣٧، وص ٢٢/٣٨، وغافر ٢٩/٤٠، وغافر ٣٣/٤٠.

(٢) النحل ٨٩/١٦.

(٣) حاشية الصبان، الصبان ١٢٨/٢.

أشار النحاة إلى أن الظرف هو "ما ذكر فضلة لأجل أمر وقع فيه من زمان مطلقا، أو مكان مبهم"[١]، وقد سمي الظرف ظرفًا؛ لأنه "لما كان محلا للأفعال، سمي ظرفا تشبيها بالأواني التي تحل الأشياء فيها"[٢].

ولذا يعده النحاة زيادة على تركيب الجملة، وله بعد دلالي مقصود، وهو أن الظرف يحدد زمان حدوث الفعل أو مكانه[٣].

يلحظ في هذا النمط استخدام الظرف (يوم) تخصيصا للنبي ﷺ بمجيئه شهيدًا على أمته بالخير والشر، كما يلحظ دلالة الظرف –أيضًا– على تحديد شهادة النبي ﷺ على أمته في الدنيا والآخرة؛ لكونه مطلعًا على أعمال أمته، ولن يشهد عليهم إلا بما يستحقون.

ويلحظ في هذه الآية أن في "هذه الآية في ضمنها وعيد، والمعنى واذكر يوم نبعث في كل أمة شهيدا عليها، وهو رسولها الذي شاهد في الدنيا تكذيبها وكفرها، وإيمانها وهداها، ويجوز أن يبعث الله شهيدا من الصالحين مع الرسل"[٤]، وفي بدء الآية دلالة إضافية من زيادة الظرف فيسياق إشهاد الأنبياء على أممهم، حيث إن هذا يعد "نوع آخر من التهديدات المانعة للمكلفين عن المعاصي"[٥].

---

(١) شذور الذهب، ابن هشام، ص٢٣٠، وشرح الكافية، الاستراباذي ١٨٣/١.

(٢) أسرار العربية، ابن الأنباري، ص١٧٧، و شرح المفصل، ابن يعيش ٤١/٢.

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها، د: تمام حسان، ص١٩٧.

(٤) المحرر الوجيز، ابن عطية ٤١٥/٣.

(٥) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٥٧/٢٠.

النمط الحادي عشر: [جملة فعلية: {فعل+ فاعل+ ...+ ظرف مكان}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (٣٧) سبعة وثلاثين موضعًا[١]، يمثل ذلك قول الله تعالى:﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٢].

أشار النحاة إلى أن التوسع بالظرف في التركيب، يذكر فضلة لأجل أمر وقع فيه من زمان مطلقا، أو مكان مبهم، وللظرف بعد دلالي مقصود في هذا السياق، وهو تحديد زمان حدوث الفعل أو مكانه[٣].

يلحظ في هذا النمط استخدام ظرف المكان (بين) تحديدًا لمكانة جبريل، ومكانة القرآن الكريم، واختص جبريل من بين الملائكة نزولا بالوحي على سائر الأنبياء من قبل سيدنا محمد ﷺ وقد نزل علي النبي ﷺ بالوحي المصدق لكل ما تقدمه من الكتب في أماكن مختلفة، غير مخالف لها ولا مناقض، وفيه الهداية التامة من أنواع الضلالات، والبشارة بالخير في الدنيا والآخرة لكل من آمن بالله وبرسوله وبالكتاب المقدس، فالعداوة لجبريل الموصوف بتلك المكانة العظيمة تعد كفر بالله، فإن عداوتهم لجبريل، لا لذاته بل لما ينزل به من عند الله من الحق على الرسل، وكانت تلك العداوة بسبب "أنه كان

---

(١) ينظر المواضع التالية: البقرة ٢٦/٢، والبقرة ١٤٩/٢، والبقرة ١٤٩/٢، والبقرة ١٩٨/٢، والبقرة ٢١٣/٢، والبقرة ٢١٣/٢، وآل عمران٨/٣، وآل عمران ٧٣/٣، والنساء ١١٦/٤، والنساء ١٤٣/٤، والمائدة ١٢/٥، والمائدة ١٢/٥، والمائدة ٤٦/٥، والمائدة ٤٦/٥، والمائدة ٦٠/٥، والأنعام ٩٤/٦، والأنعام ٩٤/٦، والأنعام ٩٤/٦، والأعراف ٤٣/٧، ويونس ٩/١٠، ويونس ٤٥/١٠، ويوسف ١١١/١٢، والكهف ١٧/١٨، والكهف ١٧/١٨، ومريم٥٨/١٩، وطه٥٢/٢٠، والنمل ٦٣/٢٧، والقصص ٢٢/٢٨، والقصص ٥٧/٢٨، والعنكبوت ٦٩/٢٩، و ص ٣٨/ ٢٦، والزمر ٣/٣٩، وفصلت ٢٩/٤١، والزخرف ٤٩/٤٣، والأحقاف ٣٠/٤٦.

(٢) البقرة ٩٧/٢.

(٣) شذور الذهب، ابن هشام، ص٢٣٠، و شرح الكافية، الاستراباذي ١٨٣/١، واللغة العربية معناها ومبناها، د: تمام حسان، ص١٩٧.

ينزل القرآن على محمد ﷺ"[1]، ومما يثبت قدر جبريل υ أن الله تعالى ينزل على القلب؛ لأنه موضع العقل والعلم[2]، وينزل الوحي على الأنبياء بإرادة الله، وتيسيره، وكل وحي نزل به مصدق لجميع الكتب المنزلة، وفي ذلك دليل على اصطفاء جبريل υ ليحظى بتلك المكانة الرفيعة.

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ٦١١/٣.

(٢) فتح القدير، الشوكاني ١٣٦/١.

المبحث الثالث

التوسع في التركيب الشرطي

في آيات الهدى والضلال

توطئـة:

يتناول هذا المبحث دراسة ظاهرة التوسع في التركيب الشرطي في آيات الهدى والضلال، دراسة نحوية دلالية، وأعني بظاهرة التوسع في تركيب الجملة الشرطية، توسع بأي عنصر على العناصر الأساسية المكونة للجملة الشرطية، وهي: (أداة الشرط، وجملة الشرط، وجملة جواب الشرط)؛ وذلك لإضافة دلالات جديدة، دون أن تتأثر صحة الجملة الشرطية نحويا، وبصورة تجعل حذف العناصر المتوسع بها ممكنة دون تغير في العلاقات النحوية بين العناصر الأساسية المكونة للجملة الشرطية.

وتقتصر الدراسة في هذا المبحث على ما يمكن أن يتوسع بأحد العناصر المكونة للتركيب الشرطي، وهي: (أداة الشرط، وجملة الشرط، وجملة جواب الشرط)، أما ما يمكن أن يضاف إلى أحد العناصر الداخلية المكونة لكل من جملتي الشرط والجواب فلا يدخل في هذا المبحث، فمثلا ظاهرة العطف إحدى ظواهر التوسع في الجملة الشرطية، ويمكن أن تلحظ هذه الظاهرة داخل تركيب الجملة الشرطية على النحو التالي:

- **العطف على جملة الشرط.**
- **العطف على جملة جواب الشرط.**

وما يدخل في نطاق هذا المبحث هو ما ورد معطوفًا على كل من جملتي الشرط أو الجواب، أما ما ورد معطوفًا على الفاعل أو المفعول في كل من جملتي الشرط والجواب فلا يدخل في هذا المبحث؛ على أساس أن يدخل في نطاق دراسة ظاهرة التوسع في الجملة الفعلية، ويعني ذلك أن ظواهر التوسع للعناصر الداخلية في تركيب كل من جملتي الشرط والجواب لا تدخل في نطاق هذا المبحث.

وقد وردت ظاهرة التوسع في الجملة الشرطية في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم وفق المفهوم السابق في (١٥) خمسة عشر موضعًا، أمكن تصنيفها في الأنماط التالية:

النمط الأول: [تركيب شرطي: أداة شرط+ جملة الشرط+ حرف عطف+ جملة فعلية معطوفة على جملة الشرط}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (١) موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١].

أشار النحاة إلى أن توالي أسلوبي شرط وعطف بينهما يكون الجواب لهما معًا، وذلك إن كان العطف بـ(الواو)؛ لأن الواو للجمع؛ نحو: إن تأتِني وتحسِن إلي، أحسنْ إليك[٢]؛ ونحو قوله تعالى: ﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ﴾[٣].

يلحظ في شاهد هذا النمط أن العطف بـ(الواو) على فعل الشرط له بعد دلالي مقصود، وهو تنوع وتعدد والجزاءات الأليمة التي ستلحق بكل مقلد لأئمة الضلال، وكل متمرد على الله ورسله، وعاندهم، فقد شاق الله ورسوله، وصار من الذين يدعون إلى النار مثل من اتبعهم، واستطاع الشيطان على إضلال تلك الفئة وجعلهم يتبعونه، فقوله: "فإن الشيطان يضله، يعني: يضل من تولاه"[٤]، وجنبهم الطريق المستقيم، واتباع الشيطان المريد يوصل إلى ظلمات بعضها فوق بعض، والله – تعالى– قد " كتب على من يتبع الشيطان أنه من تولى الشيطان أضله عن الجنة وهداه إلى النار، وذلك زجر منه تعالى"[٥]، ويدخل في

---

(١) الأحقاف ١٠/٤٦.

(٢) الكتاب، سيبويه ٩٠/٣، و المقتضب، المبرد ٢٤/٢، وشرح التصريح، للأزهري ٤١٤/٢، وهمع الهوامع، السيوطي، ٤٦٥/٢، وحاشية الصبان، الصبان ٤٥/٤، وشرح التصريح، الأزهري ٤١٤/٢، و همع الهوامع، السيوطي ٤٦٥/٢.

(٣) محمد: ٣٦.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري ٥٦٦/١٨.

(٥) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٠٢/٢٣.

اتباع الشيطان جمهور أهل الكفر والبدع، فإن أكثرهم مقلدون، يجادلون في الله بغير علم، كما أن العطف أفاد "حمله على مباشرة ما يصير به في عذاب السعير"[1].

(١) فتح القدير، الشوكاني ٣/٥١٥.

النمط الثاني: [تركيب شرطي: {أداة شرط+ جملة الشرط+ جملة جواب الشرط+ حرف عطف+ معطوف على جملة جواب الشرط}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في(٢) موضعين[١]، ويمثل ذلك قول الله تعالى: تعالى:﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[٢]، والتقدير: وإن تخشوا فلا تخشو الناس واخشونِ.

أشار النحاة إلى قضية العطف على جملة جواب الشرط، من حيث الأثر النحوي للعطف في الجملة، وفي نطاق ذلك ميزوا بين جواب الشرط غير المقترن بـ(الفاء)، وجواب الشرط المقترن بها، أما غير المقترن بـ(الفاء) أجازوا فيه ثلاثة مستويات من الأداء اللغوي؛ وذلك كما يلي[٣]:

١- الجزم: وذلك مع استعمال جميع حروف العطف، حيث يجزم الفعل المضارع المعطوف على جواب الشرط المضارع المجزوم؛ وذلك نحو: إن تأتني آتك فأحدثُك.

٢- النصب: يجوز أن ينصب الفعل المضارع المعطوف على الفعل المضارع الواقع في جواب الشرط، وذلك إذا كان حرف العطف (الواو) أو (الفاء)؛ نحو: إن تأتني آتك فأحدثَك، وذلك بإضمار (أن) الناصبة للمضارع بعد (الواو) أو (الفاء).

---

(١) ينظر الموضع الآخر: طه ١٢٣/٢٠.

(٢) المائدة ٤٤/٥.

(٣) الكتاب، سيبويه ٩٠/٣، والمقتضب، المبرد ٢٤/٢، وشرح التصريح، الأزهري ٤٠٨/٢، وحاشية الصبان، الصبان ٣٥/٤.

٣- الــرفـع: يجوز أن يرفع الفعل المضارع المعطوف على الفعل المضارع الواقع في جواب الشرط، وذلك إذا كان حرف العطف (الواو) أو (الفاء) أو (ثم)؛ نحو: إن تأتني آتك فأحدثُك، وذلك مع الاستئناف، ولا تكون الحالية إلا مع (الواو).

يلحظ في شاهد هذا النمط أن التوراة أنزلت على سيدنا موسى υ هداية للناس إلى الإيمان، ويبتعدون عن الضلال، ولا يوجد مانع بدليل...، وكل ممتنع عن الإيمان بالكتاب، ماهو بمؤمن صادق[١].

ووردت الفاء في قوله تعالى: (فلا تخشوا) رابطة لجواب شرط مقدر، وقد عطف على جملة جواب الشرط هذه قوله: (واخشون)؛ وذلك لإفادة نبذ صور الخشية لغير الله المتنوعة، والتوكيد والتخصيص على وجوب خشية الله –تعالى– لا سواه، ووجوب الامتثال له، فقد امتثل له أفضل البشر، وهم الأنبياء، يعد والذين أسلموا صفة مادحة للنبيين، وفيه إرغام لليهود المعاصرين له ﷺ بأن أنبياءهم كانوا يدينون بدين الإسلام الذي دان به محمد ﷺ الذي يجب اتباعه؛ فهو خاتم الرسل"[٢].

(١) الكشاف، الزمخشري ٦٣٦/١.

(٢) فتح القدير، الشوكاني ٤٩/٢.

النمط الثالث: [تركيب شرطي: {جملة اسمية+ حرف عطف+ تركيب شرطي معطوف على الجملة الاسمية المتقدمة)}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (٤) أربعة مواضع[١]، يمثل ذلك قول الله تعالى:

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢].

أشار النحاة إلى أن العطف يقتضي الجمع المطلق بين المتعاطفين، و(الفاء) العاطفة لها دلالتان؛ إما أن تدل على ترتب معانيها وجودًا، وإما أن تدل على موصوفاتها ترتبًا، وذهب بعض النحاة إلى أن (الفاء) قد تأتي لمطلق الجمع، مثل(الواو)، وقد ترد مفيدة الترتيب، كما أنها توجب أَنَّ الثانى بعد الأَوّل وأَنّ الأَمر بَينهمَا قريب ؛ نَحْو قَوْلك: رَأَيْت زيدا فعمرا وَدخلت مكَّة فالمدينة، كما أن (الفاء) تشرك ما بعدها وما قبلها لفظًا ومعنًى دائمًا"[٣].

يلحظ في شاهد هذا النمط أن الناس يستفتون رسول الله ﷺ في الكلالة بدليل قوله تعالى: (قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ)، وهي الميت الذي يموت وليس له ولد صلب ولا ولد ابن، ولا أب، ولا جد، ولهذا قال:(إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ)، أي: لا ليس له ذكر ولا أنثى، لا ولد صلب، ولا ولد ابن، كما يلحظ أن عطف الجملة الشرطية (فإنا كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) على الجملة الاسمية المتقدمة (وهو يرثها)؛ كان قصدًا لتوضيح أن تطبيق الأحكام الشرعية الخاصة بالميراث المتنوعة؛ كي تطبق على الترتيب، فكل حكم له شروط يجب توافرها أولا، وإن لم تتوفر فينظر للحكم الآخر، والشاهد دال على أن

---

(١) ينظر المواضع التالية: المائدة ٦٧/٥، والأنعام ٣٥/٦، والكهف ٥٧/١٨.

(٢) النساء ١٧٦/٥٤.

(٣) المقتضب، المبرد ١٠/١، والجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص ٦٣، وحاشية الصبان، الصبان ١٣٢/٣.

الأخت المذكورة ليست هي الأخت من الأم فقط"[1]، تلك الأحكام مذكورة فضلا من الله وإحسانا لكي تهتدوا ببيانه، وتعملوا بأحكامه لئلا يضل إنسان، ويحيد عن شرع الله.

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٧٥/١١.

النمط الرابع: [تركيب شرطي + حرف عطف + تركيب شرطي معطوف على التركيب الشرطي المتقدم]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (٣) ثلاثة مواضع[١]، يمثل ذلك قول الله تعالى: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾[٢].

أشار النحاة إلى أن توالى أسلوبي شرط عطف بينهما يكون الجواب لهما معًا، وذلك إن كان العطف بـ(الواو)؛ لأن الواو للجمع؛ نحو: إن تأتِني وتحسِن إلي، أحسنْ إليك[٣]، وفي الشاهد السابق قد عطفت الجملتان الشرطيتان على بعضهما، بحرف (الواو) وهو يفيد مطلق الجمع بين المعطوفين، كما يفيد المشاركة، وللعطف أثر دلالي يدرك من السياق.

يلحظ في شاهد هذا النمط أن عطف الجملتان الشرطيتان على بعضهما لجمع تبكيت هؤلاء الضالين على ضلالهم، مع إثبات تعدد وتنوع صور البلاغ التي أبلغ بها النبي ﷺ دعوته، وفي ذلك دعوة وجوب إلى الامتثال لأوامر الله ورسوله، وقد ذكر ذلك صاحب الكشاف قائلا: ورد الكلام "على طريقة الالتفات وهو أبلغ في تبكيتهم، يريد: فإن تتولوا فما ضررتموه وإنما ضررتم أنفسكم، فإن الرسول ليس عليه إلا ما حمله الله وكلفه من أداء الرسالة، فإذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه. وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والإذعان، فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه"[٤]، فمن اتبع الهدى، فاز في الدنيا والآخرة، وأما من امتنع فما على الرسول من رسالته إلا البلاغ، وقد بلغ

---

(١) ينظر الموضعين الآخرين: سبأ ٣٤/٥٠، ويس ٣٦/٤٧.

(٢) النور ٢٤/٥٤.

(٣) الكتاب، سيبويه ٣/٩٠، والمقتضب، المبرد ٢/٢٤، وحاشية الصبان، الصبان، ٤/٤٥، وشرح التصريح، الأزهري، ٢/٤١٤، وهمع الهوامع، السيوطي ٢/٤٦٥.

(٤) الكشاف، الزمخشري ٣/٢٥٠.

الرسالة، وأدى الأمانة، حيث إن "الذي حمل رسول الله ﷺ هو التبليغ، ومكافحة الناس بالرسالة وإعمال الجهد في إنذارهم، والذي حمل الناس هو السمع والطاعة واتباع الحق"[1].

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية ١٩٢/٤.

النمط الخامس: [تركيب شرطي: {جملة جواب الشرط: فعل+ فاعل (ظاهر) أو(مقدر) + مفعول مطلق}]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (٣) ثلاثة مواضع[١]، يمثل ذلك قول الله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[٢].

يعد النحاة المفعول المطلق من الزيادات التي تدخل على أركان الجملة؛ لقصد دلالة التوكيد[٣]، حيث أن المفعول المطلق هو"اسم يؤكد عامله فيفيد ما أفاده عامله من الحدث من غير زيادة على ذلك، أو يبين نوعه، أي: نوع العامل، فيفيده زيادة على التوكيد، أو يبين عدده، فيفيد عدد مرات العامل زيادة على التوكيد"[٤].

يلحظ في هذا شاهد هذا النمط أن الآية نزلت في زينب حيث أراد النبي ﷺ تزويجها من زيد بن حارثة فكرهت إلا النبي ﷺ وكذلك أخوها امتنع فنزلت الآية فرضيا به، وقد ورد الفعل (ضلَّ) ومفعوله المطلق (ضلالا)؛ لقصد التوكيد على أنه لا ينبغي أبدًا لمؤمن، إلا الإسراع في مرضاة الله ورسوله، وامتثال أمرهما، واجتناب نهيهما، وألا يجعل بعض أهواء نفسه حجابًا بينه وبين أمر الله ورسوله.

ويجب أن يدرك كل بشر أنه "إذا قضى الله ورسوله أى رسول الله ﷺ أو لأن قضاء رسول الله هو قضاء الله أمرا من الأمور: أن يختاروا من أمرهم ما شاءوا، بل من حقهم أن يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه،

---

(١) ينظر الموضعين الآخرين: محمد ٤/٤٧، ومحمد ٨/٤٧.

(٢) الأحزاب ٣٦/٣٣.

(٣) الكتاب، سيبويه ٣٧٨/١، والمقتضب، المبرد ٢٣٣،٢٦٦/٣، والأصول في النحو، ابن السراج ١٦٠/١، واللمع، ابن جني، ص١٣١، وشرح التصريح، الأزهري ٣٢٣/١-٣٢٤.

(٤) شرح التصريح، الأزهري ٣٢٣/١-٣٢٤.

واختيارهم تلوا لاختياره"[1]، كما يجب أن يدرك كل مشرك أن مآله النار؛ لأنه ترك الصراط المستقيم واختار الطرق الموصلة للعذاب الأليم ، ولم يمنع من النار إلا الإيمان، والامتثال لأوامر الله ورسوله، وأما المؤمنون فيجب على كل مؤمن أن يتعامل مع شديدي الضلال بالتخويف بالضلال، وأن كل ذنب يعاقب عليه بذنب –أيضًا– وهذا أسوأ عقاب، ويجب أن يعلم كل بشر أنه "ليس لمؤمن ولا مؤمنة أن يكون له اختيار عند حكم الله ورسوله، فما أمر الله وهو المتبع وما أراد النبي ﷺ هو الحق ومن خالفهما في شيء فقد ضل ضلالا مبينا؛ لأن الله هو المقصد والنبي ﷺ هو الهادي الموصل، فمن ترك المقصد ولم يسمع قول الهادي فهو ضال قطعا"[2].

(١) الكشاف، الزمخشري ٣/٥٤٠.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٥/١٦٩.

النمط السادس: [تركيب شرطي: (أداة شرط+ جملة الشرط+ حال)]

ورد هذا النمط في آيات الهدى والضلال في (٢) موضعين[١]، يمثل ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[٢].

ترد الحال فضلة على بنية الجملة، ولكن لا يمكن الاستغناء عنها؛ لما لها من أثر دلالي، والحال هي: وصف، فضلة، يذكر لبيان هيئة ما وضع له من صاحبه، أثناء إجراء حدث ما، أو ما فيه معنى الحدث[٣]، ولأهميتها في الجملة يدرك أن المراد بالفضلة عند النحاة "ما يقع بعد تمام الجملة، لا ما يصح الاستغناء عنه"[٤]، حيث إن الحال تتبين هيئة صاحبها أثناء حدوث أي حدث ما.

يلحظ في شاهد هذا النمط أن قوله تعالى: (إن كنتم) شرط جوابه متقدم في معنى ما قبله، وجاز ذلك لما لم يظهر عمل الشرط، والتقدير: إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي، فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء، ويلحظ من الحال في الجملة الشرطية (جهادًا) أنها وردت لبيان حالة الهيئة التي يجب أن يكون عليها كل مجاهد مخلص ، كما يجب العمل بمقتضى الآية، من موالاة أولياء الله، ومعاداة أعدائه، فمن أسوأ المعاداة أن ألحقوا الأذى بالنبي ﷺ حيث إنهم "يخرجون رسول الله ﷺ وإياكم،

---

(١) القصص ٢٨/٥٧.

(٢) الممتحنة ٦٠/١.

(٣) اللمع، ابن جني، ص١٤٥، وشرح المفصل، ابن يعيش ٢/٥٥، وشرح الكافية، الاستراباذي ١/١٩٨، والتسهيل، ابن مالك، ص ١٠٨، وشرح التصريح، الأزهري ١/٣٦٥-٣٦٦، وهمع الهوامع، السيوطي ١/٢٣٦.

(٤) قطر الندى، ابن هشام، ص٣٣٥، وشرح التصريح، الأزهري ١/٣٦٦.

بمعنى: ويخرجونكم أيضًا من دياركم وأرضكم، وكذلك إخراج مشركي قريش رسول الله ﷺ وأصحابه من مكة "[1]، فإن هذا هو الجهاد في سبيله، وهو من أعظم ما يتقرب به المتقربون إلى ربهم ويبتغون به رضاه، كما يلحظ–أيضًا– توجيه الله –تعالى– للمؤمنين أن يتبينوا ويلاحظوا عداوة الكفار، والمعادين؛ فهم ينتظرون أية لفرصة تسمح لهم في الأذى، وإلحاق الضرِّ، والله –تعالى– عالم بكل شيء، و"ذكر أنه لا يخفى عليه من أحوالهم شيء، فقال: وأنا أعلم بما أخفيتم من المودة للكفار وما أعلنتم أي أظهرتم، ولا يبعد أن يكون هذا عاما في كل ما يخفي ويعلن"[2].

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري ٣١٠/٢٣.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٥١٧/٢٩.

الخاتمة

إن دراسة موضوع ظواهر التركيب من أهم الدروس اللغوية، خاصة إذا كان على ضوء القرآن الكريم، فهو المعجزة الخالدة الذي نظل ننهل منه لغة إلى يوم الدين، **ومن النتائج التي توصلت إليها الدراسة ما يلي:**

- انتشرت ظاهرة التوسع في الجمل بأنواعها الثلاثة انتشارًا واسعًا، فكان له النصيب الأكبر في الاستعمال عن باقي الظواهر الأخرى، ومما أفادته ظاهرة التوسع: وبالنعت للتوضح والتقرير والتوكيد، وبالعطف للتنوع والتعدد، والجمع بين المتعاطفين، وبالتمييز والبدل لرفع التوهم واللبس، وبالتوكيد لزيادة التوكيد، وبالمفعول لأجله لتفسير المتقدم، وبالحال لبيان هيئة المتقدم .
- تلا انتشار ظاهرة التوسع انتشار ظاهرة الزيادة، لها في الجمل بأنواعها الثلاثة دلالات تزين التراكيب وتكسبه مرونة، وللزيادة دلالات عديدة، منها: زيادة التوكيد، والتنبيه بحرف الهاء، والحصر بالنفي والاستثناء، ودفع الشك بقد، ولقد، وإظهار تقييدات عديدة بـ(الفاء).
- أنَّ لغتنا العربية لها خصوصية وميزات تميزها عن غيرها، فهي لغة خاصة تتسم بالمرونة، وكسر تقاليد اللغة، ولذا يكثر بها الخروج عن المألوف، لأسباب دلالية كجذب الانتباه، أو لتركيز الاهتمام على ركن من أركان الجملة دون غيره، مما يصنع مجالًا خصبًا لانتشار أساليب البلاغة العربية، وعلى رأسها أسلوب التقديم والتأخير.
- أنَّ لغتنا لغةٌ خاصة تتسم بالمرونة وكسر تقاليد اللغة، ولذا يكثر بها الخروج عن المألوف، لأسباب دلالية كجذب الانتباه، أو لتركيز الاهتمام على ركن من أركان الجملة دون غيره، مما يصنع مجالًا خصبًا لانتشار أساليب البلاغة العربية وعلى رأسها أسلوب التقديم والتأخير.
- إنَّ التقديم والتأخير خصيصة من أهم خصائص اللغة العربية، حيث قدرتها البالغة على استيعاب ما قد يخالف قواعدها وذلك بعد أن تصوغه اللغةُ في قوالب محكمة لا تخل بالفهم اللغوي الدقيق، وقد ورد التقديم والتأخير كثيرًا في مواضع وأنماط مختلفة ولأغراض بلاغية متعددة، أبرزها الاهتمام بالمتقدم، والتخصيص والتوكيد.
- تقدم المفعول به على الفاعل أو على الفعل والفاعل لأغراض بلاغية تمركزت وتمحورت حول التوكيد والتخصيص والقصر للمتقدم جوازًا، والتنبيه إليه، وللتشويق والتخصيص للممدوح المتأخر.
- أن ورد ترتيب أركان التركيب الشرطي بالترتيب بين أجزائه في أغلب المواضع فجاءت الأداة أولًا، فجملة الشرط ثانيًا، ثم جملة الجواب ثالثًا.

- ورد الحذف لدلالات عديدة، منها: الإيجاز، وإثبات المعاني التي اشتق منها الفعل، وللفهم من السياق، والاحتراز من اللبس في الفهم، والخروج عن المألوف لأسباب دلالية كجذب الانتباه، أو لتركيز الاهتمام على ركن من أركان الجملة دون غيره.
- تنوعت أغراض الزيادة تنوعًا كبيرًا فوردت الزيادة للعديد من الأغراض منها:

١ – الزيادة للتأكيد.

٢ – الزيادة للتنويع.

٣ – الزيادة للتنبيه.

٤ – الزيادة للاحتراس.

٥ – الزيادة للتعليل.

٦ – الزيادة لبيان الزمن.

٧ – الزيادة للاستدراك.

٨ – الزيادة للرجاء والتوقع.

٩ – الزيادة للتمني.

- ظاهرة التضمين هي الأقل ورودًا، ومع ذلك فإنها تضيف جمالًا، حيث استجلاء أسرار ألفاظ القرآن الكريم، ومن دلالات التضمين: التقارب المعنوي بالكلمتين المتقاربتين من حيث المعنى، والتقرير والتوكيد بـ(لمَّا)، وإنشاء حكم جديد بالجملة الاعتراضية.

ويوضح الجدول الإحصائي التالي مقارنة انتشار ورود الظواهر:

الظاهرة	الجملة الاسمية	الجملة الفعلية	الجملة الشرطية	الإجمالى
التقديم والتأخير	٣١	٢١	٠	٥٢
الحذف	٣١	٤٨	٢٧	١٠٦
الزيادة	٨٦	٧١	٥٩	٢١٦
التضمين	٢	٤	٣	٩
التوسع	٧٠	٣٨٥	١٥	٤٧٠

المصادر والمراجع

أولا : المصادر:

١- القرآن الكريم.

ثانيًا : قائمة المراجع العربية :

٢- أسرار البلاغة، لعبدالقاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٣١٦هـ)، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.

٣- أسرار العربية، ابن الأنباري، الناشر: دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠-١٩٩٩م،

٤- الأصول في النحو، لابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل (ت٣١٦هـ)، تحقيق الدكتور عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٩٩٦م.

٥- إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت٣١٦هـ)، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.

٦- الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، لأبي البركات بن الأنباري (ت٥٧٧هـ)، تحقيق الدكتور جودة مبروك محمد مبروك، مراجعة الدكتور رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى.

٧- أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، جمال الدين بن هشام الأنصاري المصري، (ت٧٦١هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣م.

٨- الأيضًاح، للخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ)، شرح وتعليق وتنقيح الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي، الطبعة الثالثة، المكتبة الازهرية للتراث، ١٩٩٣م.

٩- البديع، لعبدالله بن المعتز (ت٢٩٦هـ)، اعتنى بنشره إغناطيوس كراتشقوفسكي، عضو أكاديمية العلوم في لينينغراد، دار المسيرة ، بيروت.

١٠- بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري (ت٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

١١- ٩البرهان في علوم القرآن، لبدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، مكتبة دار التراث، القاهرة.

١٢- البيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البركات بن الأنباري (ت٥٧٧هـ)، تحقيق دكتور طع عبدالحميد طه، مراجعة مصطفى السقا،١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٣- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، شرحه ونشره السيد أحمد صقر.
١٤- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت٤٤٩هـ-٥٧١م)، دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، بيروت، لبنان، دار الفكر، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
١٥- التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري، (ت٦١٦هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٧٩م.
١٦- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، د.عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م،
١٧- الجمل في النحو، المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق الدكتور فخرالدين قباوة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
١٨- الجنى الداني في حروف المعاني ، للحسن بن قاسم المرادي، (ت٧٢٤هـ)، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
١٩- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ، للشيخ محمد الدمياطي الشافعي الشهير بالخضري، (ت١٢٨٧هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٤٠م.
٢٠- حاشية الصبان شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني، للصبان (ت١٢٠٦هـ)، تحقيق طه عبدالرؤف سعد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
٢١- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.
٢٢- دلائل الإعجاز، لعبدالقاهر بن محمد الجرجاني (ت٤٧٤هـ)، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م.

٢٣- ديوان الصنوبري، أحمد محمد بن الحسن الضبي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.
٢٤- ديوان ذي الرمة، شرح أبي نصر الباهلي، رواية ثعلب، أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي (٢٣١هـ)، تح: عبد القدوس أبو صالح، الناشر: مؤسسة الإيمان، جدة، ط: الطبعة الأولى، ١٩٨٢م - ١٤٠٢هـ.
٢٥- رصف المباني في شرح حروف المعاني، للإمام أحمد بن عبدالنور المالقي (ت٧٠٢هـ)، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
٢٦- روح المعاني، الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٢٧- سر صناعة الإعراب ، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق الدكتور حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥م.
٢٨- سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.
٢٩- شرح الأشموني على ألفية بن مالك، لنور الدين علي بن محمد بن عيسى الأشموني (ت٩٠٠هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٥٥م.
٣٠- شرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد بن عبدالله الأزهري، (ت٩٠٥هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤٢١،١هـ- ٢٠٠٠م.
٣١- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لجمال الدين بن هشام الأنصاري المصري (ت٧٦١هـ)، تحقيق عبدالغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.
٣٢- شرح قطر الندى، لجمال الدين بن هشام الأنصاري المصري، (ت٧٦١هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط ١١، ١٣٨٣هـ.
٣٣- شرح الكافية الشافية ، للإمام أبي عبدالله جمال الدين محمد بن عبدالله بن محمد ابن مالك الطائي الجياني الشافعي، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالجواد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٣٤- شرح المفصل للزمخشري، موفق الدين بن يعيش (ت٦٤٣هـ)، تقديم د/ إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٣٥- الصاحبي، لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
٣٦- صحيح البخاري، للإمام إبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٣٧- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني (ت٧٤٩ هـ)، دار الكتب الخديوية، مطبعة المقتطف بمصر.
٣٨- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت٤٥٦هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٣٩- فتح القدير، الشوكاني، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٤٠- في نحو اللغة وتراكيبها منج وتطبيق دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر،د.خليل عمايرة، الناشر: عالم المعرفة، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٤- ١٩٨٤م، ص١٠٣.
٤١- والتراكيب اللغوية في العربية، د.هادي نهر، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٩٢م.
٤٢- الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري (ت٣٨٢هـ)، حققه وعلق عليه محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة لنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
٤٣- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٤٤- القرآن الكريم.
٤٥- الكافية في علم النحو، لابن الحاجب، جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر (ت٦٤٦هـ)، تحقيق الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب ١٩٢٣م.
٤٦- الكامل، المبرد، لأبي العباس محمد بن يزيد، (ت٢٨٥ هـ) ، تحقيق الدكتور محد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م.

٤٧- الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه، (ت١٨٠هـ)، تحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
٤٨- الصناعتين، لأبي هلال العسكري (ت٣٨٢هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار احياء الكتب العربية.
٤٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي محمد معوض بمشاركة الأستاذ الدكتور فتحي عبدالرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكات، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
٥٠- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد ابن منظور الافريقي المصري (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت.
٥١- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين بن الأثير (ت٦٠٦هـ)، قدمه وعلق عليه دكتور أحمد الحوفي ودكتور بدوي طبانه، دار نهضة مصر، القاهرة.
٥٢- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المُقري الفيومي، تحقيق الدكتور عبدالعظيم الشناوي، الطبعة الثانية، دار المعارف، ٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.
٥٣- معاني القرآن، الفراء، تحقيق: محمد علي النجار، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة: الأولى.
٥٤- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م-١٠٨هـ.
٥٥- معجم البلدان ، للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٣هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٩٩٥م.
٥٦- معجم تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق علي هلالي، الطبعة الثانية ، مطبعة حكومة الكويت٢٠٠٤م.
٥٧- مغني اللبيب، لجمال الدين هشام الأنصاري المصري، (ت٧٦١هـ)، تحقيق الدكتور مازن المبارك، ومحمد علي حمدالله، دار الفكر، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.

٥٨- مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ)، حققه وقدم له وفهرسه الدكتور عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٥٩- مفاتيح الغيب، الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٦٠- المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق الشيخ محمد عبدالخالق عضيمة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٦١- المقرب، لعلي بن مؤمن المعروف بابن عصفور (ت٦٦٩هـ)، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري وعبدالله الجبوري، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٦٢- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت٩١١هـ)، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٦٣- الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية فى القرآن الكريم، الدكتور صباح دراز، الطبعة الأولى، الأمانة، ١٩٨٦م.

٦٤- أساليب النفى فى القرآن الكريم، الدكتور أحمد ماهر البقري، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

٦٥- أسرار التقديم والتأخير فى لغة القرآن الكريم، الدكتور محمود شيخون، دار الهداية، ١٩٨٣م.

٦٦- الأسلوب والنحو، الدكتور محمد عبدالله جبر، الطبعة الأولى، دار الدعوة، الأسكندرية، ١٩٨٨م.

٦٧- الأسلوبية والأسلوب، دكتور عبدالسلام المسدي، الطبعة الثالثة، الدار العربية للكتاب.

٦٨- البلاغة العالية علم المعاني، عبدالمتعال الصعيدي، مراجعة دكتور عبدالقادر حسين، مكتبة الآداب، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٦٩- البلاغة العربية تأصيل وتجديد، دكتور مصطفى الصاوي الجويني، منشأة المعارف بالأسكندرية، ١٩٨٥م.

٧٠- البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، دكتور فضل حسن عباس، دار الفرقان، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٧١- البلاغة الميسرة، دكتور عبدالعزيز بن علي الحربي، دار بن حزم ، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
٧٢- البلاغة والأسلوبية، الدكتور محمد عبد المطلب، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤ م .
٧٣- التركيب والدلالة والسياق، دكتور/ محمد أحمد خضير، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٥.
٧٤- بناء الجملة العربية، دكتور/ محمد حماسة عبداللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
٧٥- تيسيرات لغوية، دكتور/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠م.
٧٦- الجملة الشرطية عند النحاة العرب، دكتور/ إبراهيم الشمسان، الطبعة الأولى، مطابع الدجوي ، القاهرة ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٧٧- الجملة الطلبية، دكتور/ وائل السيد البرعي، ط: دار الفجر.
٧٨- الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين، دكتور/ هادي عطية الهلالي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٧٩- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، دكتور/ سعيد حسن بحيرى، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٨٠- الدرر اللوامع على همع الهوامع، الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي (ت١٣٣١هـ)، وضع حواشيه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٨١- الدلالة والنحو، دكتور/ صلاح الدين صالح حسنين، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى.
٨٢- علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية، تأصيلية، نقدية، دكتور/ فايز الداية، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٦م.
٨٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبي نصر إسماعيل الفاراتبي، تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
٨٤- لسان العرب، ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر،بيروت، الطبعة الثالثة،١٤١٤هـ.

٨٥- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق/أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
٨٦- اللمع في العربية، ابن جني، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت.
٨٧- المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري، الناشر:مكتبة الهلال، بيروت،١٩٩٣م.
٨٨- دروس البلاغة، تأليف حفني ناصف – محمد دياب– سلطان محمد– مصطفى طمُّوم، شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين، مكتبة أهل الأثر، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
٨٩- علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع، أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
٩٠- الفلك الدائر على المثل السائر، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر
٩١- في بناء الجملة العربية، الدكتور محمد حماسة عبداللطيف، دار القلم بالكويت، ١٩٨٢ م.
٩٢- في النحو العربي نقد وتوجيه ، دكتور مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.
٩٣- اللغة العربية معناها ومبناها، الدكتور تمام حسان، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
٩٤- المحرر الوجيز، ابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٩٥- معجم اللغة العربية المعاصرة، الدكتور أحمد عمر مختار، الطبعة الأولى، عالم الكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨ م.
٩٦- النحو الأساسي، دكتور محمد حماسة عبداللطيف، ودكتور أحمد مختار عمر، ودكتور مصطفى النحاس زهران، دار الفكر العربي١٤١٧هـ– ١٩٩٧م.
٩٧- النحو الشافي، الدكتور محمود حسني مغالسة، أستاذ النحو العربي في الجامعة الأردنية، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
٩٨- النحو العربي، الدكتور إبراهيم بركات، دار النشر للجامعات، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

٩٩- النحو العربي في مواجهة العصر، إبراهيم السامرائي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
١٠٠- النحو الواضح في قواعد اللغة والنحو، علي الجارم ومصطفى أمين ، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع.
١٠١- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م.
١٠٢- النحو والدلالة، الدكتور محمد حماسة عبداللطيف، مطبعة المدينة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.
١٠٣- النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة، محمد أحمد عرفه، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، ١٩٣٧م.
١٠٤- النحو والدلالة، دكتور.محمد حماسة عبد اللطيف، ط: دار الشروق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

ثالثًا: الرسائل العلمية:

١- الحذف والتقدير في القرآن الكريم، رسالة دكتوراة للباحث/ مرشد سعيد أحمد محمود، بإشراف الدكتور ذو الفقار علي ملك، الجامعة الإسلامية، بهاول بور، ١٩٩٥م.
٢- الزمن في القرآن الكريم، دراسة لغوية، رسالة ماجستير، إعداد الباحث محمود محمد سليمان علي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ١٩٩٥م.
٣- الشعر السياسي عند محمود حسن إسماعيل (دراسة في عوارض التركيب والتماسك النصي)، منصور مصلح منصور حسون، رسالة دكتوراة، كلية الآداب جامعة المنصورة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.
٤- ظاهرة الحذف في اللغة العربية في ضوء علم اللغة النصي، إيهاب محمود أحمد إبراهيم، رسالة دكتوراة، كلية الآداب جامعة عين شمس، ٢٠٠٧ م.
٥- ظاهرة العدول في البلاغة العربية، مقارنة أسلوبية، رسالة ماجستير للباحث عبدالحفيظ مراح، جامعة الجزائر، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.
٦- ظواهر التركيب في الشعر المسرحي عند صلاح عبد الصبور دراسة نحوية دلالية، رسالة دكتوراة للدكتور محمود سليمان الجعيدي، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠٠١م.

٧- الظواهر اللغوية بين الإطراد والعدول في ديوان الأصمعيات، نبيل علي شمسان غانم، رسالة دكتوراة، كلية الآداب جامعة عين شمس، ١٤٣٢ هـ-٢٠١١م.
٨- عوارض التركيب في سورة البقرة (دراسة نحوية وصفية)، سامية مونسخ خليل أبو سعفان ، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، عماد الدراسات العليا، كلية الاداب، قسم اللغة العربية، ١٤٣٣ هـ- ٢٠١٢ م.
٩- مشكلة الحرف الزائد في ضوء دراسات علماء اللغة العربية، فارس فندي بطاينه، رسالة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٩م.
١٠- شذور الذهب، شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي، تحقيق: نواف بن جزاء الحارثي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، أصل الكتاب: رسالة ماجستير للمحقق، الطبعة الأولى.

رابعًا: الدوريات:

١- أسلوب الحذف على ضوء الدراسات القرآنية والنحوية، دكتور محمد وليد سيف الدين حلاق، مجلة جامعة ذمار للدراسات والبحوث، جماد ثاني١٤٣١هـ- مايو ٢٠١٠م، العدد ١٢.
٢- التقديم والتأخير في النظم القرآني الكريم بلاغته.. ودلالاته، دكتور سامي عطا حسن، صحيفة دنيا الوطن الإلكترونية،١-٤-٢٠١٣م.
٣- حذف المرفوعات والمنصوبات في سورة هود، دراسة نحوية دلالية، دكتور يوسف الرفاعي، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد الخامس والعشرون (٢)، أيلول ٢٠١١م.
٤- الحذف في القرآن الكريم، عبد الكريم حميد، شبكة الألوكة للدكتور/ سعد بن عبدالله بن عبدالعزيز الحميد، تاريخ النشر٢٠١١/٧/٥.
٥- الحذف في اللغة العربية، دكتور يونس حمش خلف محمد، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، تاريخ قبول النشر٢٠١٠/٦/٢٤، مجلد١٠، العدد ٢.
٦- الحذف والإضمار في النحو العربي ، دراسة في المصطلح ، دكتور عماد مجيد علي، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإسلامية، كلية التربية.

٧- الحذف والتقدير في صحيح البخاري، دراسة نحوية دلالية، رسالة ماجستير للباحثة/ سهام رمضان محمد الزعبوط ، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٨- الحرف الزائد، أحكامه ومواضعه في الدرس النحوي، دكتور/ سعد حسن عليوي، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، آب٢٠٠٩م.
٩- دلالة الألفاظ ، دراسة تحليلية وتطبيقية لمفهوم وأنواع دلالة الألفاظ، دكتور عبدالمنعم طوعي بشناتي، جامعة الجنان، لبنان، قسم الشريعة والدراسات الإسلامية.
١٠- الزوائد في اللغة العربية، دكتور يونس حمش خلف ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد (١٦)، العدد (٧)، تموز٢٠٠٩م.
١١- الزيادة من الحروف في القرآن الكريم ، فريدة رحمن ، موقع دكتور محمد سعيد ربيع الغامدي، تاريخ النقل ٢٠١٦/٢/١٢م.
١٢- ظاهرة الإقحام في التراكيب اللغوية ، الدكتور خالد بن عبدالكريم بسندي ، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ٢٠٠١م.
١٣- ظاهرة التقديم والتأخير في اللغة العربية، فضل الله النور علي ، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية اللغات، مجلة العلوم والفنون ، نوفمبر ٢٠١٢م.
١٤- ١ظاهرة التلازم التركيب، دراسة في منهجية التفكير النحوي، دكتور جودة مبروك محمد ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، تاريخ النقل ٢٠١٦/٢/١٢م.
١٥- ظاهرة الحذف في النحو العربي، محاولة للفهم، بوشعيب برامو، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد ٣٤، العدد ٣، يناير- مارس ٢٠٠٦م.
١٦- ظاهرة الحذف ودورها في تحقيق التماسك النّصّي، دراسة تطبيقية على سورة البقرة، دكتور إسلام محمد عبد السلام، المعهد العالي للدراسات النوعية، قسم اللغات والترجمة.
١٧- ظواهر الغموض ووسائل رفع اللبس في التراكيب العربية، الدكتور مأمون عبدالحليم وجيه، مجلة علوم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مج١، ع١، ١٩٩٨م ، ص٣٠٠.
١٨- العدول في البنية التركيبية، قراءة في التراث البلاغي ، دكتور إبراهيم بن منصور التركي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٩، ربيع الأول ١٤٢٨هـ.

١٩- القيم الجمالية للتقديم والتأخير في شعر أبي الطيب المتنبي، دراسة في أسلوب تقديم المفعول به على الفاعل ، دكتور سامر حسين ناصر والدكتور إبراهيم صبر محمد، مجلة آداب ذي قار، العدد٢، المجلد١، كانون الأول ٢٠١٠م.
٢٠- مصطلحا الإضمار والحذف عند النحويين ، دراسة في دلالتهما، والفرق بينهما، دكتور/ رفيع غازي السلمي، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد ١٩، العدد ٢، ٢٠١١م.
٢١- مصطلحات الحذف عند النحويين والبلاغيين، م/ سهيلة خطاف عبدالكريم ، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد التاسع، العدد الأول،٢٠١١م.
٢٢- مفهوم الرتبة النحوية، دكتور سامي عوض، وحسن شحود، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية –سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد ٢٤، العدد ١٧، ٢٠٠٢م ، تاريخ النشر: ٢٠٠٢/٢/٢٠م.
٢٣- مفهوم السياق وأنواعه ومجالاته وأثره في تحديد العلاقات الدلالية، الدكتور رجب عثمان محمد، مقال بمجلة علوم القاهرة، المجلد٦، العدد٢٠٠٣،٤م.
٢٤- مقال: الوسائل اللغوية للتوكيد عند طه حسين.
٢٥- مقال:أنواع المورفيم في العربية، د.محمد عبد الوهاب شحاتة، مجلة علوم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مج١،ع،١٩٩٨م، ص٢٥٨.
٢٦- من دلالات التأخير في العربية، دكتور محروس السيد بُريك، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الخامس، محرم ١٤٣٢هـ- يناير ٢٠١١م.
٢٧- النحو والشعر، قراءة في دلائل الإعجاز، الدكتور مصطفى ناصف، مجلة فصول،مج١، ع ٣، أبريل ١٩٨١م.
٢٨- نظرية العامل في النحو العربي ودراسة التركيب، الدكتور عبدالحميد مصطفى السيد، مجلة جامعة دمشق، سوريا، المجلد ١٨، العدد٣،٤، ٢٠٠٢م.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة:	ب
التمهيد: المصطلحات:	١
مصطلح الظواهر:	٢
مفهوم الهدى والضلال في القرآن الكريم	٤
ألفاظ الهدى والضلال في القرآن الكريم	٥
آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم	٧
الفصل الأول: ظاهرة التقديم والتأخير في آيات الهدى والضلال:	٨
المبحث الأول: التقديم والتأخير في الجملة الاسمية في آيات الهدى والضلال	١٦
المبحث الثاني: التقديم والتأخير في الجملة الفعلية في آيات الهدى والضلال	٣٤
المبحث الثالث: التقديم والتأخير في التركيب الشرطي في آيات الهدى والضلال	٤٨
الفصل الثاني: ظاهرة الحذف في آيات الهدى والضلال:	٥٠
المبحث الأول: الحذف في الجملة الاسمية في آيات الهدى والضلال	٦٠
المبحث الثاني: الحذف في الجملة الفعلية في آيات الهدى والضلال	٧٤
المبحث الثالث: الحذف في التركيب الشرطي في آيات الهدى والضلال	٩٦
الفصل الثالث: ظاهرة الزيادة في آيات الهدى والضلال:	١٠٥
المبحث الأول: الزيادة في الجملة الاسمية في آيات الهدى والضلال	١٠٩
المبحث الثاني: الزيادة في الجملة الفعلية في آيات الهدى والضلال	١٢٥
المبحث الثالث: الزيادة في التركيب الشرطي في آيات الهدى والضلال	١٣٧
الفصل الرابع: ظاهرة التضمين في آيات الهدى والضلال:	١٤٨
المبحث الأول: التضمين في الجملة الاسمية في آيات الهدى والضلال	١٥٢
المبحث الثاني: التضمين في الجملة الفعلية في آيات الهدى والضلال	١٥٥
المبحث الثالث: التضمين في التركيب الشرطي في آيات الهدى والضلال	١٥٨

الفصل الخامس ظاهرة التوسع في آيات الهدى والضلال:	١٦٤
المبحث الأول: التوسع في الجملة الاسمية في آيات الهدى والضلال	١٦٩
المبحث الثاني: التوسع في الجملة الفعلية في آيات الهدى والضلال	١٩١
المبحث الثالث : التوسع في التركيب الشرطي في آيات الهدى والضلال	٢١٧
الخاتمة	٢٣٢
قائمة المصادر	٢٣٥
ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية	٢٥٠
ملخص الدراسة باللغة العربية	٢٥٢
المستخلص	٢٥٤

المستخلص الإنجليزي

Introduction addresses four key ideas:

❶ The meaning of the Syntactic Deviations.

❷ The motives of the study and its causes.

❸ Previous studies on the Syntactic Deviations.

❹ Introducing the five composition phenomena and their purposes in the verses of guidance and astray in the Holy Qura

Chapter one investigates Ellipsis Deviation.

Chapter two deals with Addition Deviation.

Chapter three examines Permutation Deviation.

The study resulted in some syntactic and semantic conclusions some are related to the number of occurrences of such structural features.

English Summary

The title of this thesis is "Structural Aspects of Guidance and Perversity, (Verses) in the Holy Quran A Syntactic and Semantic Study through studying:

The choice of this topic has been motivated by several objectives among which are:

Study Syntactic Deviations In "Structural Aspects of Guidance and Perversity (Verses) in the Holy Quran, and the statement of the symptoms of the ellipsis, or Addition and permutation, and to clarify its meaning. And including, deleting and expanding.

The choice of this topic has been motivated by several objectives among which are:

(١) To identify the concept of synthetic phenomena (presentation, delay, deletion, increase, inclusion, and expansion) among scholars of grammar, eloquence and interpretation, in the light of the verses of guidance and adjection in the Qur'an.

(٢) To identify the grammatical and semantic purposes in the five synthetic phenomena in the verses of guidance and astray in the Holy Quran.

(٣) Stand on the semantic rotation in the verses of guidance and astray.

(٤) Knowing which words (guidance and astray) are mentioned more than the other in the Qur'an in terms of pronunciation and meaning? And to know which synthetic phenomenon was so lucky that there were flowers in the Qur'an? What are their reasons?

Reasons For The Study:

١- Linking grammar to the perceived significance of the whole sentence, not like the old, by recognizing the meaning of the singular word by the dictionary.

٢- The fact that the study is a university between the sciences of grammar and significance in the light of the order of the books - the Holy Quran - the Book of God the Great

٣- Confronting confusion and confusion by some scholars, to adapt a Qur'anic text to a rule or meaning of its own.

٤- To identify the opinions of sculptors, communicators and interpreters, and semantic purposes in the five compositional phenomena in the verses of guidance and adjectives in the Holy Qura.

الملخص العربي

كانت هذه الدراسة بعنوان:

ظواهر التركيب في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم (دراسة نحوية دلالية)

إنَّ اللغةَ العربيةَ هي لغةُ الدينِ والقرآنِ الكريم، وهي لسانُ المسلمين، والقرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة، وقد بَذلَ كثيرُ مِنَ العلماءِ جهودًا كبيرةَ لتفسيرِ وبيانِ إعجازِهِ؛ لِما فيه مِن معجزاتٍ خالدةٍ، فقد سحرَ القرآنُ الكريمُ بروعةِ بيانهِ ودقةِ الفاظهِ؛ الكثيرَ مِن الباحثين.

وإن النحو العربي ذو تراثية جليلة، وقد اهتم النحو العربي منذ نشأته بالمعنى، حيث تُبنى القاعدة على المعنى المدرك، وقديما كانت العلاقة الوظيفية النحوية والدلالية في المعاجم ترتكز على اللفظ المفرد الذي يُستخدم في معنى معين، فتتفاعل وظيفة النحو والدلالة، ولكن في العصر الحديث لم يقتصر في فهم المعنى على ذلك فقط بل صار المعنى يُدرك من الجملة كلها، فالنحو أشبه بالقلب لجسم الإنسان- كما يقول تشومسكي- وإذا كان القلب يَمُدُّ جسم الإنسان بالدم حتى يحيا الإنسان؛ فإن النحو يمد الجملة بالمعنى الأساسي حتى تكون صحيحة، ويتحدد معناها.

اشتملت الدراسة على مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، وذلك كما يلي:

المقدمة: تناولت: أهمية الموضوع، وأهداف الموضوع، وحدود الدراسة، والدراسات السابقة التي تناولت ظواهر التركيب، والدراسات التي تناولت الهدى والضلال، والمنهج المتبع، وخطة الدراسة.

التمهيد: وتناول أولا: ظواهر التركيب بين المصطلح والمفهوم، **ثانيًا:** ظواهر التركيب بين النحو والبلاغة، **ثالثًا:** مصطلحا (الهدى والضلال) في القرآن الكريم.

وتلى التمهيد خمسة فصول، حيث تناول **الفصل الأول:** ظاهرة التقديم والتأخير في آيات الهدى والضلال.

واشتمل على **ثلاثة مباحث: الأول:** ظاهرة التقديم والتأخير في الجملة الاسمية، **والثاني:** ظاهرة التقديم والتأخير في الجملة الفعلية، **والثالث:** ظاهرة التقديم والتأخير في الجملة الشرطية.

وتناول الفصل الثاني: ظاهرة الحذف في آيات الهدى والضلال، واشتمل على ثلاثة مباحث: **الأول:** ظاهرة الحذف في الجملة الاسمية، **والثاني:** ظاهرة الحذف في الجملة الفعلية، **والثالث:** ظاهرة الحذف في الجملة الشرطية.

وتناول الفصل الثالث: ظاهرة الزيادة فى آيات الهدى والضلال، ويشتمل على مباحث:**الأول:** ظاهرة الزيادة في الجملة الاسمية، **والثاني:** ظاهرة الزيادة في الجملة الفعلية، **والثالث:** ظاهرة الزيادة في الجملة الشرطية.

وتناول الفصل الرابع: ظاهرة التضمين فى آيات الهدى والضلال، واشتمل على **ثلاثة مباحث: الأول:** ظاهرة التضمين في الجملة الاسمية، **والثاني:** ظاهرة التضمين في الجملة الفعلية، **والثالث:** ظاهرة التضمين في الجملة الشرطية.

وتناول الفصل الخامس: ظاهرة التوسع في آيات الهدى والضلال، واشتمل على **ثلاثة مباحث: الأول:** ظاهرة التوسع في الجملة الاسمية، **والثاني:** ظاهرة التوسع في الجملة الفعلية، **والثالث:** ظاهرة التوسع في الجملة الشرطية.

الخاتمة: وتتناول أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

المصادر والمراجع.

وكان من أهم نتائج هذه الدراسة:

- انتشرت ظاهرة التوسع في الجمل بأنواعها الثلاثة انتشارًا واسعًا، فكان له النصيب الأكبر في الاستعمال عن باقي الظواهر الأخرى، ومما أفادته ظاهرة التوسع: وبالنعت للتوضح والتقرير والتوكيد، وبالعطف للتنوع والتعدد، والجمع بين المتعاطفين، وبالتمييز والبدل لرفع التوهم واللبس، وبالتوكيد لزيادة التوكيد، وبالمفعول لأجله لتفسير المتقدم، وبالحال لبيان هيئة المتقدم .
- تلا انتشار ظاهرة التوسع انتشار ظاهرة الزيادة، لها في الجمل بأنواعها الثلاثة دلالات تزين التراكيب وتكسبه مرونة، وللزيادة دلالات عديدة، منها: زيادة التوكيد، والتنبيه بحرف الهاء، والحصر بالنفي والاستثناء، ودفع الشك بقد، ولقد، وإظهار تقييدات عديدة بـ(الفاء).
- ورد الحذف لدلالات عديدة، منها: الإيجاز، وإثبات المعاني التي اشتق منها الفعل، وللفهم من السياق، والاحتراز من اللبس في الفهم، والخروج عن المألوف لأسباب دلالية كجذب الانتباه، أو لتركيز الاهتمام على ركن من أركان الجملة دون غيره.
- ظاهرة التضمين هي الأقل ورودًا، ومع ذلك فإنها تضيف جمالًا، حيث استجلاء أسرار ألفاظ القرآن الكريم، ومن دلالات التضمين: التقارب المعنوي بالكلمتين المتقاربتين من حيث المعنى، والتقرير والتوكيد بـ(لمَّا)، وإنشاء حكم جديد بالجملة الاعتراضية.

المستخلص العربي

كانت هذه الدراسة بعنوان:

ظواهر التركيب في آيات الهدى والضلال في القرآن الكريم (دراسة نحوية دلالية)

إنَّ اللغةَ العربيةَ هي لغةُ الدينِ والقرآنِ الكريم، وهي لسانُ المسلمين، والقرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة، وقد بَذلَ كثيرُ مِنَ العلماءِ جهودًا كبيرةَ لتفسيرِ وبيانِ إعجازِهِ؛ لِما فيه مِن معجزاتٍ خالدةٍ، فقد سحرَ القرآنُ الكريمُ بروعةِ بيانهِ ودقةِ الفاظهِ؛ الكثيرَ مِن الباحثين.

وإن النحو العربي ذو تراثية جليلة، وقد اهتم النحو العربي منذ نشأته بالمعنى، حيث تُبنى القاعدة على المعنى المدرك، وقديما كانت العلاقة الوظيفية النحوية والدلالية في المعاجم ترتكز على اللفظ المفرد الذي يُستخدم في معنى معين، فتتفاعل وظيفة النحو والدلالة، ولكن في العصر الحديث لم يقتصر في فهم المعنى على ذلك فقط بل صار المعنى يُدرك من الجملة كلها، فالنحو أشبه بالقلب لجسم الإنسان- كما يقول تشومسكي- وإذا كان القلب يَمُدُّ جسم الإنسان بالدم حتى يحيا الإنسان؛ فإن النحو يمد الجملة بالمعنى الأساسي حتى تكون صحيحة، ويتحدد معناها.

Mansoura University
Faculty of Arts
Post Graduate studies
Arabic Department and Literature

Structural Aspects Of Guidance And Perversity (Verses) In The Holy Quran

A Syntactic and Semantic Study

Thesis provided to obtain a master's degree in Arabic Language and Literature

By Researcher
Hamdy Shaaban Mohamed Awad Hassan

Supervised By

Prof. Dr. Wael El-Sayed El-Borai
Professor of Syntax and Morphology
And Vic Dean of the Faculty of Arts for Education and Students Affairs
Department of Arabic Faculty of Arts
Mansoura University

٢٠٢١ AD – ١٤٤٣ AH